

الملك فاروق

آخر ملوك مصر

١٩٣٦ - ١٩٥٢



مكتبة النافذة

هشام خضر

الملك فاروق

١٩٣٦-١٩٥٢

هشام خضر

مكتبة النافذة

الملك فاروق

هشام خضر

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

رقم الإيداع ١٦٨٢٢ / ٢٠٠٧

الطبعة

دار طبعة للطباعة - الجيزة

كل الحقوق
محفوظة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي

الثلاثيني (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 . Fax: 37827787

Mob: 012 3595973

Email: alnafezah@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نافذة الكتاب

سيظل الملك فاروق رمزاً للعريضة والفوضى والعبث واللامبالاة بين حكام العصر الحديث الذين دانت لهم الأمور وركعت بين أقدامهم، بيد أنه أعرض عنها وجهل مكانتها وغفل عن أهميتها فأعرضت عنه وأهملته وانصرفت بعيداً لتركه وحيداً شريراً طريداً في غربة مالها من قرار.

ولو أن والدته الملكة نازلى كانت بجواره أثناء محنته عقب اندلاع حركة الضباط الأحرار لهمست في أذنه همس أم عبد الله آخر حكام الأندلس التي قالت له والألم يعتصرها: «أبك يا عبد الله بكاء النساء على مُلك لا يضيع من أيدي الرجال!!»

وها هو الملك والجاه والعز والسلطان قد ضاع واندثر وتسرب من بين أنامل فاروق ملك مصر والسودان، لكنه لم يكِ ولم يذرف الدمع ولم ينزف الدم على ما أضاعه وضيعه، كأنه توقع ذلك وتنبأ به، ومن ثم لم يكن بالأمر المفاجيء له حيث كان ينتظره منذ أن انفجرت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢. يومها أدرك فاروق أنه مجرد دمية في أيادي الإنجليز، عروس من الدانتيل تحركها أصابع السفير البريطاني، فتنبه فاروق لمكانته وقيمه واستوعب دوره كمحلل للزوج البريطاني الذي يملك ويحكم ويتحكم، ورضى فاروق بدوره ووظيفته طائعاً خائفاً مع الأسف مستمتعاً.

لقد كان فاروق الأول والأخير أمل مصر ومستقبلها، ورمز مكانتها وهبتها، وقد احتفا به المصريون وهللوا لجلوسه على العرش خلفاً لوالده الطاغية أحمد فؤاد ظنناً منهم أن بشاشة فاروق وسماحة وجهه، وعذوبته ورقته وبساطته

وتواضعه قد تحقق للشعب المسكين مآربه وأحلامه التى تبخرت على يد من سبقوه . ظن المصريون أن فاروق هو مصباح علاء الدين ، وفانوسهم السحري ، وبساط الريح ، فإذا به ينقلب عليهم ولا يبالي بشؤونهم ولا يكثرث بآلامهم ولا يعبأ بمستقبلهم منصرفاً إلى حال سبيله حيث الملاحى والنوادي والمواخير والموائد الخضراء لممارسة هواياته الوحيدة والمحبة إلى نفسه وقلبه وعواطفه وهى لعب القمار!!

كان بوسع فاروق أن يتربع على العرش ، وأن يحفظ للتاج هيئته ومكانته لو أنه منح للشعب ساعة فقط من وقته الذى أهدره وبدده فى رحلات وسهرات وعلاقات باعدت بينه وبين الشعب المسكين ، ووسعت الفجوة بينهما حتى أن أحدهما لم يعد يرى الآخر .

ظل فاروق فى غيبوبته وسكرته فاقداً للوعى لا يدرى حقيقة ما يدور من حوله حتى بعد أن عشر على أحد منشورات الضباط الأحرار فى فراشه فى تحدٍ صارخ وعنيد لنظام حكمه الهش الذى أو شك على السقوط والانهار .

فاروق هو الذى ظلم نفسه وحكم عليها بالإعدام نفياً بالفرار والهرب ، وهو الذى أعد محاكمته فكان فيها القاضى والمتهم والجلاد ، ومن ثم أصدر الحكم بنفسه على نفسه دون أن يتدخل أحد لتغليظه أو حتى تخفيفه .

كانت نهاية فاروق واقعية منطقية لرجل غرق فى ملذاته وأطلق العنان لغرائزه وشهواته ، حيث عجز عن فهم طبيعة رجل الدولة ورمزها وعلمها ، فأتت تصرفاته وسلوكياته كطالب مراهق يسعى جاهداً للتعبير المادى عن احتياجاته العاطفية والجسدية ، لقد كان فاروق ملك مصر والسودان ، ولو أنه أحسن اختيار حاشيته ورجاله ومستشاريه ومعاونيه كما كان أبوه . . لو أنه تدبر أمره وأدرك حقيقة دوره المنوط به لكان لمصر وفاروقها شأن آخر ، لكنه كان أعجز من أن

يفهم أو يعى قيمة الدولة التى أحاطته برعايتها وأغدقت عليه بحنانها، لقد قضى فاروق سنوات حكمه وكأنه رئيس ألمانيا أو رئيس إسرائيل لا يملك ولا يحكم، اللهم إلا أنه يتربع على منصب شرفى أو فخرى، ومن ثم جاءت نهايته مؤسفة مخجلة تثير البهجة والشفقة والألم والأمل والفرح والجرح حتى تباينت المشاعر وتناقضت الأحاسيس فاختلطت دموع الفرح على رحيله بدموع الألم على مستقبله ومصيره.

وبرحيل فاروق أسدل الستار على آخر حكام سلالة محمد على باشا الكبير الذى كان له الفضل فى بناء مصر الحديثه رغم طغيانه وقسوته ووحشيته وجبروته وعنفوانه، لقد نجح محمد على الجد الأكبر فى توطيد أواصر ملكه وعرشه على البلاد بدمه وعرقه وكفاحه ونضاله وغربته وعذابه حتى ظل العرش مستقراً بين أبنائه من الأسرة العلوية فقط حتى جاء فاروق ليدق مسمار إهماله فى عرش تهاوت أوتاده بضربة مطرقة ليتساقط فى الحال سقوط أوراق الخريف بريح هادئة مستكينه أماطت اللثام عن هشاشة العرش .

هشام خضر

الجد الأكبر

«محمد علي باشا الكبير»

**«لو أن محمد علي قد أوتي شيئاً من العدل لكان من ملوك
التاريخ الكبار؛ بل من أكبرهم»**

عميد المؤرخين
الشيخ/ عبد الرحمن الجبرتي

محمد على باشا الكبير الجد والمؤسس

كانت مصر قبل مجيء الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت؛ شأنها شأن جميع البلدان والأقاليم والولايات والمجتمعات الخاضعة لنفوذ وسيادة، وظل السلطان العثماني القابع في برجه العاجي بمقر الخلافة العتيد بالأستانة.

كان نظام الحكم حيثئذ؛ بيد السلطان فقط بغض النظر عن نظام البيعة الصورى الذى كان قائماً بوصفه أحد أبرز مظاهر الخلافة الإسلامية الراشدة التى تمسك بها آل عثمان حرصاً على شرعيتهم من سخط وغضب وتدمير العلماء والأعيان.

وبما أن السلطان العثماني كان يملك أرض الخلافة، وما عليها إذن فلم يكن هناك بد من الخضوع لظله، ولا مرد لأمره ولا راد لقراره ولا اعتراض على ظلمه، ومن ثم مضى غير عابئ في قهر وقطع وقمع وضرب وسلب ونهب وواد وخرس تلك الشعوب التى دانت له واستسلمت لسلطانه وجبروته، وبالطبع كانت مصر فى طليعة تلك البلدان المقهورة والمنكوبة، ولم تكن بمنأى من الدوران فى فلك آل عثمان الدموى الرهيب.

لقد عانى أهل مصر من ويلات تلك السياسات الغاشمة التى اتخذت من الكرباج أداة ترويع وإذلال، ومن الجباية وسيلة تجويع واستغلال حتى ثارت النفوس الهادئة، وضاحت صدور المصريين الرحبة، ونفذ صبرهم وفاض كيلهم، فانطلقت حناجرهم الوديعه تدعو بدعائهم التاريخى المأثور تضرعاً إلى الخالق الرحيم خلاصاً من المخلوق الذى لا يرحم، وهى تهتف بأعلى صوتها: يا رب يا متجلى.. أهلك العثمانيلى.

ومضت الأمور على هذا النحو حتى جاء صاحب الوجه الكئيب، وكافة أدوات التعذيب الوحشى الذى مارسه بونايرت ضد أهالىنا لبسط نفوذه، وتوطيد أواصر نظامه، والاستيلاء على مصر والشام لتحقيق أهدافه وأطماعه التوسعية، بيد أن المقاومة الشعبية قد أرهقته وأذلته، فأمر بعودة حملته وهى تجر أذيال الخيبة والفشل المرير لتنتهى حقبة سوداء أخرى تدفقت خلالها الدماء فى سباق مع الدموع على الشهداء والجرحى والمعاقين وذوى العاهات الذين انتصروا لكرامتهم وحريتهم وسيادتهم واستقلالهم من وحش دموى تبرأ منه التاريخ وركله رغم أمجاده لوطنه، ومن ثم فلا غرابة إذن فيما قاله الأديب الأمريكى وأستاذ التاريخ «الان شوم» فى وصفه لمذابح نابليون: [مقارنة مع بونايرت تبيض صفحة جنكيز خان!!].



وبعد خروج الحملة الفرنسية تعرضت مصر لحالة من الفوضى والفراغ السياسى، حيث كان المماليك قد لاذوا بالفرار والهرب خوفاً على أنفسهم من نابليون وجنوده، كما فقد العثمانيون قدراً كبيراً من نفوذهم داخلها طيلة بقاء جنود الحملة الفرنسية؛ الأمر الذى أدى إلى لجوء الشعب إلى الاحتكام والاحتماء والارتكان والارتكاز على العلماء والأعيان؛ خاصة وأن على رأس هؤلاء العلماء السيد عمر مكرم نقيب الأشراف؛ الذى كان يتمتع بمكانة وقيمة وقامة بين الأهالى لحسه الوطنى ونضاله ضد بونايرت، وعطفه على الفقراء، وإغداقه العطايا على المساكين، ولبصيرته وحكمته ونبل أخلاقه، وقد طالب البعض من أنصاره وعشاقه أن يتولى حكم مصر غير أنه قد رأى ببصيرته وحكمته أن هناك من هو أصلح منه وأجدر بتولى دفة الحكم.

والواقع أن الرجل كان يرى أن محمد على؛ ذاك الشاب الألبانى الذى علا نجمه بين أهالى القاهرة لفراسته وفروسيته وذكائه وشجاعته؛ أثناء القتال مع الغزاة الفرنسيين يستطيع أن يقود سفينة الوطن إلى بر الأمان قبل أن تغرق فى قاع الفوضى العارمة.

والسفاح الرهيب نابليون بونابرت على رأس حملته الشرسة الدامية العنيفة التى حصدت ثلاثمائة ألف من الأجداد والآباء فى شتى ربوع مصر؛ ناهيك عن الجلد والسحل والحرق والسلخ والخوزقة، وغير ذلك من صور التعذيب الذى مارسه بونابرت وجنوده مع أبناء الشعب المصرى المسكين المبتلى بالطغاة ومصاصى الدماء ودراكولات البشر.

فى أعقاب خروج الحملة الفرنسية عام ١٨٠١، وعودتها إلى بلادها مرة أخرى سادت مصر حالة من الفوضى والفراغ السياسى؛ حيث كان المماليك قد لاذوا بالفرار، وتبينت حقيقتهم أمام المصريين، وتقلص نفوذ آل عثمان وتلاشى أمام بطش بونابرت وعنفوانه، ومن ثم باتت الأمور مهياة للعلماء والأعيان لتنصيب حاكم على البلاد لإعادة الأمور إلى نصابها وإنهاء حالة الفوضى التى حلت بالبلاد.

واتجه الجميع إلى بيت الزعيم الشعبى عمر مكرم يناشدونه أن يتولى قيادة البلاد بمعاونة نخبة من العلماء وصفوة الأعيان لإنقاذ الأمة، ولهذا أصبحت بيوت العلماء والأعيان ملاذاً آمناً للاحتماء والارتكام والارتكاز؛ خاصة إذا كان على رأس هؤلاء جميعاً عمر مكرم نقيب الأشراف الذى يتمتع بمكانة وقيمة وقامة، لنضاله وكفاحه وعطائه وإغداقه وبصيرته وحكمته وشجاعته ونبل مقصده وحسن خلقه وعشقه لوطنه وإخلاصه لدينه وغيرته على أهل بلده.

وأمام إلحاح الشعب المصرى اتجه العلماء والإعيان إلى السيد عمر مكرم

لتولى الحكم على البلاد؛ بيد أن عمر مكرم الزعيم الشعبى قد أعلن عن عزمه تنصيب أحد الضباط الألبان لحكم البلاد لما له من ذكاء وشجاعة وأشارت إعجاب الجميع به. وكان هذا الشاب الألبانى هو محمد على الذى كان محط أنظار الأعيان نظراً لبسالته وشجاعته أثناء المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين.

وعلى الفور اتجه الجميع نحو بيت محمد على لتنصيبه والياً على مصر، وهى الرغبة التى فوجئ بها محمد على، وأثارت دهشته فرفضها خوفاً من بطش السلطان، ومن ثم دعا العلماء والأمراء لتنصيب أحمد باشا خورشيد حاكم إقليم الإسكندرية بزعم أنه يملك الخبرة والقدرة على إدارة شؤون البلاد.

والواقع أن محمد على خشى أن يتسرب إجماع العلماء، وثورة الشعب لتنصيبه حاكماً إلى أسماع السلطان العثمانى، مما قد يعرضه للعقاب والمساءلة، ولهذا قرر ألا يستجيب لرغبات الشعب المصرى لعل هذا الموقف يترامى إلى مسامع الخليفة بالأستانة، فينعم عليه بما يحلم به.

وتولى خورشيد باشا حكم البلاد، وراح محمد على بدهائه ومكره يتصيد أخطاء الرجل وخطاياها، ويندد بها فى مجالسه مع العلماء والأعيان، لتأليب طوائف الأمة ضده الأمر الذى دعا الشعب المصرى للخروج إلى القلعة لمحاصرتها زهاء ٨٠ يوماً لطرد خورشيد باشا، وتولية محمد على حاكماً بدلاً منه.

ففى أثناء حصار الشعب للقلعة أقبل رسول السلطان العثمانى حاملاً معه فرمان يقضى بإعفاء أحمد باشا خورشيد وعزله من منصبه، وتعيين محمد على خلفاً له فى منصب تمهيدى سمي وقتذاك «قائمقام» لحين صدور فرمان جديد لتنصيبه والياً على البلاد، وذلك بعد أن تطمئن الأستانة من مدى ولاء محمد على، وانتمائه لدولة الخلافة وعظمة السلطان، ومنذ ذلك التاريخ أصبح محمد على باشا ملء السمع والأبصار حياً وميتاً فى مصر وما حولها حيث قد لعب

دوراً تاريخياً في نهضتها، ومد أطرافها إلى جميع أنحاء المعمورة سلماً وحرباً، مما أدى إلى تحرك القادة الأوربيين لعرقلة نموه وتجميد أنشطته الخطيرة بعد أن استفحل خطره وتعاظم شأنه.

ولكن من هو محمد علي ذاك الضابط المجهول الذي أصبح مؤسساً لكبر إمبراطورية في التاريخ الحديث؟

مولده:

ولد محمد علي في مدينة قولة بألبانيا عام ١٧٧٠ ميلادية، وهي عبارة عن ميناء صغير وتطل على بحر إيجه لكنها تبعد عن مدينة سالونيك حوالي ٨٠ كيلو متر، وهي تعد من أشهر وأجمل ثغور اليونان.

ومحمد علي اسم مركب حيث يدعى والده إبراهيم أغا تردد أنه يعمل في تجارة التبغ، وزعم البعض أنه كان يعمل رئيساً لحرس المسؤول عن حراسة الطرق، وهذا الرجل ينتمي إلى الفرع الأرناؤطي، وهو أحد الفروع الألبانية ذات الشأن المتواضع، وهو ما دعا محمد علي للادعاء بأنه تركي الأصل، وذلك تهرباً من تحديد شجرة عائلته التي أكد المؤرخون أنها لا تتميز بأية عراقية بين الكثير من العائلات والقبائل في تلك الأثناء.

والمشير في الأمر أن والد محمد علي تزوج وأنجب نحو ١٧ طفلاً ماتوا جميعاً باستثناء محمد علي الذي ظل على قيد الحياة، ومن ثم أغدقت عليه والدته الحب والدفء والحنان لتبديد وحدته حتى كاد أن يكون طفلاً مدلاً.

بعد بلوغه السابعة عشرة من العمر توفي والده، فاحتضنه عمه طوسون الذي علمه الفروسية، ودقة تصويب السهام والنبال، ومصارعة الشباب، وأداء التدريبات العسكرية الشاقة العنيفة وحدث أن تسابق ذات يوم مع أصدقائه وجيرانه على السباحة من حافة الشاطئ إلى صخور إحدى الجذر القرية من

حافة الشاطئ، وفى أثناء السباحة هبت عاصفة عاتية أرغمت زملاءه على العودة المبكرة إلى الشاطئ، بينما واصل هو بعناده وشجاعته وصلابته السباحة والتجديف بيده نحو الجزيرة وقد تشقت يده بسبب ضربات الموج القوية، وقيل إن زملاءه الذين تعجبوا لبسالته خلعوا عليه، لقب الزعيم فى ذلك اليوم وما من شك أن هذا اللقب ظل ملازماً له حتى بعد أن مات ورحل عن الدنيا.

صفاته:

كان محمد على ذاقامة متوسطة له وجه طويل ولحية حمراء وعيون رمادية تحمل القوة أحياناً والرقّة فى بعض الأحيان، وله جبهة عريضة وحواجب كثيفة كان بسيطاً هادئاً أنيقاً ويشيراً إعجاب واهتمام كل من يلتقى به، واشتهر بين زملائه وجيرانه وأهل بلده بالشهامة والرجولة والنخوة وأداء الواجب وإبداء رأى الحكيم وإسداء المعروف.

وكان مسكنه بميدان الأزيكية يتميز بالبساطة والرقّة والإبداع والذوق الفنى فى تشييده وبنائه على الطراز الإسلامى الذى عشقه منذ أن كان فى مدينة قولة مسقط رأسه.

كان محمد على أمياً لا يقرأ ولا يستطيع الكتابة حتى سن السابعة والأربعين، وقد قال ذات مرة لبعض المقربين منه:

لقد أتيت إلى مصر فوجدت البلاد يسكنها جماعة من المتبربرين، ولم يكن بها أكثر من مائتى شخص يعرفون القراءة والكتابة باستثناء شخص واحد يصلح لأن يكون سكرتيراً لى، فبذلت كل ما فى وسعى لإدخال المدنية فى البلاد.

إن الحظ لم يسعدنى أن أتعلم فى صغرى؛ لقد بدأت فى تعلم القراءة

والكتابة وأنا فى السابعة والأربعين من عمرى، ولم يتح لى أن أرى بلاداً أرقى مدنية من بلادى.

إن ما يفتقده الأتراك هو ما يتوافر لدى الإنجليز، فليدهم الرجال الذين يصلحون للحكم، ولكن الأتراك متكبرون جهلاء، وسيودى بهم كبرهم، وأمنيتى أن يكون لدى مجلس شورى من الرجال الأمناء.

أصدقاؤه:

كان محمد على يميل بقلبه وعقله ومشاعره وعواطفه نحو صديق واحد فقط يدعى بوغوص بك الأرمينى وهو من بين أصدقاء محمد على الألبان لكنه كان الأوحى والأقرب إليه حيث ظل بجواره يعمل بكد وجد وإخلاص وتفانى مترجماً خاصاً له إلى جانب عمله مستشاراً ومساعداً وأمين أسرار وأعماله ومشروعاته الدقيقة والخاصة.

والشاهد أن هذا الرجل (بوغوص) قد ساهم بشكل متميز فى تشكيل، ودفع عجلة التجارة المصرية حتى نجح باقتدار فى أداء المهام الموكولة إليه من قبل محمد على؛ الأمر الذى أدى إلى ترقيته ليصبح وزيراً للخارجية حيث كان الرجل يتمتع بالذكاء والعبقرية ويملك وفرة هائلة من المعلومات والبيانات الدقيقة والهامة عن أحوال وظروف الأسواق الأوربية، فضلاً عن رؤيته الثاقبة لمجريات الأمور والأحداث السياسية.

وحين مات بوغوص بك حزن عليه محمد على حزناً شديداً، وأسف على فقدانه وخسارته الفادحة.

سكرتيه الخاص:

كان كامل بك ياور سكرتير محمد على الخاص، والذى كان يتولى تنظيم

شؤونه وتحديد مواعيده ومقابلاته، وقد أعجب به محمد على باشا فزوجه ابنته زينب هانم صغرى بناته، وقد تلقى محمد على باشا هدايا فى هذه الليلة قدرت أنذاك بنحو مائى ألف جنيه فى عام ١٨٤٥، وقد أفلس البعض من أجل تدبير هدية للباشا!!

أب هتالى:

كان محمد على باشا يستيقظ فى الرابعة صباحاً كل يوم، ويبدأ عمله اليومى باستقبال نظاره لسماع التقارير الأخيرة والاطلاع على أحوال البلاد، والوقوف على آخر التطورات التى تتعرض لها البلاد، فضلاً عن قيامه بزيارة الدواوين والمواقع والعودة بعد ذلك إلى المنزل حيث كان يميل إلى الهدوء، خاصة عند مجالسته لزوجته أمينة هانم، كما كان حريصاً على ملاطفة أولاده ومداعبتهم ومتابعة دروسهم، خاصة ابنه حليم باشا الذى كان يباريس، وزينب هانم التى كانت تتلقى العلوم على يد معلمين تخصصوا فى تعليمها، ومتابعة النظام الغذائى لابنه سعيد الذى كان يلتهم الطعام بشراهة حيث كان أכולاً يتميز بضخامة الجسم وقوة اليد؛ حتى قيل إنه يستطيع بها لطم الفيلة كما كان سعيد حليماً مرحاً يميل إلى شراء أدوات السفرة والطهى بأغلى الأثمان، وهو ما كان يشير دهشة والده محمد على.

الانفراد بالسلطة:

تأثر محمد على باشا كثيراً بما ورد فى كتاب (الأمير) للداهية الإيطالى ميكافيللى، وقد طلب محمد على من الأب روفائيل ترجمة هذا الكتاب، ثم أظهر مقتته وامتناعه من الآراء التى ساقها ميكافيللى، وهى الآراء التى طبقها محمد على بدقة وحرفية؛ مكتته من السيطرة على الأمور، والانفراد بالسلطة،

واتخاذ القرار دون الرجوع لأحد، والتخلص من المقرين منه والذين مهدوا له الطريق وعلى رأسهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف.

وكان لافتاً للانتباه ومثيراً للأسى والأسف والدهشة أن السيد عمر مكرم كان صاحب اقتراح تعيين محمد على والياً على مصر، ويبدو أن محمد على باشا قد تأثر بشدة بمقولة ميكافيلي الشهيرة: «إن من يتسبب في أن يصبح سواه قوياً فهو بذلك يقضى على نفسه بالدمار»، ومن ثم قرر الإطاحة بعمر مكرم حتى لا تقوى شوكته ويتعاضم دوره: فيهدد بقاءه، وقد كرم المشايخ والعلماء لاستمالتهم لصفه ضد عمر مكرم؛ حيث أعلن بعضهم مباركته وتأيده لخطواته وقراراته فسكنوا القصور وملكوا الضياع وادخروا الأموال، فاختنقت ضمايرهم حتى أن الشيخ عبد الرحمن الجبرتي أطلق عليهم حيثاً (مشايخ الوقت).

وحين اشتد النزاع بين محمد على وعمر مكرم طلب محمد على مقابله لفض هذه الخصومة، وإنهاء المشاحنات التي دبت بينهما، بيد أن عمر مكرم رفض إتمام هذه المقابلة إلا بشروط، وقد قال آنذاك: «كما أصدته إلى الحكم فإنى كفيل بإنزاله منه»، وحين ترامت تلك العبارة إلى مسامع محمد على أمر جنوده بالتوجه إلى بيت عمر مكرم، ونفيه إلى مدينة دمياط لمدة أربع سنوات، ثم انتقل بعدها إلى طنطا، وقضى بها حوالي سبع سنوات، ثم قرر محمد على عزله من نقابة الأشراف وخلعها على سلف الشيخ السادات.

ورغم ذلك حين أرسل عمر مكرم رسوله إلى محمد على للحصول على موافقته للذهاب إلى الأراضي الحجازية لأداء فريضة الحج، وافق محمد على في التو ودون تردد قائلاً في أسى: «أنا لم أتركه هذه المدة إلا خوفاً من الفتنة، والآن لم يبق شيء من ذلك فإنه أبى وبنى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف».

وقد ذكر الجبرتي أن محمد على كان عنيفاً حاداً لا يقبل أن يتدخل أحد في شؤونه وقراراته، وحين فرض الضرائب الباهظة على الشعب عارضه عمر مكرم وبعض العلماء الثقة الأجلاء الذين لا يخشون في الله لومة لائم، وذهبوا إليه جميعاً في موكب احتجاجي، وقد رد عليهم بقوله: [أنا لا أرد شفاعتكم، ولكن نفسي لا تقبل التحكم وكأنكم تخوفونني بهذا الاجتماع وتثيرون الرعية كما كنتم تفعلون أيام المماليك، فأنا لا أفزع من ذلك، ومن جعل من الرعية أمراً فليس لهم عندي إلا السيف والانتقام].

ورغم تعاطف الشعب مع عمر مكرم وأسفه وحزنه على اضطهاد محمد على له، وسوء معاملته ومحاولة تشويه سيرته وتلطيخ سمعته وتجريده من القابه ومحاصرة داره وتأليب العلماء والمشايخ عليه، رغم كل ذلك كان الشيخ عبد الرحمن الجبرتي يمتدح عمر مكرم ويكره سيرته محملاً عمر مكرم مسؤولية تنصيب محمد على والياً، ومن ثم عليه أن يتحمل مسؤولية تعيينه على رأس البلاد، حيث يقول الجبرتي بالحرف: [إن من أعان ظالماً سُلط عليه، وأن الذي وقع له بعض ما يستحقه، ولا يظلم ريك أحداً].

مشروع نهضة مصر:

في أعقاب تولي محمد على حكم مصر قرر من فوره ضرورة النهوض بالبلاد، وإعلاء شأنها مهما كانت النفقات، ومهما بلغت التضحيات، ومن ثم فكر في تدبير مؤامرة دقيقة ضد المماليك للتخلص من شرورهم وفسادهم وتدخلهم السافر في شؤون حكمه، فكانت مذبحة القلعة عام ١٨١١ النهاية والخاتمة لعصر المماليك.

ثم حل الدور على الأشراف والأعيان والمشايخ والعلماء، فقرر طرد عمر مكرم كما أشرنا، وأغدق الهدايا والعطايا على البعض، وهدد البعض الآخر

بالويل والشبور وعظائم الأمور، فارتعدت الفرائص، وخرست الألسنة فطوى بيده صفحات النضال والكفاح.

وهكذا استطاع محمد على القضاء على كل من سولت له نفسه الاقتراب من أبواب قلعته، أو المساس بشخصه، أو فرض سياسته، أو إملاء إرادته، أو عرقلة مخططاته، فصار بعدها الحاكم والمالك الحاضر والمستقبل، وأصبح هو القائد والرمز والأب والإمام والفاتح وأيضاً المستبد.

والشاهد، وبعد هذه التطورات اتجه محمد على باشا إلى تدشين قواعد وأسس مشروعه النهضة، ودفع عجلة الصناعة لبناء مصر الحديثة فأسس أول مصنع عام ١٨١٦ بمنطقة الخرنفش، وقد شيده رجل أعمال يدعى خميس عدس اشتهر بصناعة غزل الحرير، وذلك بالتعاون مع بعض العلماء الإيطاليين الذين استجابوا لدعوة محمد على لتنفيذ أهدافه وأحلامه، بعد ذلك أنشأ نحو خمسة عشر مصنعاً للقطن في الوجه البحري، خاصة شبين الكوم والمحلة الكبرى ودمياط ورشيد وشرين والمنصورة وزفتى وميت غمر ودمنهور، وقد تخصصت جميعاً في صناعة الأقمشة باستثناء مصنع رشيد الذي اشتهر بصناعة قلعو المراكب.

وفي الوجه القبلي أسس نحو ثمانية مصانع في بني سويف وسوهاج وأسيوط وفرشوط والواحات وقنا وجرجا والمنيا، وكانت منتجات تلك المصانع تتجه إلى الجيش ثم يتم تصدير الفائض منها إلى أوروبا والشام، ومضى محمد على في تدشين المصانع حتى بلغت ٢٩ مصنعاً عام ١٨٣٧.

فضلاً عن مصنع السكر الذي شيده في مدينة المنيا.

واهتم محمد على أيضاً ببناء السفن حتى تمكن من تأسيس أسطول بحرى مهيب فى ترسانة الإسكندرية.

ومع الأسف فإن أغلب هذه الصناعات قد تعرض للانحيار فى أواخر عهد محمد على، وقد أرجع الخبراء والمؤرخون سبب ذلك إلى إصرار محمد على باشا على تطبيق وتفعيل نظام الاحتكار فى إدارة شؤون الدولة، وبحسب لمحمد على نجاحه فى تنظيم أدوات ووسائل التدوين داخل مكاتب البريد والدواوين الحكومية، كما أسس أول نظام لمشروعات الصرف الصحى.

وللإنصاف فقد تولى تطوير وتحديث نظم التعليم المدنى، فأرسل الطلاب إلى الخارج لتحصيل العلوم والنظريات الحديثة، فضلاً عن دعوته للعلماء الأوربيين والخبراء المتخصصين فى كافة المجالات، سواء من النواحي العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية أو البحرية، وكما أدخل نظم وقواعد وآليات التعليم الفرنسى داخل مصر، وفى عام ١٨٣٢ شيد مدرسة الفنون والصنائع، فتحولت لمعهد تدريب كليات الضباط، ومضى فى تأسيس العديد من الدور التعليمية داخل المدن والأقاليم، كما أنشأ محمد على مدينة الزقايق وأثار البلاد وأعاد تخطيط المباني، كما نجح محمد على فى بداية عهده فى إدارة شؤون البلاد من خلال تقسيم مصر آنذاك إلى ٧ مديريات، وعلى رأس كل مديرية حاكم لإدراتها ولجباية الضرائب وبناء الجسور وحفر الترع وبناء الطرق وإرشاد المزارعين ومتابعة مواسم الحصاد.

وهكذا بات عصر محمد على يتسم بالقوة والنهوض والانطلاق والتمرد والثورة، بيد أن هذه المناقب التى تميز بها عهد محمد على لم تشفع له فى جبروته وقسوته وعنقه وطغيانه واستبداده وظلمه وآثامه مع الشعب المصرى؛ الذى اكتوى بنار الجبايات وكراييج النظار، ومن المأسى أن المزارعين قد لاذوا

بالفرار إلى دمشق التماساً للراحة وبحشاً عن الأمان والاطمئنان، وتفادياً للسياسات التي ألهمت جلودهم وأدمت نفوسهم وجرحت كبرياءهم، وقد كانت سوريا هي الملجأ والملاذ والقبلة التي اتجه الفارون إليها، وهو ما أثار حفيظة الوالي محمد علي، ومن ثم أرسل رسوله على عجل إلى حاكم دمشق حاملاً رسالة شديدة اللهجة، وحذره من استقبال الهاربين من بطشه وقسوته وضرورة عودتهم إلى مصر مرة أخرى، وإلا أرسل إليه من يكبله ويقيده ويحمله إلى مصر، وهي الرسالة التي ألقت الرعب في قلب والي دمشق، فرضخ واستجاب دون تفكير أو تدبر أو تردد خشية غضب محمد علي باشا، فعادت في التو جموع الفلاحين البؤساء للعمل في السخرة الظالمة لشق الترع وحفر القنوات والانخراط في صفوف الجيش الذي بلغ آنذاك نحو مائتي ألف جندي؛ استطاعوا غزو بلاد الشام والاستيلاء على منطقة الجزيرة العربية، وإلحاق الهزيمة بجيش السلطان العثماني في معركة نصبين ١٨٣٩، وبسط النفوذ المصري في بلدان الخليج واحتلال موانئ إمارات الساحل العماني؛ الأمر الذي دفع القادة الأوربيين لعرقة نموه ونهوضه وانطلاقه خوفاً من استفحال جيشه وما يترتب على ذلك من أخطار نصيب مصالحهم في مقتل إذا مضى على هذا النحو.

* * * *

زوجات محمد علي ومستولداته

١ - أمينة هانم: وهى بنت علي باشا الشهير «بمصر لى» وهو من سكان قرية نصرتلى التابعة لدراما، وقد جاءت إلى مصر فى عام ١٨٠٨ بعد أن دانت الأمور واستقرت فى يد زوجها.

بعد عدة أعوام وتحديدأ فى رمضان ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية سافرت (أمينة هانم) إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وقد توجهت فى البداية إلى جدة ومنها انطلقت بموكبها ناحية مكة المكرمة، وفى ركبها نحو ٥٠٠ جمل تحمل خدمها وحشمها ومتاعها وطعامها، وفى (منى) التقى بها زوجها محمد علي باشا، ونظراً لفخامة موكبها وهيبته وعظمته أطلق عليها أهالى الحجاز آنذاك «ملكة النيل» ويروى البعض أنه حين عقد ابنها إبراهيم باشا السفر إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين بهدف إخضاعهم لنفوذ البلاد المصرية. توجه إلى والدته لوداعها فعانقته ووضعته فى عنقه عقداً من الجواهر الثمينة، وقالت له: «لا تنزع هذا العقد من عنقك لا فى الليل ولا فى النهار حتى تبلغ الحجاز وتضعه بيدك على ضريح رسول الله ﷺ ورضخ إبراهيم باشا لرغبتها.

وتوفيت السيدة (أمينة هانم) الزوجة الأولى لمحمد علي باشا فى عام ١٢٣٩هـ - ١٨٢٤ ميلادية، وورى جثمانها التراب بمدفن الإمام الخاصة بأسرة محمد علي.

وفى خلال زواجها من مؤسس الأسرة العلوية أنجبت له:

١ - الأمير إبراهيم باشا: عام ١٢٠٤هـ - ١٧٨٩ ميلادية فى قرية «نصرتلى» إحدى قرى دراما، وقد تولى حكم مصر فى ٣ شوال عام

١٢٦٤هـ - ٢ سبتمبر ١٨٤٨ ، وتوفي في ١٤ ذى الحجة ١٢٦٤هـ -
١٠ نوفمبر ١٨٤٨ ، ودفن بالقاهرة بمدفن الإمام.

٢ - الأمير أحمد طوسون باشا: المولود في عام ١٢٠٨هـ - ١٧٩٣م في قرية (نصرتلى) التابعة لدراما، وتوفي بمدينة رشيد في ٧ ذى القعدة عام ١٢١٣ هجرية - ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ ميلادية ودفن بمدفن الأسرة بالقاهرة.

٣ - الأمير إسماعيل كامل باشا: ولد في قرية نصرتلى أيضاً عام ١٢١٠هـ - ١٧٩٥ ميلادية، وتوفي في مدينة «شندى» بالسودان عام ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢ ميلادية، وعاد جثمانه إلى القاهرة ليدفن بمدفن الإمام.

٤ - الأميرة توحيدة هانم: وهى زوجة محرم بك الذى عينه الوالى محمد على باشا حاكماً للجيزة، ثم حاكماً للإسكندرية، وقد أطلق اسمه على الحى الشهير بثغر الإسكندرية (حى محرم بك)، ثم عينه محمد على باشا بعد ذلك أميراً للأسطول المصرى. وقد ولدت بقرية نصرتلى عام ١٢١٢ هجرية - ١٧٩٧ ميلادية ولفظت أنفاسها الأخيرة بمدينة الإسكندرية عام ١٢٦٤ هجرية ١٨٤٧ ميلادية، ودفنت بالصالة الكبرى بالنبي دانيال بالإسكندرية.

٥ - الأميرة نازلى هانم: ولدت في سنة ١٢١٤ هجرية - ١٧٩٩ ميلادية، وهى زوجة محمد بك الدفتردار الذى أرسله محمد على باشا إلى السودان لإخضاعه والسيطرة عليه، ثم بعث به إلى (شندى) لتأديب أمرائها والانتقام من أهلها الذين غرروا بابنه إسماعيل وقتلوه.

توفيت نازلى هانم في عام ١٢٧٧ هجرية - ١٨٦٠ ميلادية، ودفنت أيضاً بجوار شقيقتها الأميرة توحيدة بالنبي دانيال. أما الزوجة الثانية التى تزوجها

محمد على باشا فهى السيدة (ماه دوران هاتم) أوقمش قادين، ولم يرزق منها أولاداً، وقد توفيت بالقاهرة فى ١٧ ذى الحجة ١٢٩٧ - ٢٠ نوفمبر ١٨٨٠، ودفنت فى مقابر والده الأمير محمد على باشا بشارع ابن الفارض بالقاهرة، وقد أوقفت نحو ١٣١٧ فداناً بمديريات البحيرة والقليوبية والمنيا والجيزة.

* * * *

مستولدات محمد على (ما ملكت يمينه):

١ - السيدة أم نعمان بك: وقد أنجبت الأمير نعمان بك، وتوفيت بالقاهرة فى عام ١٢٣١ هجرية - ١٨١٦ ميلادية، ودفنت بالمدفن العلوى بالإمام.

٢ - عين حياة قادين: أنجبت له الأمير محمد سعيد باشا (والى مصر) الذى ولد بالقاهرة فى ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٢٣٧ هـ - ١٧ مارس ١٨٣٢ م، وتولى حكم مصر فى ١٤ يوليو ١٨٥٤ م، وتوفى فى ١٨٦٣ م، ودفن بالإسكندرية، ثم توفيت والدته بعد رحيله بعامين ودفنت بجواره.

٣ - ممتاز قادين: أنجبت له الأمير حسين بك عام ١٢٤١ هـ - ١٨٢٥ ميلادية، وتوفى فى فرنسا عام ١٢٦٣ هجرية ١٨٤٧ ميلادية، ودفن بالنبي دانيال بالإسكندرية، أما هى فقد توفيت عام ١٨٦٨ ميلادية، ودفنت بمدفن العفيفى بالقاهرة، وقبل أن ترحل عن الدنيا أوقفت ممتاز قادين وقف بلغت مساحته حوالى ٣٦٦٥ فداناً بنواحى المنشية الكبرى، ودرين بالغربية، وهبت منها نحو ٢٤٩٠ فداناً ريع على عتقائها، و ٤٠٠ فدان أخرى ريع على مدفن ابنها المرحوم حسين بك.

- ٤ - «ما هوش قادين»: أنجبت له الأمير على صديق بك عام ١٢٤٣ هجرية - ١٨٢٨ ميلادية، وقد توفي في عام ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م. أما هي فقد توفيت عام ١٢٨٢ هجرية - ١٨٥٦ ميلادية، ووري جثمانها التراب بمدافن الأمير محمد عبد الحلیم باشا بمدافن الإمام.
- ٥ - (نام ساز قادين): توفيت بالقاهرسة ١٢٨٦ هجرية - ١٨٩٦ ميلادية، ودفنت بمدافن الأسرة بالإمام، وقد أنجبت الأمير محمد عبد الحلیم باشا عام ١٢٤٧ هجرية - ١٨٣١ ميلادية.
- ٦ - زبیه خدیجة قادين: أنجبت الأمير محمد على باشا الصغير عام ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٣ ميلادية، وتوفي بالأستانة في ١٨ ذی الحجة ١٢٧٧ - ٢٧ یونیة سنة ١٨٦١ ميلادية، ودفن بجامع أبی ایوب الأنصارى، أما والدته فقد توفيت فی القاهرة عام ١٢٩٥ هجرية - ١٨٧٨ ميلادية، وقد وری جثمانها التراب بمقبرتها الخاصة بشارع ابن الفارض بالقاهرة.
- ٧ - شمس صفا قادين: وقد رزق منها بیتین الأولى هی الأميرة فاطمة هانم، وتوفيت بمدينة الإسكندرية فی ١٢٣٧ هـ - ١٨٢٢ م، والثانية هی الأميرة رقية هانم، وتوفيت فی ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية، ودفنت بمدافن الأسرة بالإمام، وتوفيت والدتها فی ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٦ م، ودفنت بمقابر الأسرة بالإمام.
- ٨ - شمع نور قادين: وهی صاحبة وقف «تفتیش صبیح» المشهور، وقد بلغت مساحته حوالی ٤٧٠٠ فدان، وأنجبت الأميرة زینب هانم عام ١٢٤١ هـ - ١٢ أكتوبر ١٨٢٥ م، وتزوجت من یوسف باشا كامل الصدر الأعظم، وهی صاحبة وقف شاوه المشهور ومساحته ١٠٢٠٠

فدان وفندق شبرد بالقاهرة وما حوله، كما كانت تملك تفتيش دنشال ٣٦٠٠ فدان، وقد ورثه شقيقها الأمير محمد عبد الحليم باشا عنها، ثم وقفه بعد ذلك وفقاً لأهلياً وخيراً، وتوفيت والدتها شمع نور قادين مستولدة محمد على باشا الكبير في ١٢٨٠ هجرية - ١٨٦٣ ميلادية.

٩ - نائلة قادين: لم تنجب أولاداً لمحمد على.

١٠ - كلفدان قادين: لم يرزق منها أولاداً، وقد توفيت بالقاهرة في ١٢٨٨ هجرية - ١٨١٣ ميلادية، ودفنت بملحق المدفن الكبير بالإمام.

١١ - قمر قادين: لم يرزق منها أولاداً، وقد توفيت بالقاهرة في عام ١٢٨٥ هجرية - ١٨٦٨ ميلادية، ودفنت بمدفن الأمير محمد عبد الحليم باشا.

وهكذا كان لمحمد على زوجتان فقط، ونحو ٢٧ مستولدة ذكرنا بعض ما ورد منهن في الوثائق والسجلات الرسمية، وقد تعذر المؤرخون في معرفة باقي المستولدات، بيد أنهم قد استطاعوا الحصول على أسماء بعض الأبناء من أمثال الأميرة رقية هانم، والأميرة عائشة هانم، والأميرة زليخة هانم، وثلاث أميرات باسم زينب هانم، والأمير محمود بك، وأميرين باسم عبد الحليم بك، والأمير حليم بك، والأمير جعفر بك، وأميرين باسم إسكندر بك.

وخلاصة تلك الموسوعة الأسرية العجيبة أن محمد على باشا الكبير قد أنجب ٣٠ ولداً ١٧ ذكراً و١٣ أنثى.

* * * *

وفاة محمد على

تعرض محمد على باشا لمحاولات اغتيال عديدة نظرا لكثرة خصومه وأعدائه، والذين اکتبوا بنيران ظلمه واستبداده. الأمر الذى أرغمه على فرض حراسة شديدة حول قصوره، وقد اعتمد على ذلك ببعض رجال الممالیک الفرنسیین بقيادة عبد الله التولوزى الذى اتصف بالولاء والإخلاص للباشا محمد على، وقد ورد أن أثناء تجوال محمد على باشا فى شوارع القاهرة تلقى دعوة من أحد قادة الجيش لاحتساء القهوة التى كان يعشقها، واستجاب محمد على للدعوة ودلف إلى بیت القائد العسكرى، ولكن نهض الحارس عبد الله التولوزى فى فزع، وهو يصيح فى وجه الباشا على غير عادته قائلاً: «لا قهوة اليوم إلا فى القلعة» وهى العبارة التى فهمها محمد على وأدرك مغزاها، وبالفعل اكتشف أن القهوة كانت تحتوى على سم قاتل كاد يقضى عليه لولا يقظة حارسه، ولكن الغريب أن إبراهيم باشا كان مسكوناً بهواجس من خلالها كان يعتقد أن والده محمد على يسعى سراً للتخلص منه، إما بالسم أو الاغتيال، وقد حاول إبراهيم مرات عدة تدبير مؤامرة لقتل أبيه، ولكن حال داء السل بينه وبين تلك المؤامرة حيث أجهز عليه هذا الداء وهو فى حياة أبيه، وقد كان محمد على قد فقد قدراته العقلية حيث إن الرواة أكدوا فى شهادتهم وأوراقهم أن الأطباء الأجانب حقنوه بجرعات من نترات الفضة بغرض معالجته من الدوسنتاريا، وقد تكون هذه الجرعات قد قضت بالفعل على الدوسنتاريا، لكنها أدت إلى إتلاف خلايا المخ تماماً، وقد أصبح محمد على بسبب هذا التدهور المفاجئ مختلاً عقلياً

يتعرض بين الحين والآخر لنوبات من الجنون، وقد اعتقد البعض أن محمد علي قد أرهقه عشقه للنساء، واعتقد البعض الآخر أن الشيخوخة أصابته بالهوس.

وفي ٢ أغسطس ١٨٤٩ لفظ محمد علي أنفاسه الأخيرة عن عمر يناهز الثمانين عاماً.

* * * *

القائد إبراهيم باشا

«فاقت عبقرية القائد إبراهيم باشا العسكرية أشهر القادة وأبرزهم في العالم ومع الأسف راحت المعاهد العسكرية تدرس خطط نابليون ومونتجمرى دون الوقوف على خطط وأوراق هذا القائد الفذ الذى لم ينهزم فى معركة عسكرية قط»

القائد إبراهيم

بعد أن ساءت ظروف محمد على الصحية، وتدهورت حالته إلى حد مخيف أسند وهو على فراش الموت إدارة حكومة القاهرة إلى حفيده عباس باشا.

ونظراً لأهمية وثقل مكانة إقليم الإسكندرية وموقعها الاستراتيجي أسند شؤون إدارته لنجله سعيد باشا، وذلك بتعيينه حاكماً عليها.

أما إبراهيم القائد الأسطورة والعبقري الذي أبهر كافة المؤسسات العسكرية التي عاصرتة والمعاهد العسكرية التي درست خططه ومعاركه في مناهجها، فقد تولى بفرمان من أبيه زعامة ورياسة قيادة البلاد وذلك في يونيه ١٨٤٨.

كان إبراهيم باشا بن محمد على قد ولد في مدينة قولة عام ١٧٨٩ - ١٨٤٨. واشتهر بين زملائه بالشجاعة والبأس والإقدام حتى نال لقب (الجندي الشجاع) لذكائه وإجادته فنون القتال، فضلاً عن إجادته لعدة لغات حية منها اللغة العربية، والفارسية، والتركية، والفرنسية، وذلك إلى جانب شغفه بتحصيل العلوم والثقافات الحديثة والمتطورة.

هيئته: كان إبراهيم باشا قصيراً بديناً، وذا أنف مستقيم وعينين رماديتين ووجه ممتد، وممتلئ البدن، وقد تميز بالقوة الجسدية.

ومن الطريف أن إبراهيم قد تعرض في صدر شبابه لواقعة غريبة أكدت شجاعته ورباطة جأشه ودوره الخطير في إسناد الولاية لوالده حيث سلمه أبوه محمد على إلى السلطان العثماني كرهينة حين سداد مبلغ نقدي بلغ ٤٠٠٠

كيس من النقود مقابل موافقة السلطان العثماني لإصدار فرمان يقضى بتعيين محمد علي والياً رسمياً على مصر، وذلك عام ١٨٠٦ وقد علق محمد علي باشا على تلك الواقعة المثيرة: [إنى أعرف الأتراك وأعرف الطريقة التي تنجح معهم فالرشوة وسيلة فعالة مع هؤلاء الناس]، وبالفعل أوفى محمد علي بما تعهد به حتى أصدر السلطان فرمانه التاريخي لتعيين محمد علي حاكماً على مصر، وأصدر أوامره بإطلاق سراح نجله إبراهيم بعد سداد الرشوة المتفق عليها.

ومع عودة إبراهيم باشا وإصدار فرمان التاريخي تزينت مدينة القاهرة ثلاثة أيام في احتفال شعبي ورسمي بالقلعة لتتويج محمد علي حاكماً على البلاد بقرار رسمي.

بعد أن سيطر محمد علي باشا على الأوضاع، واستقرت الأمور في يده نصب ابنه إبراهيم قائداً على الجيش المصري لبراعته وإجادته فنون القتال والمعارك الحربية، فضلاً عن عبقريته العسكرية التي تميز بها، وقد تجلّى دوره حين تمكن من وأد الحركة الوهابية، وبسط سيطرته على مكة والمدينة والدخول بقواته إلى الدرعية عام ١٨١٨، وقد أصبحت منطقة الأحساء تحت نفوذه إلى جانب القطيف وسواحل الخليج العربي وفلسطين.

لقد حقق إبراهيم باشا انتصارات غير مسبوقة حتى أنه قد اشتهر بالقائد الذي لم يهزم قط، وهو ما أثار دهشة وإعجاب قادة أوربا بعبقريته، وعزز مكانته بينهم، ومن ثم لم يكن مستغرباً، أو لافتاً للانتباه الاستقبالات الحافلة بأقواس النصر المنصوبة في شتى الشوارع واليادين الباريسية، وهي تحمل أسماء

معاركه التي انتصر فيها طوال فترة قيادته للجيش المصري، وقد استقبله الملك الفرنسي لويس فيليب استقبالاً حافلاً رائعاً تقديراً لمكانته العسكرية في أنحاء العالم، وقد كان شامبليون العالم الفرنسي الشهير أحد أصدقاء إبراهيم باشا وكثيراً ما التقيا معاً حتى أن إبراهيم باشا أرسل بعثة علمية لاكتشاف منابع النيل بإيعاز من صديقه شامبليون.

سيظل التاريخ يذكر إبراهيم باشا بوصفه أبرز وأشهر القادة العسكريين في التاريخ الحديث.

* * * *

زوجات إبراهيم باشا ومستولاته

- ١ - خديجة إيرنجى قادين: وقد توفيت بالقاهرة فى ١٢٨٧ هجرية ١٨٧٠ ميلادية، ودفنت بمقابر الأسرة بالعفيفى، وقد رزق منها الأمير محمد بك فى عام ١٢٢٩ هجرية ١٨١٤ ميلادية، وقد توفى فى ٧ ربيع الأول عام ١٢٥٣ هـ الذى وافق ٢٤ ديسمبر ١٨١٩ ميلادية.
- ٢ - (شيوه كار قادين): وقد رزق منها الأمير أحمد رفعت باشا فى ٢٦ ربيع الثانى ١٢٤١ - ٨ ديسمبر ١٨٣٥، وتوفى فى ١ شوال عام ١٢٧٤ - ١٥ مايو ١٨٥٨ فى حادثة سقوط قطار سكة حديد بقرية كفر الزيات التابعة لمديرية الغربية وقتذاك، وقد دفن بالإمام، أما والدته فقد توفت فى ١٢٨١ هجرية ١٨٦٤ ميلادية، ودفنت بمدافن الإمام.
- ٣ - خوشيار قادين: وقد رزق منها الخديو إسماعيل المولود فى سراى المسافر خانه ليلة ١٧ رجب ١٢٤٥ - ١٢ يناير ١٨٣٠، وتقلد العرش ٢٨ رجب ١٢٧٩ - ١٩ يناير ١٨٦٣، ودفن بمسجد الرفاعى بالقلعة بعد وفاته فى سراى أمرجيان بإستانبول فى ٦ رمضان ١٣١٢ - ٢ مارس ١٨٩٥، أما والدته فقد أوقفت أماكن عديدة لصرف ريعها على مسجد الرفاعى بالقلعة، وقد توفيت عام ١٨٨٦، ودفنت بنفس المسجد.
- ٤ - (ألفت قادين): رزق منها الأمير مصطفى بهجت فاضل المولود فى القاهرة فى ٢٩ شعبان ١٢٤٥ - ٢٢ فبراير ١٨٣٠، وتوفى فى إستانبول فى ١٢ شوال ١٢٨٥، - ١١ نوفمبر ١٨٧٥ ونقلت رفاته

إلى مصر فى عام ١٣٤٥ هجرية - ١٩٢٦ ميلادية، ودفن بالجامع الذى أطلق اسمه عليه قبل وفاته بشارع درب الجمايز بالقاهرة.

٥ - كلزار قادين: توفيت فى مصر فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٨٣ - ٩ أكتوبر عام ١٨٦٥، ودفنت بالعقبنى دون أن يرزق منها بأولاد.

٦ - سارة قادين: توفيت فى مصر فى ١٤ شوال عام ١٢٨٦ - ١٧ يناير ١٨٧٠، ودفنت أيضاً بالعقبنى، ولم يرزق منها بأولاد.

وكان للقائد إبراهيم باشا بتان هما الأميرة أمينة التى توفيت فى ١٢٤٥هـ - ١٨٢٩ ميلادية، والأميرة فاطمة التى ولدت فى ٢ ربيع الأول ١٢٣٩ هجرية/ ٦ نوفمبر ١٨٢٣، وتوفيت فى ١٢٤٨هـ - ١٨٤٢ ميلادية، وقد تم دفنها بمقابر الإمام فى محيط الصالة الكبرى، وربما أنجبتهما كلزار قادين وحدها أو من سارة قادين فقط أو منهما معاً.

وهكذا كان إبراهيم شأنه شأن والده بعشق الزواج، وهرغب فى كثرة الإنجاب لبناء أسرة كبيرة كان يحلم بها محمد على الذى عاش وحيداً فى مصر قبل اعتلائه على العرش، ومن ثم كان لافتاً للانتظار تلك المراسلات التى كان يبعث بها محمد على إلى ابنه إبراهيم أثناء قيادته للجيش فى معاركه وفتوحاته خارج مصر حيث كان محمد على يردد خلالها عبارة مأثورة يقول فيها: «إنه يريد الأمان لأسرته».



على أية حال مضى إبراهيم على درب والده فى إدارة شؤون الدولة والانتصارات والفتوحات العسكرية بذكاء وشجاعة واقتدار حتى وافته المنية فى حياة محمد على عام ١٨٤٨ بعد أن دامه السل الرئوى الذى نهش رتبته

كالوحش ليسدل الستار عنى قائد عبقرى ظلمه التاريخ وأسقطه المؤرخون من صفحاتهم، بينما فاقت عبقريته العسكرية أشهر القادة وأبرزهم على مستوى العالم، ومع الأسف راحت المعاهد العسكرية تدرس خطط نابليون ومونتجرى دون الوقوف على خطط وأوراق القائد إبراهيم باشا ذاك الذى أبهر قادة أوربا وملوكها فى عصره، وراح كل منهم يتودد إليه ويشيد بذكائه ومهارته ونبوغه.

إن هذا الرجل يستحق الكثير تقديراً لدوره، وامتناناً لرسالته واحتراماً لانتصاراته التى تتفاخر بها أمام الأمم، ونرددها دون خجل نحن غزونا العالم فقد كنا وكنا دون أن نرد الجميل لأهله، ونسدى المعروف لصانعه، والإنصاف لمستحقه والحق للمظلومين.



الخدّيو إسماعيل

«ستظل بصمات الخديو إسماعيل رغم خطاياها، ناصعة جليلة
واضحة وضوح الشمس تتراءى أمامنا في كل بقعة من بقاع هذا
الوطن الغالى»

الخديو إسماعيل

ولد الخديو إسماعيل فى ١٢ يناير ١٨٣٠، وهو ابن القائد إبراهيم باشا وأكبر أبنائه، وحفيد محمد على الكبير، وأول أحفاده، ووالد الملك أحمد فؤاد، وجد الملك فاروق الأول والأخير، وقد أردنا أن نسرد على عجل نبذة مختصرة وخاطفة حول تلك الأسرة خاصة أجداد الملك فاروق حتى يتسنى لنا قراءة كف حقبة قراءة دقيقة متأنية واعية على ماضيه، وذلك من خلال الإبحار فى هذا التاريخ وتلك الأسرة التى حكمت مصر زهاء قرنين من الزمان فى ظلّهما تغير وجه التاريخ ومعالم الحياة، فتبدلت أحوال وحدثت أهوال فاكتظت بالعبر والدروس لمن أراد أن يتعظ ويعتبر.

فى صباه شكّا إسماعيل من ألم شديد فى عينيه فأرسله والده إلى النمسا للعلاج، وحين طاب له العيش فى فيينا قرر البقاء بها بجوار أخيه الأمير حليم، واستكمال الدراسة بها خاصة أنه يكبر أخاه بنحو أربعين يوماً فقط، وربما لهذا السبب فقط كانت الخلافات والمشاجرات بينهما لا تنتهى ولا تتوقف، وقد أرجع المؤرخون سبب ذلك إلى خشية إسماعيل من مزاحمة أخيه الأمير حليم فى الوصول للعرش.

والواقع أن توريث الحكم بين أبناء أسرة محمد على كان يتركز على تولية الأكبر سنّاً حيث تولى إبراهيم باشا مقاليد حكم البلاد بوصفه أكبر أولاد محمد على سنّاً، وقد ظل حاكماً حوالى ستة شهور فقط، ثم مات فى حياة أبيه محمد على، فأسند الحكم إلى حفيده عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤)، ثم أعقبه محمد سعيد بن محمد على (١٨٥٤ - ١٨٦٣)، ثم شهدت البلاد

فجيعة حادث كفر الزيات الشهيرة، والتي وقع فيها قطار الإسكندرية فى نهر النيل المتجه إلى رشيد، وكان على متنه الأمير أحمد رفعت باشا الذى كان ولياً للعهد آنذاك، وبترقب حكم البلاد، وقد لقي مصرعه غرقاً فى نهر النيل لتتحول دفة الحكم إلى إسماعيل بن إبراهيم على أثر تلك الحادثة، فيتولى ولاية العهد بوصفه الأكبر سناً بين أفراد أسرة محمد على، وقد حاول إسماعيل وهو على رأس الحكم تعديل قواعد وآليات توريث العرش حتى يتسنى له تنصيب ابنه توفيق خلفاً له بدلاً من الارتكاز على قاعدة الأكبر سناً التى من شأنها استبعاد توفيق، وهو ما يثير غيظه وخوفه، خاصة أن الأمير محمد عبد الحليم بن محمد على (حليم باشا) كان يتولى فى ظل حكمه ولاية العهد وبترقب لحظة وثوبه على أريكة العرش، ومن ثم بذل إسماعيل قصارى جهده فى تعديل نظام الحكم بواسطة تقديم الرشا والهدايا وشراء الضمائر؛ حتى تمكن من استصدار فرمان من السلطان العثمانى يقضى بتولية نجله توفيق حكم البلاد بعد رحيله، ورغم مخططات إسماعيل ومؤامراته لتنصيبه ولده توفيق حال وفاته، فقد تغيرت الأمور وتولى توفيق مصائر البلاد فى حياة إسماعيل عام ١٨٧٩ بعد أن صدر فرمان من السلطان العثمانى بعزله وتعيين توفيق خلفاً له وترحيله قسراً إلى الأستانة.

على أية حال سيظل الخديو إسماعيل من بين أبناء أسرة محمد على مثاراً للجدل والخلاف والاختلاف والتباين بين أساتذة التاريخ والمؤرخين، خاصة وأن الخديو إسماعيل بذل الجهود بغية تطوير وتحديث مصر والنهوض بها، وذلك باتباع وسائل وتفعيل سياسة ومنهجية جده محمد على الكبير والتى دفعت عجلة التقدم والنهوض والتنمية داخل البلاد للأمام فى مشروع قومى جبار أراد من خلاله بناء أمة على أسس وقواعد متطورة وحديثة تتواءم مع المتغيرات الدولية والثورة الصناعية الفاعلة والمتفجرة فى أوروبا.

ولعل بصمات الخديو إسماعيل ستبقى علامة مضيئة في تاريخ أسرة محمد على رغم النقد الحاد الذى شنه عليه مؤرخو الأمة؛ حتى وصفوه بالسفيه والمبذر والمخرب والمدمر، وقد يكون ذلك صحيحاً، وإن كان لا ينفى دوره فى نهضة مصر فى كافة المجالات بغض النظر عن الديون التى تراكت على مصر فى عهده؛ الأمر الذى أدى إلى تغلغل النفوذ الأجنبى فى إدارة شؤون البلاد، وبسط السيطرة على مواردها بحجة تدير الديون وجدولتها.

والشاهد أن إسماعيل قد أضفى على مصر الكثير من السمات والخصائص التى ميزتها عن سائر بلدان الخلافة العثمانية، بل كانت لها الريادة فى شتى المجالات على سبيل المثال أنشأ مجلساً للأعيان لأول مرة فى تاريخ البلاد كما كان له الفضل فى تشييد ثانى خط سكك حديدية مصرى فى العالم، وتمكن من إعادة إحياء صناعة النقل البحرى، فضلاً عن تطوير وتحديث مصانع النسيج، وبناء مصانع أخرى للمساهمة فى زيادة الإنتاج، وشهدت مصر فى عهده طفرة هائلة فى صناعات الأسلحة والتعدين واستخراج العطور، وقد شيد مصانع السكر وتكرير العسل وتقطير الكحول، واتجه أيضاً إلى تصدير السكر المصرى إلى اليونان وسوريا وتركيا فى مجالات مختلفة ومتعددة، خاصة فى الزراعة حتى قال عنه الباحث البريطانى «مولهول» فى مقال نشرته مجلة كونتمبوررى: «إن الترع النيلية التى أقامها إسماعيل، وبلغت ١١٢ ترعة ستظل أبداً من أعظم الأعمال التى شيدها، وبفضل هذه الترع تمكن الأهالى من استصلاح ١,٣٧,٣٠٠ فدان يبلغ مجموع دخلها السنوى ١١ مليون جنيه؛ أضف إلى ذلك العديد من الكبارى التى أنشأها، وقد بلغت نحو ٤٣٠ على وجه الدقة».

ما أروع الشهادة إذا نطق بها من لا يحمل هوى أو غرض فى قلبه، وظنى أن مثل هذا الباحث لا هم له سوى كشف النقاب عن وجه الحقيقة فقط.

وهو ما يكشف زيف الذين روجوا الأباطيل فى كتب التاريخ إرضاءً
للثوار، وطمعاً فى لعب أدوار، فتاهت الحقيقة، وتجلّى الباطل فى أكبر عملية
تزييف للتاريخ.

إننى لا أدافع عن عصر محمد على بمجمله، لكننى أريد فقط إجلاء وجه
الحقيقة، وإنصاف من يستحق من أبناء تلك الأسرة، وكشف من فعل ببلادنا
وأهلنا سوءاً لوجه الله والوطن، أما أن نصف تلك الحقبة بالسوداء رغم ما
شهدته مصر من تطور ورقى، فإننا كمن يضع البيض كله فى سلة واحدة.

إننى لا أستطيع أن أخفى دهشتى من هؤلاء الذين وصفوا عهد الخديو
إسماعيل بعصر الذهب الأول، وقد كان الأستاذ محمد حسنين هيكل يقف
على رأس هؤلاء الذين شوهوا تاريخ تلك الأسرة فى محاولة ساذجة لتلميع
جمال عبد الناصر ورفاقه، وكأن تاريخ مصر الحديث قد بدأ منذ اندلاع ثورة
يوليو وهو التدليس والتزييف الذى مارسه هيكل دون خجل من الحقائق
والتاريخ.

إن بصمات الخديو إسماعيل رغم خطاياہ ستظل ناصعة لامعة جليلة مشرقة
تترأى أمامنا فى كل بقعة من بقاع هذا الوطن العزيز.

إن ترعة الإسماعيلية التى بلغت نحو ٩٨ كيلو متر، وترعة الإبراهيمية التى
وصل طولها حوالى ١٥٠ كيلو متر، قد تم حفرهما فى عهد إسماعيل، وأن
مساحات الترع التى حفرت فى ظل حكمه بلغت ٩ آلاف ميل بل إن خطوط
السكك الحديدية بلغ ألف ميل وخطوط التلغراف تجاوزت نحو خمسة آلاف
ميل، وهى أرقام لا يستطيع أحد إنكارها، أو الالتفاف حولها، أو التشكيك فى
صحتها.

والخديو إسماعيل هو أيضاً الذى أسس الجمعية الجغرافية، كما أنه هو الذى نهض بتحديث فنون الطباعة، وتولى استكشاف منابع النيل، والقضاء على تجارة الرقيق.

وفى ظل عهد إسماعيل أقيم نحو ٤٨١٧ مدرسة، وجعل اللغة العربية هى اللغة القومية الأولى ولغة الكتابة الرسمية للبلاد، أضف إلى ذلك دوره البارز فى بناء وإنشاء دار الكتب المصرية ودار العلوم والمتحف المصرى الذى بات قبلة للوفود السياحية فى مصر حالياً، والخديو إسماعيل هو الذى قام بتفعيل فكرة تأسيس البنوك القروية لإقراض الفلاحين ومساعدتهم.

إنه هو الذى أقام حديقة الحيوان فى الجزيرة والأسماك بالزمالك والأزبكية والروضة والمنشية والظاهر واليابانية والعديد من الحدائق المنتشرة فى ربوع مصر. هذه نماذج من أعمال الخديو إسماعيل، وإن كنا لا نغفل عن خطاياهم، وعلى رأسها تراكم الديون فى عهده، وتبذيره وإسرافه خلال إقامة حفلات وسهرات لأصدقائه من الأجانب، والحرص على دفع أموال باهظة كرشوة للسلطان ضماناً لبقائه وتوريث ابنه فى تولى مقاليد الحكم، فضلاً عن مصاريفه الباهظة حتى أنه قد دعا ألف مدعو من بلاد أوروبا فى حفل افتتاح قناة السويس، وهو ما أدى إلى تضخم الديون حتى أن بريطانيا لجأت لشراء جزء من سندات قناة السويس عام ١٨٧٠؛ حتى باتت تتحكم فى إدارة شؤون البلاد تمهيداً للتدخل العسكرى فى عهد ابنه توفيق.

وأمام الأزمة الخانقة التى تعرضت لها البلاد اضطر إسماعيل للتنازل قسراً عن العرش والرحيل إلى الأستانة، وذلك عام ١٨٧٩ لتنتهى حقبة تاريخية مشيرة للإعجاب والدهشة أيضاً.

زوجات الخديو إسماعيل ومستولداته

- ١ - فريال هانم: وقد رزق منها فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ - ٢٦ مارس سنة ١٨٦٨ الملك فؤاد الأول والد الملك فاروق فى ٢٣ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٥ ، وقفت فريال هانم نحو ٨٢٦ فدانا بمديرية الشرقية (مركز منيا القمح) على نفسها طوال مدة حياتها، ثم على ذريتها عقب وفاتها.
- ٢ - شفق نور هانم: ورزق منها فى ١٠ رجب ١٢٦٨ - ٣٠ أبريل ١٨٥٢ الخديو توفيق، ولها وقف على الحرمين الشريفين حرم مكة المكرمة وحرم المدينة المنورة.
- ٣ - نور قلك هانم: وقد رزق منها فى ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ - ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ السلطان حسين كامل الذى تولى السلطة فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ (٢ صفر ١٣٣٣)، وتوفى فى ٢٢ ذى الحجة ١٣٣٥ - ٩ أكتوبر ١٩١٧.
- ٤ - مثل ملك هانم: ورزق منها فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧١ - ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٥٤ الأمير حسن باشا.
- ٥ - جناتيار هانم: رزق منها الأمير إبراهيم حلمى عام ١٢٧٧ هجرية ١٨٦٠ ميلادية، والأميرة زينب هانم عام ١٨٥٩.
- ٦ - جهان شاه قادين: وقد أنجبت له الأمير محمود حمدى فى عام ١٢٨٠ هجرية ١٨٦٣ ميلادية.
- ٧ - شهرت فزا هانم: وقد رزق منها الأميرة توحيدة أو (نفيدة) فى ٢٣

رمضان عام ١٢٦٦ - ٢ أغسطس سنة ١٨٥٠ ، والأميرة فاطمة فى ٢٥
شعبان سنة ١٢٦٩ - ٣ يونية ١٨٥٣ .

٨ - مثل جهان قادين : أنجبت له الأميرة جميلة فاضلة فى عام ١٨٦٩ ،
وتوفيت فى دار السعادة .

٩ - نشئة دل قادين : رزق منها الأميرة أمينة فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٠ ،
والأميرة نعمت (مختار) فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٦ ، وللأميرة نشئة
دل وقف مشهور يحمل اسمها فى مديرية الشرقية مساحته ٢٠٣٨
فداناً ، وتوفيت فى مصر ٢٥ جمادى الآخر ١٣٤٢ - ٣٠ يناير
١٩٢٤ .

١٠ - بزم عالم : (عجز المؤرخون عن الحصول على أية معلومات بشأنها .

١١ - جشم آفت هانم : (نفس الأمر) .

١٢ - حور جنان قادين : أنجبت له الأميرة أمينة فى عام ١٢٨١ - ١٨٦٤ ،
ووقفت ١٠٥٠ فداناً ، وآخر ٢٤٩ فداناً ، وثالثاً ٤١٣ فداناً بمدينة
الغربية .

١٣ - فلك ناز قادين : رزق منها الأمير رشيد بك فى عام ١٨٦٩ .

١٤ - جمال نور قادين : أنجبت له الأمير على جمال باشا فى ١٨٧٥ .

* * * *

الملك فؤاد

«عاش فؤاد بسبب الديون وقبل اعتلائه للعرش رافضاً ومرفوضاً كارهاً ومكروهاً ثائراً ومكبوتاً ينشد الخلاص من أحواله ويتطلع للارتقاء بأحواله ويحلم بفك أغلاله ولذلك راح يفكر ويتأمل لعله يتمكن من النهوض والانطلاق والثورة والتمرد على مارد الفقر وشبح الإفلاس الذي سكنه وطارده واعتاد إذلاله»

الملك فؤاد

ولد الملك فؤاد نجل الخديو إسماعيل ووالد الملك فاروق فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة ١٢٨٤هـ - ٢٦ مارس ١٨٦٨ ميلادية، وقد جاءت لحظة ميلاده شبيهة بلحظات الولادة المتعسرة حيث انتقلت دقة الحكم من والده الخديو إسماعيل. عقب تنازله عن العرش قسراً وجبراً بأوامر أصدرها الباب العالى بالاستئانة لتراكم الديون التى أمست خطراً جسيماً يهدد مصر بتدخل أجنبى حدث بالفعل فى عهد ابنه الخديو توفيق، وذلك عملاً بنظام توريث الحكم الذى استحدثه إسماعيل وطبق عملياً فى عهد توفيق، ومن بعده ابنه الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٩١ - ١٩١٤).

وعقب انفجار شرارة الحرب العالمية الأولى التى تنشرت شظاياها، وتوهجت فى كل اتجاه، تغيرت منها ومعها أحوال العالم، وبالتالي لم تكن مصر بمنأى عن هذا التغير؛ إذ قررت الدولة العثمانية آنذاك ضرورة الانضمام إلى ألمانيا وحلفائها ضد بريطانيا ومن يدور فى فلكها.

على أثر ذلك قررت إنجلترا ناديب تركيا، وذلك بإعلان فورى عن فرض حمايتها على مصر على أن تركيا من جانبها قد تمسكت بموقفها وتفعيل قرارها، وهو ما أدى بوزير الخارجية البريطانى لتصعيد حالة الغضب الرسمى، وراح يصدر قرارات اتسمت بالعصبية فكانت صارمة وصادمة، ومنها على سبيل المثال ما أدى إلى عزل الخديو عباس حلمى الثانى^(١) وانتقال العرش إلى عمه حسين كامل بن إسماعيل.

(١) بعد إعلانه الانضمام إلى المحور الألمانى.

الشاهد أن حسين كامل قد امتعض هذا السلوك البريطاني السافر والمتعجرف والمهين، وراح يعلن عن رغبته وأمنيته في الحصول على بيعه جلية نقية من أبناء أسرة محمد علي ومن كبار الأعيان والعمد ومشايخ المدن والقرى المصرية دون ضغط أو إكراه حتى يطمئن قلبه بأن اعتلاءه للعرش جاء نزولاً على رغبة آل محمد علي، وتعبيراً عن إرادة الأمة، وتجسيداً لسيادة قرارهم بدلاً من المجيء على أسنة رماح بريطانيا، وخوفاً من سيوفها وهو ما اعتبره الإنجليز تجاوزاً وخروجاً على الخطوط الحمراء وعلى ما هو مألوف من أسرة محمد علي.

واقع الحال أن هذا التصرف كان بالفعل غريباً على أفراد الأسرة العلوية الذين يتكالبون على العرش دون خجل أو ملل، وهو ما جعل وزير خارجية بريطانيا يتميز غيظاً ويستشيط غضباً حتى أنه قد بعث بخطاب شديد اللهجة إلى حسين كامل هددته من خلاله بإلغاء الحكم نهائياً من أسرة محمد علي إذا مضى على هذا النحو الشاذ، ولأن حسين كامل قد استخف بتهديد الخارجية البريطانية، وأصر على إتمام رغبته فقد كلفت الخارجية البريطانية بواسطة القنصل الإنجليزي أحد أثرياء الصعيد ووجهائه ويدعى محمود باشا سليمان بتوليته سلطاناً على البلاد بدلاً من حسين كامل، بيد أن محمود باشا سليمان قد رفض قبول هذا العرض خوفاً من اتهامه بمحاباة الإنجليز، وهو ما دفع ابنه محمد محمود رئيس الوزراء في عهد فؤاد وفاروق أن يقول أمام الملك فؤاد في ثقة وثبات رداً على هجوم عنيف شنه عليه وعلى والده:

[أنا ابن من عرض عليه الملك فأبى] وهى العبارة التى أخرست فؤاد وألجمته بعد أن سأل محمد محمود أنت ابن من ومن هو أبوك؟!]

على أية حال.. تراجع حسين كامل ورضخ لمطالب الإنجليز بعد أن تبين له صدق تهديداتهم، ومن ثم استجاب للتوجيهات والتعليمات حرصاً على عرش

أسرته، وخوفاً من زواله وتولى عرش السلطنة فى عام ١٩١٤، وقد أصدر فرماناً بتعيين نجله الأمير كمال الدين حسين ولياً للعهد فى حال عودته من لندن بعد انتهاء دراسته العلمية، وكان مشيراً للدهشة آنذاك رفض الأمير كمال الدين حسين العودة إلى مصر احتجاجاً على تعيينه ولياً للعهد حيث كان يرى أنه لا يميل إلى الجاه والنفوذ والسلطان رافضاً قيود العرش وبروتوكولاته قانعاً بما بين يديه حتى بدا للجميع أسطورة قلما يجود الزمان بمثلها خاصة حين قال فى بساطة وثقة: [إننى متزوج من أجمل امرأة، ولدى أجمل جواد فماذا أريد من الدنيا بعد ذلك؟] لقد كانت كلماته طلقات لكلمات لدغات صفعات لطمات رصاصات على وجه كل من سولت له نفسه القفز والوثوب والانقضاض على العرش بالدسائس والمكائد والوشايات والمؤمرات دون أن يعبأ أحدهم بصلة رحم أو وشائج قرى أو رابطة دم أو بما بين يديه من نعم وخيرات.

لقد رفض هذا الشاب جاه السلطة ونفوذها وبريق العرش ووجاهته، وقد بعث بخطاب لوالده السلطان حسين كامل أو قل وثيقة تاريخية أو سبيكة ذهبية مخطوطة بماء الزهد وبحروف لامعة متوهجة روحانية يقول فى رسالته: [يا صاحب العظمة السلطانية:

ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم السلطة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثه العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثه عرش السلطنة منحصرة فى الأكبر من الأبناء، ثم بعده الأكبر أبنائه، وهكذا على هذا الترتيب، وإنى لأذكر لعظمتكم هذه المنه الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى. أعلن أننى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل مقتنع كل

الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكتنى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد، وإنى بهذه الصفة أقر الآن بتنازلى عن جميع ذلك، وأنى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام.

القاهرة فى ٨ أكتوبر ١٩١٧

ابنك:

كمال الدين حسين

«انتهت الوثيقة»

كان لافتا للانتباه أن هذه الرسالة التاريخية قد وردت إلى قصر عابدين قبل وفاة السلطان حسين كامل^(١) بساعات قليلة الأمر الذى أدى إلى ارتباك شديد داخل القصر الملكى حيث كان الأمير الزاهد كمال الدين حسين هو الابن الوحيد لوالده (ذكراً) فقد توفى شقيقه أحمد كاظم فى ١٥ أبريل ١٨٨٤ عن عمر يناهز أربع سنوات فقط، بينما ظلت شقيقاته على قيد الحياة وكانت الأميرة (كاملة) كبرى شقيقاته، وقد توفيت عام ١٨٩٥، وبعدها الأميرة (كاظمة) التى توفيت فى ١٩٣١ عن عمر يناهز أربعة وأربعين عاماً ثم الأميرة (قدرية) التى ولدت فى ١ يناير ١٨٨٨، وبعدها الأميرة (سميحة) المولودة فى ٧ يوليو ١٨٨٩، ثم الأميرة (بديعة) المتوفية ١٩١٣، ولأن نظام التوريث كان ينتقل إلى الذكور، فقد اندثر من بيت حسين كامل، وانتقل إلى شقيقه الأمير

(١) توفى نتيجة إفراطه فى تناول الطعام فى إحدى الحفلات الرسمية.

أحمد فؤاد الذى لم يكن يأمل، أو حتى يتطلع إلى هذا العرش ظناً منه أن الأمير كمال سيعود لتوه من لندن لتولى السلطنة خلفاً لوالده، وهكذا شهد فؤاد ليلة القدر، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره حين تلقى خطاباً رسمياً بخلافة شقيقه السلطان حسين كامل ليحمل لقب السلطان فؤاد بعد أن كان الأمير أحمد فؤاد.

أول ملوك مصر:

بعد أن تولى السلطان فؤاد مقاليد الحكم ومفاتيح العرش للسلطنة المصرية شهدت البلاد فى عهده تطورات عالمية خطيرة، ومتغيرات ما من شك كانت مؤثرة ومشيرة لعل كان أبرزها نفى سعد زغلول زعيم الأمة على يد الإنجليز، وما أعقب ذلك من اندلاع ثورة ١٩١٩، وتعاقب الحكومات وحل البرلمانات، ثم صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أكد اعتراف بريطانيا باستقلال مصر شريطة إجراء مفاوضات ثنائية بين الطرف المصرى من جانب ونظيره البريطانى من جانب آخر بهدف الوصول إلى حل دائم يرضى الجميع، وهى حجة تذرعت بها إنجلترا للمماطلة والتباطؤ فى الخروج النهائى من البلاد.

كما شهدت مصر أيضاً فى تلك المرحلة الفؤادية مسألة تأسيس الدستور حيث صدر فى عهده دستور ١٩٢٣ خاصة وأن مصر قد تحولت إلى مملكة دستورية مستقلة بعد إعلان الاستقلال ورفع الحماية البريطانية ليتوج فؤاد أول ملك فى تاريخ البلاد.

لقد حرص الملك فؤاد أثناء فترة حكمه للبلاد على ترسيخ قواعد ونظم وآليات توريث العرش الملكى فى البلاد إلى ابنه فاروق، وذلك إيثارة للسلامة وتفادياً لأية نزاعات أو صدامات قد تقع حال وفاته، خاصة وأن الأمير محمد

على بن الخديو توفيق يتطلع إلى الوثوب على العرش حيث كان يرى أن أسرته جديرة به بدلاً من أسرة فؤاد.

من أجل هذا وذاك جعل فؤاد وراثته العرش مستمرة لابن ملك البلاد، وفي حالة عدم إنجاب الملك (ولد ذكر) يتقل العرش إلى أبناء أسرة محمد علي، وبذلك تأكد لكل ذي عينين أن فاروق هو الملك القادم خلفاً لأبيه طبقاً لدستور معدل وآليات مستحدثة ومواد طارئة، وهو ما يتناقض بالطبع مع ما سبق الإشارة إليه من نموذج الأمير الزاهد كمال الدين حسين الذي أدار ظهره لفتنة العرش ومباهجه وصولجانه، فعاش رمزاً للكرامة وخالداً في صفحة التاريخ الإنساني كقدوة ونبراس للزاهدين القانعين.

* * * *

حياة فؤاد:

[كان الملك فؤاد قبل اعتلائه العرش مجرد أمير صعلوك يشكو عسرة الحال ويهجو سوء الأحوال التي يعيشها حيث كان أقل أبناء الخديو إسماعيل ثراءً ونفوذاً، وإن كان أكثرهم وأبرزهم بذخاً وإسرافاً وتبذيراً فتبدد ما آل إليه من أسرته، وهو قليل رغم أن والدته الأميرة فريال قد وقفت نحو ٨٢٦ فداناً بمديرية الشرقية (مركز منيا القمح) على نفسها مدة حياتها وعلى ذريتها حال وفاتها].

[واقع الأمر أن الأمير أحمد فؤاد الذي نال علومه السياسية والعسكرية في العاصمة الإيطالية روما تحت عناية ورعاية آل سافوي ملوك إيطاليا وأصدقاء والده الخديو إسماعيل، قد اكتسب عادات وتقاليد غربية أرهقته كثيراً فيما بعد حيث عاد مبكراً إلى مصر للبحث عن دور أو وظيفة تليق بأمير عائد لتوه من قصور آل سافوي، وابن الخديو إسماعيل وشقيق سلطان البلاد، لكنه عجز عن

تدبير وظيفة تليق به حيث كان يتصف بالغرور والصلافة، وراح شأنه فى ذلك شأن بعض أفراد الأسرة العلوية فى إدمان الخمر وعشق النساء وممارسة القمار، وكان فى ذلك يقتفى أثر والده الخديو إسماعيل وآل سافوى].

[ولأن الأمير أحمد فؤاد لم يكن من الأثرياء الصالحين، فقد مضى فى عريذته ورعونته وتبذيره حتى غاص فى أحوال الديون التى كبته وحاصرته بأغلالها، فعاش أسيراً لها، ومن ثم لم يكن مستغرباً أن يقترض من سائقه وخادمه وحارسه وبارمان فندق شبرد ويأخذ الملابس النسائية المثيرة التى كان يهوى اقتناءها وإهداءها لعشيقاته!!]



عاش فؤاد بسبب تلك الديون الباهظة بين الناس رافضاً ومرفوضاً كارهاً ومكروهاً ثائراً ومكبوتاً ينشد الخلاص من أحواله، ويتطلع للارتقاء بأحواله ويحلم بفك أغلاله، لذلك راح يفكر ويتأمل لعله يتمكن من النهوض والانطلاق والثورة والتمرد على مارد الفقر وشبح الإفلاس الذى طارده وسكنه واعتاد إذلاله.

خطرت فى بال وعقل فؤاد فكرة الزواج من منطلق الإيقاع بفريسة تتمتع بثراء شديد تسدد له ديونه المتراكمة، وتخرس ألسنه الذين تطاولوا عليه، وليس من باب سد الفتنة أو استكمال نصف الدين، فلم يكن فؤاد بطبعه يميل إلى الالتزام أو الانضباط السلوكى، بل كان بطبعه يعشق السمر ويهوى السهر ولا يمل من الانحناء أمام موائد القمار أو النساء أو كليهما معاً.

وربما صاح فؤاد كما صاح من قبله أرشميدس قائلاً: «وجدتها وجدتها» وبالفعل كانت تلك العروس أو قل طوق النجاة أو الفانوس السحري أو بساط

الريح على بعد خطوات من منزله علاوة على أنها واحدة من أشهر أميرات الأسرة العلوية من حيث الثراء والعزوبة، فالأميرة شويكار هي ابنة الأمير أحمد رفعت نجل إبراهيم باشا، وشقيق الخديو إسماعيل أى أنه عم الملك فؤاد أيضاً، وقد لقي مصرعه فى حادث سقوط قطار بمدينة كفر الزيات فى ١٥ مايو ١٨٥٨ تاركاً وراءه ثروة طائلة لأبنائه كانت بينهم الأميرة شويكار، وشقيقتها الأميرة عين الحياة أحمد زوجة السلطان حسين كامل شقيق فؤاد، وقد تزوجت فى ١٥ يناير ١٨٧٣، وطلقت فى عام ١٨٨٥، ثم توفيت فى ١٢ أغسطس عام ١٩١٠، وأنجبت منه الأمير كمال الدين عام ١٨٧٤، ثم الأميرة كاظمة عام ١٨٧٦، والأميرة كاملة عام ١٨٧٧، ثم الأمير أحمد كاظم عام ١٨٧٩.

كما كان للأميرة شويكار شقيق آخر يدعى الأمير سيف الدين، وقد ادعى البعض أنه كان يعشقها إلى حد الجنون حتى أنه أودع فى مصحة نفسية بعد محاولته الفاشلة فى اغتيال فؤاد زوج شقيقته، وسوف نستعرض الدوافع التى أدت إلى ارتكاب هذا الحادث.

على أية حال تم عقد القرآن بين الأمير فؤاد، وابنة عمه الأميرة شويكار وذلك عام ١٨٩٥، وطبقاً لما هو مرسوم ومخطط فى أجندة فؤاد التأميرية، فقد أغدقت عليه زوجته بأموالها وهداياها وعطاياها وحنانها وعطفها حيث كانت تكبره بسنوات، فضلاً عن فشلها المتكرر وحظها التعس فى زيجاتها السابقة، وهو ما دفعها للحرص والحفاظ على زيجة فؤاد تجنباً وتفادياً للقليل والقال الذى اشتهرت به صالونات قصور وبيوتات أسرة محمد على باشا.

مضت العلاقة بين فؤاد وشويكار على وتيرة هادئة طوال عامين كان فؤاد خلالها لا يتخلى عن ممارسة لعب القمار ومعاودة السهر، وما ترتب عليه من

آثام، وكانت شويكار على استعداد قبول وتحمل إنفاقه وإسرافه وتبديده
 لأموالها، أو شرايه للكحوليات، كما كان بوسعها أن تغفر له بذاءة لسانه وسوء
 بيانه، وبالفعل صبرت وثابتت وسكتت وتحملت حتى بلغها بأنه مع غواني
 فندق شبرد وعلاقته الشهيرة مع مدام سورا اليهودية التي تطلع للزواج منها
 لولا زواجها وديانتها حتى نقد صبرها وضاق صدرها فانفجرت الخلافات
 وتفاقت المشاجرات إلى أن منعها من مغادرة غرفتها، وقد أوسعها ضرباً
 بالكرباج مصحوباً بلعنات وشتائم وبيداءات، وقد روى أحد حراسه أنه جذبها
 من شعرها على درجات سلم قصر الزعفران أمام خدمها وحراسها دون أن يعبا
 بمكانتها وقيمتها..

مثل أى امرأة ضاقت شويكار ذرعاً بهذا الزوج السفیه العرید الخائن، وهى
 التى انتشلت من وحل ديونه بعد أن ضاقت به الدنيا، وبدلاً من رد جميلها راح
 يخونها ويرتمى فى أحضان غيرها، فلماذا تتحمل ولمصلحة من إذن؟ خوفها من
 أقاويل صالونات محمد على فلتذهب إلى الجحيم كل هذه الأقاويل حتى تنصير
 لكرامتها وعزتها، ثم إن بذاءة فؤاد وسفالتة واعتدائه عليها بالكرباج أمر لا
 يمكن تحمله أو السكوت عليه، ولعل هذا كان السبب المباشر فى اعتداء شقيقها
 الأمير سيف الدين على فؤاد، وذلك بإطلاق ثلاث رصاصات عليه استقرت
 الأولى فى قدمه والثانية فى صدره والثالثة فى حنجرتة، وقد تمكن الأطباء من
 استخراج الرصاصتين الأولى والثانية لكنهم عجزوا وفشلوا فى استخراج
 الرصاصة الثالثة التى كانت قد استقرت فى حنجرتة حتى أصبحت مثار تهكم
 وسخرية واستهزاء من الآخرين فمن ادعى أن صوته بدا لسامعيه كفحيح ومن
 زعم أنه كالنباح!!

فؤاد ونازلى:

بعد وقوع الطلاق بين فؤاد وشويكار وإخفاق جميع محاولات الأهل والأصدقاء، وفشلها فى الجمع بينهما مرة أخرى تزوجت شويكار عدة مرات بينما ظل فؤاد عازباً عازفاً فى ملذاته ونزواته وشهواته وسهراته خاصة وأنه قد استطاع توفير مبلغ هائل من المال أثناء زواجه من شويكار تحسباً لسنوات ما بعد الانفصال حيث كان يرى أنه لن يتحمل مستقبلاً قيود الزواج وأغلاله، وأنه سرعان ما سوف يعود مرة أخرى كعصفور يغرد على جميع الأشجار دون محاسبة أو مساءلة أو مداخله من أحد.

فى تلك الفترة الانتقالية فى حياة فؤاد قام الخديو عباس حلمى الثانى بتعيينه كبيراً للياوران، وذلك نظير راتب بلغ نحو ثمانين جنيهاً شهرياً، وذلك حتى يتسنى له أن يعيش عيشة كريمة ورغدة تليق بأحد أبناء الأسرة العلوية، بيد أن فؤاداً كعادته كان مسرفاً شديد الإسراف مبذراً إلى أقصى حدود التبذير.



وفى أعقاب وفاة شقيقه السلطان حسين كامل المفاجئة إثر التهامه وجبة طعام دسمة، وبعد إعلان ابنه كمال الدين حسين رفضه التاريخى لتولى العرش تلقى فؤاد خطاباً رسمياً من القنصل البريطانى بتوليه العرش خلفاً لشقيقه.

ومنذ طلاق فؤاد وشويكار عام ١٨٩٨، وحتى توليه العرش عام ١٩١٧ كان فؤاد عازباً مضرباً عن الزواج طوال تلك الفترة حتى بعد أن وثب على أريكة العرش فى عام ١٩١٧.

وفى عام ١٩١٩ أشار عليه خالصاً ومعاونيه بضرورة الارتباط بزوجة تنجب له ولداً يرث عرشه من بعده حتى لا ينتقل إلى غريمه الأمير محمد

على ابن الخديو توفيق الذى يتربص ويتنظر اللحظة المناسبة للوثوب على العرش.

وربما لهذا السبب أو لأسباب أخرى من بينها الاستقرار أو الواجهة الاجتماعية استجاب فؤاد لنصيحة معاونيه، وأمرهم بالبحث عن عروس من أبناء الشعب تتمتع بذكاء وجمال وأنوثة، ولم يسبق لها الزواج فضلاً عن انتمائها لأسرة عريقة لا يشترط أن تكون من أسرة محمد على، وعلى أن تليق بعظمة السلطان وبعرش البلاد بوصفها السلطنة الجديدة.

وعلى قدم وساق تم البحث والتحري والاستكشاف حتى وقعت واستقرت عيون رجاله على الانسة الفاتنة والجميلة نازلى ابنة عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية.

كانت نازلى قد فرغت من دراستها وأتمت تعليمها فى إحدى المدارس الفرنسية، وقد توفت والدتها مبكراً فعانت الوحدة واكتوت من العزلة، وتاقت إلى الزواج عوضاً عن فراغها ومللها.

وحين بلغ نبأها لعظمة السلطان فؤاد أرسل رسوله إلى والدها ليخبره بعزمه على الزواج منها، وقد فوجئ والدها بما قصه عليه رسول السلطان حتى كاد الرجل أن يسقط مغشياً عليه، فبدأ كمن أصيب بالتولة لا يدرى أيحزن أم يفرح؟

لقد كان عبد الرحيم باشا صبرى يعرف أن فؤاد زير نساء عرييد اشتهر بصولاته وجولاته ورحلاته مع عشيقاته، وأن رائحته قد فاحت، ثم إنه يكبر ابنته بسنوات عديدة، وقد سبق له الزواج من ابنة عمه شويكار، وروى عن تلك الزيجة ما يدفع أى عاقل للرفض دون تردد، ولكن هل يجرؤ عبد الرحيم

باشا على رفض هذه الرغبة السلطانية، ولما لا تتزوجه ربما يكون قد توقف عن نزواته خاصة وأنه قد جاوز الخمسين من العمر، وعلى أية حال فسوف تصبح نازلى سلطنة البلاد وسيدة القصور والضياع والأملاك التى بدأ فؤاد يضع يده عليها منذ اعتلائه العرش.



الواقع أن الأقاويل التى تناثرت حول هذا الزواج قد راجت وشاعت بين الناس فيما بعد فمن زعم أن نازلى رفضت الزواج من السلطان لارتباطها مع شاب يدعى شريف شاهين بقصة حب عنيفة وتوى الزواج منه، وأنها هربت بصحبته قبل إتمام زفافها على السلطان بساعات، وأنها عادت مرة أخرى بعد مطاردة رجال حاشية السلطان لها وإلقاء القبض على حبيبها، ومن ادعى أنها وافقت على الفور حيث كانت طامحة متطلعة حاملة بالجاه والسلطة والنفوذ، فهى حفيدة (سيف وانلى) أو سليمان باشا الفرنساوى الضابط الفرنسى الذى استدعاه محمد على لتولى مهام تدريب الجيش المصرى.

والحقيقة أننى أميل إلى ذلك الرأى، لأننى لا أتصور أن السلطان فؤاد سيقبل أن يتزوج من فتاة هربت قبل زفافها بساعات مع عشيقها أو حبيبها، ثم يتمسك بالزواج منها فى فضيحة لا تتواءم مع العقل والمنطق.

أغلب الظن أن نازلى كانت تربطها علاقة حب مع شاب أو آخر وانتهت حال بلوغها نبأ زواج السلطان منها طمعاً فى العرش وحباً فى النفوذ والسلطة مثل أى فتاة فى هذا السن المبكرة.



على أية حال تم الزواج بين فؤاد ونازلى وعاشا معاً والحب والغيرة تجمعهما، خاصة وأن فؤاداً زير النساء الشهير لا يثق فى امرأة قط بعد أن التقى

سراً بالعديد منهن . ومن ثم أخذت تميز بين هذه وتمت وصارت كنهن بغايا وغيبات وحدثات ، ولذا نازلي كانت جبهة ردة لها تزمها عرفة نومها وأصدر أوامره بعدم خروجها منها حتى لا يراها حرسها ، وإن كانوا من الطواشي^(١) .

من جانبها أحست نازلي هي الأخرى بالغيرة على زوجها الذي كانت رائحة الخيانة تفوح منه وتظهر علامتها كلما وقعت عينها على فتاة متفخخة البطن من خادعات وعبيدات القصر الملكي . . هكذا زعموا وادعوا وإن كنت بدوري لا أبرئ السلطان فؤاد من ذلك إطلاقاً .

وبغض النظر عن سوء أو حسن العلاقة بين فؤاد ونازلي وما تنأثر حول كراهية نازلي لزوجها الذي عجز عن إشباع رغباتها ، أو غير ذلك من تلك الأقاويل التي كان يتعذر على أحد معرفتها مهما كان موقعه في داخل القصور الملكية أقول رغم كل هذه الادعاءات أن العلاقة بينهما أثمرت عن إنجاب العديد من الأبناء الذين بدأت أسماءهم بحرف الفاء تيمناً باسم والدته السلطان فؤاد الأميرة فريال زوجة الخديو إسماعيل .

وقد أنجبت نازلي خمسة من الأبناء ظني إن دل ذلك على شيء فقد دل وبرهن على أن العلاقة بين فؤاد ونازلي كانت على عكس ما شاع البعض عنها ، خاصة وأن سنوات الولادة بين الأبناء كانت متقاربة إلى حد كبير بما يؤكد إلى أن ما قيل كان من قبيل الأكاذيب والافتراءات .

ففي ١١ فبراير ١٩٢٠ ولد الملك فاروق ، ثم في ٥ فبراير ١٩٢١ ولدت الأميرة فوزية ، وفي ٨ نوفمبر ١٩٢٣ ولدت الأميرة فائزة ، وفي ٨ يونيو ١٩٢٦

(١) العيد الحشيان .

ولدت الأمير فائقة، وبعد ذلك ولدت آخر عنقود الأسرة الفؤادية الأميرة فتحية، وذلك في ١٧ ديسمبر عام ١٩٣٠.

تجدر الإشارة هنا إلى أن فؤاداً كان قد أنجب من زوجته الأميرة شويكار ولداً يدعى إسماعيل ولد بعد عام من زواجه ومات بعد عام من ولادته، ثم أنجب أيضاً الأميرة فوقية عام ١٨٩٧.



في أحضان تلك الأسرة الدافئة مضت سفينة زواج فؤاد ونازلى حتى لفظ الملك فؤاد أنفاسه الأخيرة في عام ١٩٣٦، وبين عام ١٩١٩ عام زواجه وحتى رحيله كانت العلاقة شأن أى زوجين تدور بين المناوشات والمداعبات، واللين والشدّة، والشوق والملل، والأمل والألم، والبأس والرجاء، والحب والكراهية والغيرة والشك، ودفء الأولاد قبل وبعد كل هذه الظواهر.



الملك فاروق

«كن رجلاً كالرجال.. عبارة ظلت تدق رأس فاروق بعد أن
ترددت على لسان والده فؤاد الذي كان معروفاً بقسوته وغلظته
وجبروته وطفيانه واستبداده»

مولده ونشأته

ولد فاروق في ١١ فبراير ١٩٢٠ بسرّاي عابدين كأولى ثمار زواج فؤاد ونازلي، وبقدومه السعيد نام الملك فؤاد ليلته قرير العين هادئ البال مسرور الحال سعيد النفس بعد أن اطمئن قلبه ببقاء العرش وامتداده في محيط أسرته، وإفشال مخطط ابن عمه الأمير محمد علي ابن الخديو توفيق ليصبح بذلك فاروق الأول ابن فؤاد الأول ملك مصر القادم.

وكما هو شائع ومعروف فإن نشأة أطفال القصور الملكية تختلف اختلافاً كلياً عن نشأة أقرانهم من أطفال الأسر الوطنية بسائر طبقاتها وثقافتها. ففي داخل القصور الملكية لا ينبغي - وذلك طبقاً للأعراف والعادات والتقاليد والبروتوكولات والوجاهة الاجتماعية - أن تتولى الملكة الأم مهام تربية طفلها وتدير شؤونه، كما لا يجوز لها أن تدله أو تداعبه أو تلاطفه كسائر الأمهات، وإنما تتولى تلك المهام الإنسانية الدافئة والريقة مربيّات أجنبيّات سويسريّات وإنجليزيّات وإيطاليّات!!!

وكأى طفل ملكى تربيّ فاروق بعيداً عن أحضان والدته، ففقد دفء مشاعرها وحنانها وعذوبتها ورقتها، ومن ثم عاش في كنف مربيّات أجنبيّات حنانهن مصطنع ورقتهن لا تخلو من شبهة نفاق أو مجاملة.

ورغم أن غرفة نوم فاروق لم تكن تبعد بأكثر من خطوات من غرفة والدته، لكنها بدت في عينيه، وكأنها على بعد آلاف الأميال فقضى طفولته وفقاً لقواعد جامدة، ونظم باردة، وتعليمات مشددة، ولهجات متضاربة، ولغات متعددة، ولكنات متناقضة، وعيون مختلفة، وألوان متداخلة ووجوه من

أنحاء شتى إيطاليات سويسريات مصريات إنجليزيات فرنسيات تركيات
سودانيات نوبيات.



وبسبب تلك التناقضات والتضاريات والقواعد الصارمة والتوجيهات الحارمة
لم يكن فاروق طفلاً سعيداً حيث كان يتطلع إلى حياة الآخرين وحياتهم، كما
كان يأمل أن يتحرر من قيود مربياته وأغلال معلميه كان تواقاً للسفر في صحبة
جماعية دون قيد أو شرط، ويتمنى الذهاب إلى المدرسة بدلاً من تأتي هي
إليه.

كان الطفل متلهفاً أيضاً على الانغماس في ممارسة الرياضة الجماعية مع
زملاء المدرسة، ومتشوقاً للتردد على بيوتهم دون خوف أو حرج.
وربما تجمعت فيما بعد كل هذه الأمنى والتطلعات معاً في عقل وقلب
فاروق كأنها مظاهرة حاشدة ضد سجنه الملكي الذي ترعرع في زنزانه الفخمة
وقيوده المصنوعة من الذهب وسلاسله المحلاة بالماس وأغلاله المغموسة في
الياقوت.

وربما أيضاً كان ذلك دافعاً وسبباً جوهرياً لاندفاع فاروق لممارسة كافة
النزوات والشهوات والهفوات والملذات، والقفز فوق أسوار القيم والأخلاق
انتقاماً من طفولته التعيسة التي كانت حافلة وتميزة بالمحظورات والممنوعات
والمحرّمات.

طفولة عاشها كافة الملوك والأمراء الذين حالت نشأتهم من ممارسة حياتهم
كما ينبغي لها أن تكون، ومن ثم لم يكن مستغرباً أو لافتاً للانتباه أن تبدو لنا
وجوه أبناء القصور الملكية وكأنها مصنوعة من نحاس أو قصدير أو من رخام أو

بورسلين فهى باردة جامدة كجليد سبيريا، كما تخلو من الحياة وتفتقد للروح تماماً مثل إنسان ألى .



«كن رجلاً كالرجال» عبارة ظلت تدق رأس فاروق بعد أن ترددت كثيراً على لسان والده فؤاد الذى كان معروفاً بقسوته وغلظته وجبروته وطغيانه واستبداده، بينما كانت أمه نازلى تتميز بالحنان والعذوبة، لكنها لا تستطيع كما سبق وأن أشرنا أن تترجم هذه المشاعر حتى لا يتعارض ذلك مع تربية ونشأة ملك البلاد القادم طبقاً لمناهج القصور الملكية!!

وفى الوقت الذى يستطيع فيه الملك فؤاد تأنيب وتأديب وتهذيب ابنه فاروق بالشدة والقسوة والعنف لم يكن أحد يسمح لنازلى أن تحنو على ولدها أو حتى تطبع قبلة حانية على خده بحجة أن هذه السلوكيات الإنسانية من شأنها أن تفسد الطفل، ومن ثم قد يتأثر فيما بعد وقد لا يستطيع أن يمسك بزمام الأمور على من حوله أو ترهيبهم وإثارة الخوف فى نفوسهم كملك للبلاد، وذلك فى منضدة عريقة مزركشة بالورود والفضيات النادرة ومن خلفه يقف خادمان نوبيان يرتدى كلا منهما ثياباً خضراء اللون وقفازات بيضاء، وغالباً ما يكون الدجاج المشوى والفاصوليا الخضراء وكعكة الشيكولاتة وعنقود العنب هى الوجبة التى اعتاد فاروق على تناولها.

بعد أن ينتهى من تناول وجبة طعام الغذاء ترافقه مسز جيروا إلى غرفة نومه لمعاونته فى خلع ملابسه، ثم يستسلم للفراش لمدة ساعتين ليستيقظ بعد ذلك، ثم تأتى مسز جيروا مرة أخرى لمساعدته فى ارتداء ثيابه الرسمية والمكونة من بدلة حريرية خضراء اللون محلاة بياقات وأساور بيضاء لينضم بعدها إلى شقيقاته الأميرات لممارسة اللعب داخل الحديقة، بعد تلك الفسحة يتوجه

بصحبة مسز جيروا إلى غرفة والدته الملكة نازلى للجلوس معها لمدة نصف ساعة فقط ينتقل بعدها إلى غرفة نومه، ثم يبدأ الخادم النوبى فى مساعدته فى خلع ثيابه لتناول حمام المساء، ثم تنتظره مسز جيروا على فراشه لكى تقص على مسامعه حدوته ما قبل النوم حتى يستسلم بعدها لسبات عميق، لبدأ يوما جديداً فى هذا القالب المتجمد الذى يبعث على الملل والكآبة كأنه عصفور كنارى يغرد فى قفصه الذهبى يتطلع لكل العصافير التى تخلق من حوله على الأشجار فى حرية وانطلاق.

* * * *

لم تكن مسز جيروا هى المربية الوحيدة التى تولت رعاية وعناية وتربية الأمير فاروق، بل كان هناك الكثير غيرها من أمثال مدام أنا نايلىور وقد كانت أرملة أحد الأطباء الإنجليز فى مقاطعة يوركشير، وقد اتصفت تلك المربية بالحزم والشدة والانضباط، ولعل ذلك كان سبباً كافياً فى كراهية فاروق لها وشكوته منها لخادمه النوبى، بينما كان يحب مسز لوسى سيرجنت الإيرلندية الأصل حيث أغدقت عليه كثيراً برقتها وعطفها وأدبها وتواضعها وطيبة قلبها، فأحبها كثيراً عن سائر المربيات الأخريات.

كان هناك أيضاً الفريق عزيز المصرى الذى كان من أبرز القادة العسكريين ومن دعاة القومية العربية حيث أسند إليه الملك فؤاد مهمة تربية الأمير فاروق تربية عسكرية تتصف بالرجولة والشجاعة والإقدام والصلابة، كما تولاه الرائد طيار أحمد حسنين الذى تولى فيما بعد رئاسة الديوان.

يوم فى حياة فاروق:

كان الطفل الصغير فاروق يستقبل يومه كل صباح بمغادرة فراشه فى تمام

الساعة الثامنة صباحاً بعد أن تبدأ فرقة الموسيقى الملكية عزف السلام الملكي في حديقة القصر بالقرب من نافذة غرفته.

قبل ذلك بدقائق يكون خادمه النوبي الأسمر قد فرغ من تجهيز الحمام وإعداد ثيابه وترتيبها بدقة متناهية. وبعد أن يتناول الأمير فاروق حمام الصباح تأتي مربيته الإنجليزية الجنسية والسويدية الأصل، وتدعى مسز جيروا سجبورج كما أوردت في مذكراتها الخاصة تأتي لمعاونة فاروق في ارتداء ملابسه، ثم تلازمه إلى أن ينتهى من تناول فنجان الشاي مصحوباً بكسرة من الخبز وقليل من الزبد والمربى.

بعد أن يتناول الأمير الصغير وجبة إفطاره يدخل غرفته رئيس فريق الخدم الخاص بعنائه ورعايته في زيه الأحمر المزركش، وهو يقبل الأرض التي يخطو عليها فاروق، ثم سرعان ما ينهض في رشاقة وخفة ليقبل يد الأمير، وبعدها يصحبه في هدوء بالغ إلى حديقة القصر وهو يرفع يده مظلة لوقاية الأمير الصغير من لفحة الشمس أو حمايته من حبات المطر إذا كان خفيفاً.

وطبقاً للتعليمات والأوامر يظل الأمير فاروق جالساً في حديقة القصر حتى يتحلى من خلالها بشيمة التريث والصبر وعدم الاندفاع والتهور والتعجل، ثم تجالس مسز جيروا سجبورج لتروى على مسامعه حكاية أو رواية تحمل من المعانى ما يساعدها على تنمية مهارات الطفل مبكراً، ثم بعد ذلك تقف فرقة الموسيقى الملكية لعزف قطعة موسيقية تتواءم مع حداثة سنه.

وحين يقف عقرب الدقائق معلناً أن الساعة أصبحت الحادية عشر إلا ربعاً تنهض مسز جيروا سجبورج من مقعدها المجاور لفاروق للبدء في ممارسة التمرينات الرياضية حتى تبلغ الساعة الحادية عشر تماماً.

فى تلك اللحظة بالذات ويشكل يومى لا يتسرب إليها الملل تتولى مسز جبروا يد الأمير الصغير، ثم تبدأ فى تمشيط شعره، وبعدها تصحبه إلى غرفة والدته الملكة نازلى لمصافحتها والتحدث إليها لمدة ساعة، ثم يغادر غرفتها بصحبة مسز جبروا إلى قاعة الطعام الملكية لكى يتناول طعام الغداء بمفرده الديوان الملكى لفؤاد ومن بعده فاروق - تولى مهمة تربيته ورعايته فى أثناء دراسته بلندن.

ولعل كل هذه الشخصيات المختلفة والمتناقضة قد أدت إلى انشطار وانقسام فى شخصية فاروق حيث كانت إحدى المربيات تتصف بالحزم والشدة، وأخرى باللفظ واللين والركة، وأخرى بين هذا وذاك، فضلاً عن رباطة جأش وخشونة الفريق عزيز المصرى، وفوضوية وميوعة الرائد أحمد حسنين واستخفافه بمستقبل فاروق بوصفه ملك البلاد القادم.

وهكذا تلقى فاروق تعليمه وتربيته ونشأته على يد أجناس مختلفة وجنسيات شتى وثقافات متعددة على أثرها حدثت تأثيرات خطيرة على سلوك وشخصية وتصرفات فاروق فيما بعد.



تعليمه:

كان فاروق يمقت التعليم بشدة، ويكره تحصيل الدروس كراهية لا نظير لها، وكثيراً ما تلقى فاروق توبيخاً وتقريعاً من معلميه وفى خزائن سراى عابدين عشر رجال ثورة يوليو فيما بعد على كراسات الواجب الخاصة بفاروق أثناء تلقيه دروسه فى سن الطفولة، وقد بدت على أغلبها ملاحظات عديدة سجلها معلموه كان من بينها على سبيل المثال تلك العبارات:

١ - [من المؤسف والعار ألا تعرف تاريخ أجدادك].

٢ - حسن خطك الرديء.

٣ - اهتم بنظافة دفترك.

ومن خلال تلك الملاحظات يبدو أن فاروق كان طالباً مهملًا إلى حد بعيد يكره مادة التاريخ ولا يميل إلى الاطلاع عليها، أو حتى سماع دروسها، كما كان خطه يشير أعصاب معلمه، وكم أحاطه علماً بضرورة تحسينه حتى يتجنب العقاب من والده الملك فؤاد الذي كان يتابع باهتمام شديد أحوال فاروق التعليمية، ولا يتوانى في الوقوف على حقيقة مستواه التعليمي، ومدى قبوله واستعداده للتحصيل والرغبة في التعلم واكتساب المعلومات والحرص على متابعة دروسه وانكبابه على حفظها وفهمها.

كان فاروق بارعاً في الحفظ والفهم حيث تميز بذاكرة قوية استطاع من خلالها أن يستوعب ما يقرأ بسهولة دون العودة إلى ما قرأه مرة أخرى، كما كان كثير الاطلاع والقراءة في سن الصبا شأنه في ذلك شأن والده فؤاد الذي كان يهوى القراءة والاطلاع وحب الفنون والإبداع ومتابعة التطورات الثقافية العالمية دون تردد.

والشاهد أن الملك فؤاد بذل قصارى جهده في تثقيف وتعليم فاروق من خلال الضغط المستمر وإرغامه على الانصياع لأوامر معلميه الذين عانوا من فاروق التلميذ المشاكس كثيراً، وأجهدهم بشقاوته ومشاغبته التي لم تتوقف، وهو على يقين من أن أحداً لن يجرؤ على معاقبته أو تأنيبه تخاشياً لغضبه ملكية يحرص الجميع على تجنبها وتفاديها.

وحين جاوز فاروق الخامسة عشر من العمر أرسله والده إلى الجامعة لنيل الشهادة العليا، بيد أن إدارة الجامعة رفضت التحاق فاروق بها بعد إخفاقه في

اختبار القدرات والمهارات التي تبين من خلالها أنه لا يميل إلى اكتساب العلوم والمعارف، فضلاً عن كراهيته لتحصيل المناهج الدراسية الإلزامية.

ورغم هذا الرفض القاطع والصريح أبى فؤاد أن يعود فاروق إلى مصر وأرسل إلى معلمه الراحل أحمد محمد حسين أمراً مباشراً بإلحاق نجله في الأكاديمية الملكية البريطانية.

وكان لافتاً للانتباه أن إدارة الأكاديمية رفضت بدورها إلحاق فاروق طالباً ضمن طلابها، وأمام إلحاح الملك فؤاد وضغوطه المستمرة على الساسة الإنجليز اضطرت إدارة الأكاديمية قبول فاروق طالباً بها شريطة ألا يكون طالباً نظامياً، بل زائراً فقط لمساعدته في الدراسة.



واقع الحال أن القيود الملكية التي أحاطت بالطفل فاروق كان لها أبلغ الأثر على كراهيته للتعليم، ولعل تميز فاروق بذاكرة قوية هي التي أعانته على تحصيل العلوم، وأفادته كثيراً في محادثاته ومفاوضاته وجلساته مع مختلف الشخصيات، وحين قرر الملك فؤاد إيفاده إلى بريطانيا لنيل الشهادة العليا فطن رجال الديوان الملكي أن فاروق الذي جاوز الخامسة عشر من العمر لم يكن قد سبق له القيام برحلات سياحية داخلية خاصة للأهرامات والآثار والمتاحف والمعابد الفرعونية في صعيد مصر حيث لم يكن مستاعفاً أن يذهب فاروق إلى لندن دون القيام ولو بزيارة واحدة إلى تلك الأماكن الأثرية التي يتوافد عليها الأجانب من كل فج، ثم ماذا يكون موقف الأمير الصغير إذا ما سأله أحد المعلمين أو الطلاب الأجانب عن تلك الآثار؟ وهي تساؤلات ومخاوف رغم وجاهتها فقد برهنت على الانغلاق والعزلة والتفوق الذي عانى منه فاروق بأوامر فؤادية ظناً من الملك أن الخشونة والقسوة مستثنى رجلاً يعتمد عليه في

إدارة شؤون البلاد، وهو قول مغلوط ومفهوم ساذج أدى إلى إحداث تناقضات خطيرة داخل شخصية الملك فاروق.

* * * *

لقد تلقى فاروق تعليمه داخل أسوار قصر عابدين، ولم يحدث أن ذهب إلى المدرسة مثل باقى أقرانه، ومن ثم تلقى تعليمه على يد معلمين مصريين وأجانب فقد أتقن اللغات الإنجليزية والفرنسية حتى أنه أجاد التحدث باللغة الإنجليزية العامية، وكان مثار إعجاب من الساسة الإنجليز، وربما اكتسب ذلك من خلال مربياته الإنجليزيات إلى جانب الدروس الخاصة التى تلقاها يومياً، وأما اللغة الفرنسية فقد أتقن التحدث بها دون أن يجيد كتابتها، رغم أنها اللغة الشائعة فى محيط أسرته، بينما اكتسب اللغة الإيطالية من خلال رجال القصر الملكى الذين يتمون لأصول إيطالية، وكان الملك فؤاد قد اصطحبهم عند عودته لمصر بعد انتهاء دراسته فى إيطاليا، وقد كان لهؤلاء وأمثالهم أدوار مؤثرة فى حياة الشاب فاروق بعد أن اعتلى عرش البلاد، وأما اللغة التركية فقد رفض والده أن يتعلمها بعد أن أدرك فؤاد أن مستقبل البلاد لم يعد فى حاجة إلى الاستزادة منها، خاصة وأن أواصر العلاقة المصرية التركية قد تمزقت وانتهت بزوال وانتهاء عصر الخلافة الإسلامية على يد العلمانى مصطفى كمال أتاتورك.

أما اللغة العربية فقد تملك فاروق وتمكنت منه، بل إنه أجاد التحدث باللغة العامية الدارجة فى الشوارع والأزقة الشعبية، وكان حديثه بالفصحى قليلاً لا يدور إلا مع الضيوف العرب والساسة المصريين، بينما كان يرفع التكلف مع أصحابه وندمائه وخدمه، ويتحدث معهم باللغة العامية الشعبية حتى كان يشير دهشتهم من العبارات والأمثال العامية التى كان يرددتها وكأنه قد نشأ وتربى فى أحد الأحياء الشعبية.

ورغم أن فاروق كان يستطيع التحدث باللغة العربية إلا أن حديثه كان لا يخلو من الأخطاء النحوية، وذلك على عكس والده الملك فؤاد الذى حاول اكتساب اللغة العربية دون جدوى، وذلك اعتماداً على براعته فى إجادة اللغة التركية والإيطالية، وما من شك أن فؤاد الذى كان يتصف بالتحدى والعناد أخفق فى اكتساب اللغة العربية سواء الفصحى أو العامية، وكان يشعر بغصة فى حلقه حين يعجز فى أن يعبر عن نفسه باللغة العربية، ولعل رفضه التحدث أمام مجلس النواب بمناسبة اعتلائه للعرش وتكليف رئيس وزرائه أن يتولى هو تلك المهمة، وذلك خشية أن يرتكب أخطاء عربية فادحة من الممكن أن تثير رأى العام والصحافة ضده.



حاول فاروق كثيراً اكتساب المعارف وخلال مطالعته وشغفه لسماع الدروس الخاصة على يد الخبراء، وذلك تفادياً لخرج قد يتعرض له وهو على رأس الحكم، ومن ثم حرص على زيارة الدكتور «دريتون» خبير الآثار الفرعونية ومدير المتحف المصرى آنذاك وذلك لتلقى محاضرات خاصة فى تاريخ مصر وآثارها الفرعونية حتى تمكن من الوقوف على معلومات تزود بها مكتبته كثيراً من الحديث مع الساسة الأجانب والعرب وكأنه ملم إماماً تاماً بها.



بعد ذلك أحب فاروق الطيران، وترددت أنباء كثيرة أن الفريق عزيز المصرى قد أشرف على تدريبه على إحدى الطائرات تحت رعاية ضباط الطيران الملكى، وقد اشترى فاروق طائرة خاصة لمزولة هوايته، ولكن سرعان ما ابتعد عنها لمزولة هواية أخرى.

كان أيضاً يجيد الرماية ببراعة فائقة كثيراً ما أثارت دهشة وذهول الحاضرين وفي أثناء موسم صيد البط اعتاد فاروق من خلاله اصطياد أكبر كمية من البط حيث كان دقيق التصويب بمهارة كانت مثار حسد سواء كان تصويبه بمسدس أو بندقية، وروى البعض العديد من الحكايات حول قدرته الفذة في التصويب حيث زعم البعض قدرته على التصويب على علامات متناهية الصغر يتعذر رؤيتها على أغصان الشجر، ورغم ذلك كان يصيها بدقة غريبة!



وكعادته استغنى فاروق عن هواية صيد البط مفضلاً عليها هواية أخرى حيث اتجه إلى القيام برحلات استكشافية في الصحراء الغربية كانت تستمر أسابيع كاملة دون جدوى طبعاً.

ثم بدأ في هواية صيد السمك في منطقة صخرية مجاورة لقصر رأس التين، كما كان يهوى الغوص من أجل اصطياد السمك أيضاً، وهى عادة لازمته سنوات طويلة أحبها على السباحة التى كان بارعاً فيها فى زمن ما، وقد ارتبط فاروق كثيراً بالبحر حتى أنه كان يميل إلى الإقامة فى غرفة صغيرة بعيدة عن القصر تطل على البحر لبساطته وقربها الشديد من البحر، وقد كان يقيم بها طوال إقامته فى شهور الصيف لا يرتدى سوى شورت البحر فقط حتى أنه كان يمشى عارياً حافياً منها إلى القصر إذا دعت الحاجة إلى مغادرتها والذهاب إلى استقبال أحد أو الرد على الهاتف أو التوقيع على تأشيرة.

لم يكن ارتباط فاروق بالبحر بواسطة هواية صيد السمك أو السباحة فحسب، بل بلغ به الأمر لشراء عدة يخوت للتنزه فى عرض البحر الأبيض والأحمر، وقد استهوته نزهة البحار حيث امتلك يخت (فخر البحار) الذى سافر به إلى (رضوى) لمقابلة الملك سعود ثم اشترى اليخت الملكى الشراعى.

«استهوت فاروق هواية جمع الطوابع من شتى أنحاء العالم..
كان أيضاً يهوى جمع العملات النادرة، ويهوى صيد البط
بالصحراء الغربية، ولعبة الشيش والسباحة وقيادة السيارات
ورسم اللوحات وسماع الموسيقى وقراءة التاريخ والعزف على
البيانو»

فاروق الفنان .. والرياضى

سبق أن أشرنا من قبل أن الملك فؤاد - رحمه الله - كان معروفاً قبل اعتلائه على العرش بفوضويته وعبثيته واستهتاره واستخفافه وعربدته وسوءاته وفقره وإفلاسه وديونه المتراكمة وعاداته القبيحة، ولكن - غفر الله له - حين تولى العرش السلطاني ركل العديد من تلك العادات السيئة بقدمه، وأعرض عنها حرصاً منه على بقاء العرش واستقراره حتى يتقل العرش بسلاسة وهدوء إلى ابنه فاروق وذلك طبقاً لمواد الدستور.

أصبح فؤاد أيضاً بفضل تحوله الأخلاقي أو السلوكي وبعد ذكائه ودهائه ومكره وممارسته للسلب والنهب أن يصبح أغنى أغنياء العالم، وقد آلت تلك الثروات والممتلكات إلى فاروق وأخوته.

أما فاروق الذى عانى كثيراً فى طفولته من قسوة والده وشدته وغلظة مربيته، ولهذا كان تواقاً إلى الخلاص من سطوة أبيه وسلطة مربيته للتحرر والانطلاق، ولأن طفولته قد ألفت بظلالها الكثيرة عليه فى زمن الصبا فى حياة والده، فقد استهوت فاروق عادات كثيرة ومتعددة حتى أصبحت بمرور الزمن هوايات لا يستطيع الاستغناء عنها إلا إذا عثر على ما هو أعز منها وأغلى وأحلى.

وفى أعقاب بلوغه السابعة تمكن من تعلم قيادة السيارات فى هذه السن حتى أصبح يقود سيارته بسرعة جنونية تثير الرعب فى قلوب حراسه، وقد تعرض بسبب ذلك إلى حادث القصاصين الشهير حيث انحرفت سيارة بريطانية وأطاحت بسيارته، وكاد يلقى مصرعه بها لولا العناية الإلهية التى كتبت له النجاة، وقد خرجت الجماهير للاطمئنان على ملك البلاد فى مسيرات حاشدة

طاقت طول البلاد وعرضها، وهو ما اعتبره فاروق مبايعة جديدة من أبناء الشعب إلى ملكهم، وقد شعر إزاء تلك الحشود الغفيرة بالسعادة والفرحة نكابة في الزعيم الوفدى مصطفى النحاس، والسفير البريطانى مايلز لامبسون.

على أية حال ظل فاروق يقود سيارته بنفسه خاصة في الأسفار الليلية داخل البلاد، فضلاً عن اصطحابه لبعض الملوك العرب في سيارته الخاصة معبراً بذلك عن مدى حفاوته وامتنانه بالضيف العربى.

كان فاروق يكره قيادة السيارات ببطء، ويعشق السرعة رغم احترامه لقواعد المرور، وقد كان لا يفارق نادى السيارات وخوض جميع مراحل السباق التى كان يحرص النادى عليها.

وقد احتفظ فاروق بسيارته الأولى حتى رحيله عن مصر، كما كان محتفظاً باليخت الشهير فخر البحار واليخت الملكى الشهير المحروسة، والذي حمله إلى رحلة النهاية على شواطئ إحدى المدن الإيطالية للبقاء فيها حتى رحيله عن الدنيا.

استهوت فاروق أيضاً هواية جمع الطوابع من شتى أنحاء العالم حيث كان والده قد اشتهر من قبل في جمع الطوابع واستطاع خلال مدة زمنية الحصول على مجموعة نادرة من الطوابع التى أثارت الإعجاب وقتذاك. كان يهوى أيضاً جمع العملات النقدية العالمية المختلفة وربما كان ذلك الدافع الرئيسى فى إصرار فاروق على أن تطبع صورته على أوراق البنكنوت النقدية، وهو ما حدث للمرة الأولى فى تاريخ البلاد حيث صدرت بالفعل أول مجموعة من فئة الخمسة جنيهات تحمل صورة الملك فاروق، وذلك فى الأول من شهر مايو عام ١٩٤٦، ثم صدرت مجموعة أخرى فئة المائة جنيه تحمل صورته أيضاً، وذلك فى الأول من شهر يوليو ١٩٤٨، وفى صباح الأول من شهر نوفمبر عام

١٩٤٩ صدرت مجموعة من فئة الخمسين جنيهاً تصدرها صورته أيضاً، ثم في أول يوليو ١٩٥٠ صدرت مجموعة جديدة من فئة الجنيه زينت بصورته وطلعته البهية، ومع حلول ثورة يوليو استبدل رجال الثورة صورته بصورة لتمثال الملك توت عنخ آمون.

وفي هذا الصدد تحضرني رواية طريفة تبرهن على أن فاروق هو أول حاكم فقط طبعت صورته على أوراق البنكنوت، لكنه لم يكن أول رجل في تاريخنا العامر بل سبقه إلى ذلك رجل من المجاذيب الذين ذاعت شهرتهم في الآفاق ويدعى الشيخ إدريس، وقد زعم البعض أنه كان خادماً للأمير فؤاد في سنوات شبابه، بينما ادعى البعض أنه كان مجذوباً شهيراً يردد عبارات لاذعة ومثيرة للتأمل لمن يسمعها، وفؤاد في صدر شبابه طابت له عبارات هذا المجذوب وكلماته الروحانية الجادة أحياناً والضاحكة في أحياناً أخرى، وقيل إن الشيخ إدريس قد أكد للأمير فؤاد وهو في صدر شبابه أنه رأى له مناماً يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمير فؤاد هو ملك البلاد القادم، وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد ولعل ذلك هو السبب في إصرار الملك فؤاد على طبع صورة الشيخ إدريس على مجموعة أوراق بنكنوت فئة جنيه مصري، وذلك في أول يوليو عام ١٩٢٦.



نعود إلى هواية الملك فاروق الذي كان لا يمل من تغيير هواياته من حين لآخر، وقد يكون ذلك في تقديري مجرد محاولات عبثية أحياناً وجادة في أغلب الأحيان انتقاماً من طفولته التي عاشها كما سبق وأن أسلفنا داخل قفص ذهبي يتعذر خروجه منه، ومن الصعوبة بمكان أن يتقبل أحد أن الأمير فاروق ابن ملك البلاد لم يشاهد آثار مصر الفرعونية والإسلامية في القاهرة وعواصم

الصعيد، بل إنه لم يذهب إطلاقاً إلى حديقة الحيوان بالجيزة إلا قبيل سفره إلى لندن للدراسة، ومن ثم لم يكن غريباً أن يقتحم فاروق ويخوض كل ما حالت طفولته بينه وبينه، وكل ما لذ له وطاب وكانت من المحرمات والممنوعات.

على أية حال كان فاروق من حيث الفنون يزعم أنه يجيد العزف على آلة البيانو، وقد أكد بعض المقربين منه أنها نزوة راودت الملك فاروق فترة من الزمان كان خلالها يحرص على عزف لحن وحيد، وبعدها انتقل إلى آلة الكورديون التي كان يحرص على اقتنائها وارتيادها والعزف عليها أمام زملائه وشقيقاته، وسرعان ما اندثرت هذه الهوايات الفنية خاصة هواية الرسم التي زعم لأصدقائه أنه يجيدها، وأن إحدى لوحاته قد أهداها للسلطانة ملك زوجة عمه السلطان حسين كامل بعد أن أبدت إعجابها بإبداعه الفني وتصويره الرائع في تلك اللوحة المزعومة، والتي لم يتسن لأحد معرفة جدية هذه الادعاءات وصدقيتها وحقيقتها.

كان فاروق أيضاً يهوى منذ صغره سماع الموسيقى الغربية الخفيفة إلى جانب عشقه لمزيكا الملاهى والمراقص الصاخبة الزاعقة المثيرة، وكثيراً ما لفت أنظار قادة الفرق الموسيقية لاستبدال ألبانهم وموسيقاهم الهادئة إلى أخرى مثيرة للجلبة والضوضاء معللاً ذلك بأن الموسيقى الهادئة قد تؤدي إلى استسلامه وغيره للنوم!!

كان أيضاً لا يهوى الموسيقى الشرقية وكافة أغانيها باستثناء قليل من الطقاطيق التي جاء بها اسمه من باب المدح والإطراء، وهذه لم يكن بحال من الأحوال يشعر نحوها بالملل أو الضجر.

أما الهواية التي مارسها فاروق وأرغم الآخرين لتشجيعه عليها ومدحه والإشادة به، فقد كانت تتعلق بالغناء حيث كان يتصدر السهرة في أوبرج

الأهرام أو فى أى مرقص من المراقص التى كان يتردد عليها ويبدأ خلالها فى الغناء بصوته النشاز، ولم يكن خافياً على أحد من أصدقائه وندمائه أن فاروق سوف يتخلى عن تلك الهواية قريباً حال تعلقه بهواية أخرى بغض النظر عن عبارته الشهيرة التى قالها لنديه ومستشاره الصحفى كريم ثابت: [لو لم أكن ملكاً لكنت مطرباً!!] والغريب أنه قد قال من قبل لنفس الرجل: «لو لم أكن ملكاً لتمنيت أن أكون ميكانيكياً!!» وهكذا كان فاروق يريد أن يفعل كل شىء ويمارس أى هواية حتى لو لم تتواءم أو تتوافق مع مكانته ومنصبه.



من أقبح الهوايات وأبشعها هواية فاروق فى قتل القطط والكلاب إذا أدت الظروف والأحوال للانفراد بهما حيث كان يتظاهر أمام شلة الأصدقاء أنه لا يمل من ملاطفة ومداعبة الكلاب أو القطط حتى كان قد اعتاد على تمشيط شعر تلك الحيوانات بيده ويغدق عليهما بعطفه وحنانه إلى أن يغادر رفاقه وشلة أصدقائه، ويتأكد من أنه بمفرده فقط ليبدأ فى القيام بأبشع جريمة قتل للحيوانات يرتكبها رجل فى قيمة وقامة الملك فاروق حيث كان ينظر حوله، وإذا كانت حديقة القصر أو النادى أو أى استراحة تخلو من الرفاق يتودد إلى الحيوان الضحية ويلاطفه ثم يقبض عليه فجأة بيده ليشل حركة يده وقدمه، ثم يدفع به بكل ما أوتى من قوة وجبروت فى جذوع الشجر المجاور له ليلقى الكلب أو القطعة مصرعه فى الحال، وإذا ظل على قيد الحياة يعيش عاجزاً عن الحركة يائساً من حياته، بينما فاروق يمضى فى ممارسة تلك الهواية دون توقف حتى تاريخ مغادرته من مصر.

لقد أشار كريم ثابت إلى تلك الهواية مؤكداً أنه قد عجز عن تفسير علمى ومنطقى ونفسى لتلك الهواية الغريبة التى سيطرت على فاروق، خاصة إذا

انطلق بسيارته المصرة قاصداً الاصطدام بأحد كلاب الطريق الضالة ليرده غارقاً
فى دمائه، وهو ينفجر ضاحكاً بأعلى صوته.

كان فاروق أيضاً مفتوناً بممارسة لعبة كرة التنس، ثم هجرها إلى السيف
والشيش، وكعاداته عزف بعد ذلك عن ممارستها والتحول إلى هواية التجديف،
ثم ركوب الخيل التى توقف عنها بعد حلفه لليمين الدستورية رغم إلحاح الذين
يحيطون به خاصة وأنه كان عاشقاً لتلك الرياضة.

* * * *

القمار

لا أدري هل الانكباب على موائد القمار تعد هواية يحرص عليها البعض؟ هي بالطبع ليست هواية، وإن كانت كذلك فهي هواية قبيحة محرمة كريهة ذميمة، بل هي آفة ومرض ووباء وابتلاء ومصيبة يتعرض لها البعض من ذوى النفوس الضعيفة بغض النظر عن ماهية مرتكبيها ومكانتهم فى المجتمع حيث إن القمار لعبة لا تقتصر على الأثرياء وبعض رموز المجتمع، بل هي تمتد أيضا إلى بعض أبناء الأحياء والمناطق الشعبية، وإن كانت بأدوات ووسائل مختلفة وابتكارات متعددة نسأل الله لنا ولمن يمارسها العفو والمغفرة والإقلاع عنها حرصاً على قصور وعروش تحطمت وتبددت وتهدمت وبيوت اقتلعتها تلك العادة السرية القبيحة.

كان الملك فاروق شاباً جميل الطلعة أنيق المظهر حسن المنظر أحبه المصريون وبنوا آمالهم عليه عشقوه وحملوا صورته فى قلوبهم قبل أن تترين بها جذرانهم... رأى المصريون فى فاروق الرمز والقيمة والقامة والمكانة والطهر والعفة والأمانة، ومن ثم تناثرت من حوله الأساطير والخرافات بين من ادعى أن جذوره تعود إلى أهل البيت، ومن ادعى أنه رجل صالح، وبالتالي أطلق البعض عليه لقب (الملك الصالح)، وكان هناك أيضاً من ادعى أنه يتصف بالمروءة - والشهامة والقوة الجسدية التى تعادل عشرة رجال، ومنهم من زعم أنه من خيرة سلالة آل محمد على باشا الكبير، وهكذا ظلت سيرة فاروق تتأرجح بين الواقع والخيال والحقيقة والأسطورة، لكن إذا كانت هناك تضاربات وتناقضات وحقائق وأباطيل فى قصة فاروق بن فؤاد، فما لا شك فيه أن آفة القمار التى ابتلى بها فاروق أجمع عليها الجميع، وبرهنوا على صحة وقوعها

على عكس ما تناثر بين النفى والإثبات فى مسألة عشقه للنساء وتعاطيه للخمور، وغير ذلك من النقاط التى ثارت من حولها اجتهادات البعض بين مكذب ومصدق بها بين نافٍ لها ومن أقسم على ارتكابها.

لقد كان وباء القمار فى ظنى هو المسمار الأخير الذى دقه فاروق بيده فى نعش عرش مملكته ونفوذه وثرواته وسلطانه وسلطاته غير عابئ بآمال الأمة وتطلعات أبنائها وأمانيتهم التى علقوها عليه حال وصوله للعرش خلفاً لوالده، ودون اكتراث لأحوال العباد ومصالح البلاد، فلم يكن بمقدوره أن يتدبر ما آلت إليه رغباته التى أخفق فى كبحها، بل أطلق لغرائزه وأهوائه العنان لتفعل ما تريد وتصنع ما تشاء.

ردد البعض أن فاروقا كان ضحية لمؤامرة نسجت خيوطها الأميرة شويكار طليقة والده فؤاد، وذلك انتقاماً من الملكة نازلى التى أصبحت صاحبة اليد الحديدية داخل البلاد، وما داخل شويكار من هواجس تشير إلى أنها كانت على بعد خطوات من هذا العرش الذى فقدته، ومن ثم تحركت رغبتها فى الثأر من فؤاد ونازلى معاً، وذلك باصطياد فاروق بواسطة سيدة لا يدرى أحد من هى بالتحديد، ودفعه إلى الانكباب على موائد القمار حتى أصبح أشهر مقامر ومدمن للموائد الخضراء فى تاريخ البلاد، ومن ثم بدأ عرش فاروق يترنح ليلة بعد الأخرى حتى اندثر وتلاشى وتهاوى بفضل تلك الغيوبة التى أصيب بها من آفة القمار التى تعلمها مبكراً على يد بعض الخدم القريبين منه، والذى كان يميل إليهم لم يكن مشيراً للدهشة والعجب أن يخسر فاروق كل ليلة على مائدة القمار أكثر من ٥٠٠ جنيهاً مصرياً يومياً، وربما أكثر من ذلك أى بمعدل خمسة عشر ألفاً من الجنيهاً شهرياً يعنى تقريباً نحو مائتى ألف جنيه سنوياً!! وهى أرقام فلكية آنذاك.

كان من شأنها أن ترفع فاروق إلى مصاف العظماء إذا هو نجح أيامها في توجيهها إلى مصارفها الشرعية والحقيقية.

مع الأسف كان رجال فاروق يسبحون في المياه الصافية يغترفون منها ما يريدون بطريقة أو بأخرى، وإن تطلب ذلك اصطياذه على مائدة خضراء واستنزافه واستغلاله وتبديد طاقته وإهدار ثرواته وأملاكه وتغيبه عن الوعي بعيداً عن الشعب الذي أحبه وعشقه في بواكير شبابه.

لم يكن غريباً بالفعل أن تنشر الصحف الباريسية أن فاروقاً ملك مصر قد خسر ليلة أمس على مائدة قمار بأحد نوادي القمار الشهيرة أكثر من مائة ألف جنيه إسترليني!!!

لم يكن ذلك غريباً فقد انحنى فاروق على المائدة الخضراء كل ليلة وهرب من مسؤولياته، وأضرب عن القيام بمهامه، واعتصم في أندية القمار لا ندرى ممن كان يتقم ولمصلحة من فعل ذلك بنفسه ويعرشه وبمملكته؟

لقد انصرف فاروق حال إدمانه للقمار عن جميع الهوايات والرياضات التي أشرنا إليها حيث تخلص عنها كارهاً لها لا يطيق رؤيتها أو متابعتها وكأنها رجس، بينما أصبحت مائدة القمار هي مكتبه ومطعمه ومسكنه ومخدعه حيث يقضى بها ساعات الليل، وإن طال ليعود إليها في الليلة التالية دون أن يتسرب إليه الملل كما تسرب إليه في هواياته الأخرى.

الحاصل أن فاروقاً - رحمه الله - أدمن لعب القمار بطريقة أثارت دهشة واستغراب الجميع، وقد تساءل بعضهم عن سبب إصراره وتمسكه بتلك الآفة، بينما انصرف كلياً عن جميع الممارسات الأخرى.

ترى هل كانت شويكار تقف وراء تلك العادة القبيحة، أم أن فاروقا لم يكن فى حاجة إلى يد تدفعه، وأخرى تأخذ به إلى الموائد الخضراء؟

تقديرى أن فاروقا لم يكن ذا حاجة إلى ذلك، فالرجل لم يكن يوماً على استعداد للانتباه والالتفات لمصلحة بلاده بما يتواءم مع مكانتها بين الأمم..

على سبيل المثال كيف يجوز لرجل فى مكانة فاروق أن يترك نفسه كل ليلة للسهر والسمر فى أوبرج الأهرام وغيره من المراقص والملاهى والأندية دون خجل أو حتى ملل ثم لا يتورع فى التوجه منها بعد ارتداء البدلة الرديئة إلى مسجد القلعة لأداء صلاة العيد بين الناس وكأنه عائد لتوه من أداء صلاة الفجر؟؟!!

إن فاروقا الذى أعطى ظهره لمصلحة شعبه وغفل عن محاولة النهوض به من مستنقع فقر رهيب ضرب بأعماقه فى ربوع البلاد، واقتصرت الرفاهية والرخوة على نصف فى المائة فقط من أبناء الأمة؛ لم يكن رجل مثل فاروق فى حاجة إلى من يدفعه ويشد من أزره ويكثر من وزره للوقوع فى مثل هذا الجرم وتلك الخطيئة والحفرة التى وقع فيها فسقط بها وعرشه وملكه.

ولا أظن أن شويكار كانت تملك قدرات وأدوات وأفكاراً لإتمام هذا المخطط، فقد تجاوز فاروق كل هذه التوقعات.. قد تكون شويكار ضالعة فى دفع فاروق لمائدة القمار ظناً منها أن هذا الأمر لن يظل أكثر من أيام، وساعتها ستهلل لنجاح مؤقت قصير العمر والمدى، لكنها لم تكن تتوقع بحال من الأحوال استمرار فاروق منحياً على موائد القمار حتى النهاية.

وأن خسائره الرهيبة شهدت بها الموائد الخضراء بنادى السيارات بالقاهرة ونظيره بالإسكندرية وملهى حلمية بالاس وأوبرج الأهرام والأسكاريه وقصور أصحابه، وذلك على مرأى ومسمع من رجال القصر وحراسه الأمر الذى دفع

كريم ثابت لمفاتيحة النقراشى باشا فى ضرورة تنبيه الملك وتحذيره من المضى فى ممارسة تلك الآفة بيد أن محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء أبى أن يفتح الملك فى ذلك معللاً موقفه بأن فاروق سيرد عليه بقوله إن سعد زغلول رئيس وزعيم حزبه كان مقامراً شهيراً، وهل جرؤ أحد على مفاتيحته فى الكف عن هذا الأمر؟ وربما كان السبب الذى ساقه النقراشى وجيهاً حيث إن هذا الداء كان قد تمكن من عليه القوم، ولعل هذا ما دفع خصوم سعد زغلول للنيل منه والتنديد به بسبب إدمانه للانكباب على المائدة الخضراء أيضاً رغم شواغله وهمومه ومسؤولياته وأعبائه، وذلك على عكس فاروق الذى أدمن القمار فتخلص من أعبائه ومهامه، وألقى بها على رجال حاشيته وشمشارجية السرايا نظراً لانشغاله وانهماكه فى تعويض خسارته الفادحة التى كان يتعرض لها كل ليلة باستثناء بعض الليالى إرضاءً له أو خوفاً منه أو لجذبه حتى لا يتسرب الملل إليه ويكره التردد عليها.



أناقة فاروق

«كان يعتمد منذ طفولته على مربيته وخادمه في ارتداء ثيابه
وحين ضاق ذرعاً بتلك الرسميات والقيود أصر على أن يخلع
ملابسه ويرتديها بنفسه دون مساعدة من أحد، ولم يكن بالطبع
تواضعاً أو تبسطاً منه، بل كان كراهية في ملابس الرسمية التي
كان لا يطيقها على جسده المترهل»

مظهره وأناقته

ظلت أناقة الملك فاروق ومدى اهتمامه بمظهره مشار جدل وخلاف ونقاش احتد بين رجال حاشيته وأصدقائه وأقاربه؛ حيث زعم فريق منهم أن الرجل كان شديد العناية بملبسه ومظهره وحسن هندامه، بينما ادعى الفريق الآخر أن فاروقاً كان مثالاً ونموذجاً للفوضى والإهمال والعبث واللامبالاة، ولم يكن يضع في اعتباره مردود ذلك على هبة العرش ووجاهة السلطة والسلطان.

والشاهد أن فاروقاً منذ طفولته كان يعتمد على مربيته وخادمه في ارتداء أو خلع ثيابه، وحين ضاق ذرعاً بتلك الرسميات والقيود أصر على أن يخلع ملابسه ويرتديها بنفسه دون مساعدة من أحد، ولم يكن بالطبع تواضعاً أو تبسطاً منه، بل كان كراهية في ملابسه الرسمية التي كان لا يطيقها على جسده، وربما كان ذلك سبباً في حرصه الشديد على خلعها وهو داخل سيارته عقب دخولها إلى القصر وانطلاقها نحو مقر جناحه الخاص، ولهذا كثيراً ما شوهد فاروق وهو يخلع ملابسه أثناء سيره على الأقدام بعد نزوله من السيارة متجهاً إلى غرفته.

إن القيود والضوابط والأغلال التي حاصرت فاروقاً في طفولته هي التي دفعته لكسرها وتحطيمها والتخلص منها حين دانت له الأمور؛ لقد كان شأنه شأن أى طفل يريد أن يحلق في السماء كطائر السنونو يغرد ويصدق ويتقل من هنا إلى هناك ويصنع بحريته ربيعاً لحياته، وربما من أجل هذا عاش فاروق بسيطاً عادياً بين من يعرفه حتى ولو كان رجال حاشيته من الخدم والطهارة ولطيفاً ودوداً وكرماً مع من لا يعرفه حتى لو كان من عامة الشعب الذين كان يلتقى بهم نادراً.

لم يكن يكره شيئاً قدر كراهيته للملابس الرسمية؛ لذلك بذل قصارى جهده فى استبدال بدلة التشريفة الملكية المنقوشة بالذهب بالبدلة الرديجوت لسهولة ارتدائها وبساطتها.

كان فاروق يهوى ارتداء الكرافات المنقوشة برسومات على شكل خطوط، ويكره ارتداء البايون، كما كان يحب ارتداء الملابس الواسعة الفضفاضة، ويكره تلك الملابس الضيقة التى كانت تثير أعصابه وغضبه؛ كان يحب أيضاً ارتداء بنطلونات ذات (سوستة) أمامية، وقد كانت الزراير هى الموضة الشائعة حينئذ عند الرجال، بينما كانت السوستة شائعة فقط بين النساء، بيد أن فاروقاً عاشق الحرية قد أصر على ارتداء بنطلونات بسوستة دون أن يعبأ بنظرات استنكار أو ازدراء من أحد، وسرعان ما تحولت السوستة إلى موضة شاعت بين صفوف الرجال.

كان فاروق جميل الطلعة.. وسيم الوجه.. متألقا.. جذابا يعتنى بتهذيب شعر رأسه كل ثلاث أيام، بينما يحرص على متابعة ذقنه وشاربه كل يوم على يد حلاقه الإيطالى الخاص «برتو».

وأما بخصوص الأحذية فقد أحب الأحذية ذات الألوان البيضاء والسوداء والبنية، وكان يكره أن يرى حذاء بلونين أو برياط، كما كان يحب ارتداء الأحذية الواسعة حتى يتسنى له تحريك أصابعه كما شاء.

كان فاروق يرتدى نظارة سوداء لمقاومة ضوء الشمس إذا كان فى زيارة رسمية، أو رحلة استكشافية، أو على متن باخرة بحرية، أو مستقلاً سيارة ملكية.

وإذا كان فاروق قد اشتهر وعرف بين الجميع بسرعته الجنونية في قيادة السيارات والتهام الطعام، فقد كان أيضاً معروفاً بسرعته الفائقة في خلع ملابسه وارتدائها عند خروجه، ولعله كان الأشهر والأبرز بين الجميع في سرعة إحكام رباط العنق.

ولأنه كان يبحث دائماً عن راحته فقد حرص على أن يعيش كما يحو له غير عابئ بأقاويل الغير، فعلى سبيل المثال كان في أثناء إقامته بالقصر الملكي سواء في القاهرة أو الإسكندرية يرتدى «كلسون وقميص خفيف ودون حذاء في القدم إذا كان الجو شتاء أما إذا انخفضت درجة حرارة الجو وشعر بالبرودة القارصة أسرع إلى ارتداء عباءة وروب دي شامبر دون حاجة إلى حذاء قدم مهما كانت درجة البرودة، أما في فصل الصيف فقد كان يكتفى بارتداء شورت يصل إلى ركبته ويظل عارى الصدر والقدم أيضاً، وبذلك يشعر براحة وممتعة لا نظير لها.

وسرعان ما تندثر تلك المتعة إذا ما طرأ شيء ما يستدعى ضرورة ارتدائه للملابس الرسمية».



طعامه وشرابه

«كان فاروق أثناء الطعام لافتاً لأنظار كل من حوله خصوصاً فيما يتعلق بشأن سرعته الجنونية في التهام الطعام أو طريقة بلعه دون انتظار مرحلة المضغ»

طعامه وشرابه

أذكر في طفولتنا أن والدي - رحمه الله - كان يقص علينا حكايات أسطورية ترامت لمسامعه عن الملك فاروق، وكان والدي شأنه في ذلك شأن جميع أبناء الريف جذبتهم شخصيته وأثارت إعجابهم، فدأبت خيالاتهم، ومن ثم راجت الخرافات ودارت الخزعبلات حول فحولته النادرة ووسامته الساحرة وشرافته في التهام كافة الأطعمة.

كما أتذكر أيضاً أن والدي قد أقسم ذات مرة أنه سمع من يقول أمامه أن الملك فاروق كان يلتهم بمفرده نصف خروف عصر كل يوم، وأن إفطاره كان يتألف من أكباد البقر ودهون الخراف وعصير الغزلان، بينما يتناول عشاءه عدة مرات كل ليلة، ولا يخلو من حمام أو بط أو دجاج وأشياء من هذا وذاك وكأن فاروقاً من فصيلة الرجل الأخضر.

والواقع أن فاروق لم يكن شاذاً في مأكله أو خارقاً في مطعمه بل كان يشبه الكثير من الناس الذين تستهويهم موائد الطعام، ولكن بعيداً عما اشتهر به ظلماً وافتراءً بين الناس.

على سبيل المثال كان فاروق يحرص على تناول كسرات من الخبز الشامي مع طبق مربى وآخر زبدة وفنجان شاي، وقد ظل على هذا الحال سنوات صباه حين كان يستيقظ مبكراً في حياة والده وبعد اعتياده على السهر حتى بزوغ الشمس انصرف عن تناول وجبة الإفطار تماماً، وأصبحت مائدة طعام الغذاء هي الأساس خاصة وأنها كانت تتألف غالباً من المكرونة، وغالباً الإسباجتى التي كان يعشقها على غرار جده الخديو محمد سعيد مع حرصه على تناول لحم مشوى أو دجاج أو حمام أو بط.

أما العشاء فقد كان يتناول رغيفاً من الدقيق الشامى مع العسل وكوب من العصير وقطع قليلة من الشكولاتة، أو فنجاناً من الشاي بدلاً من مشروب العصير، وذلك طبقاً لحالته المزاجية.



كان فاروق أثناء الطعام لافتاً لأنظار كل من حوله، خصوصاً فيما يتعلق بشأن سرعته الجنونية فى التهام الطعام أو طريقة بلعه دون انتظار مرحلة المضغ، وحتى أنه كان يقبل على تناول البسكويت بكثرة بعد أن يغمسه فى كوب ماء تجنباً لمرحلة المضغ التى كان يمتنعها.

ولعل تلك الصفة كانت من أبرز الصفات التى تميز بها فاروق فى مائدة الطعام، كما كان لافتاً للانتباه أيضاً فى تحوله السريع للوجبات، وكأنه يتحول من هواية إلى أخرى، فمثلاً كان يهوى أحياناً تناول الثوم نيئاً ويظل يدعو أصدقاءه ومعاونيه لاقتفاء أثره، وقد كانوا يرضخون لرغبته أو بمعنى أدق أوامره، ثم سرعان ما يتحول إلى نوع آخر كالليمون مثلاً، وذلك لمدة أسابيع ثم يتبخر ليلحق بما سبقه.



كان الملك فاروق يحب تناول الحلوى الشرقية والغربية، ويشعر بالضعف نحوها ولا يتردد فى التهام علبة من الشيكولاتة شريطة أن تطيب له، كما أحب جميع أنواع المرببات أو الفواكه المطبوخة حيث كان يرفض تناول أية فاكهة مهما كانت قيمتها الغذائية.

كما كان يكره رؤية لحم الخنزير على مائدة الطعام حتى أن السفير البريطانى

والأمريكي أو أى سفير آخر أجنبى لم يكن مسموحاً له أن يضع على مائدته لحم الخنزير تقديراً لرغبة فاروق فى تلك المسألة حيث كان يشعر بالاشمئزاز من مجرد رؤيته، وذلك فضلاً عن كراهيته لكافة أنواع الخضار المطبوخ.



أحياناً كان فاروق يعشق الدندرمة وأكواب المهلبية والأرز باللبن كما أنه أحب البطاطس والمشويات والبيض بالصلصة والجندوفلى، وهى فى تصورى ألوان لا تتناسب مع مكانته كملك للبلاد، وأغنى أغنياء العالم، لكنها على أية حال لم تكن فوق العادة كما أشاع البعض حيث كان أثرياء مصر وباشواتها يتناولون مثل ذلك بل وأغلى منها وأشهى بل ربما قد كان يهوى تلك الأطعمة تقليداً لبعض الناس الذين كانوا يقصون عليه حكايات لا تنتهى حول ألد الأطعمة وأشهاها.

كان فاروق مشهوراً ببساطته على مائدة الطعام متواضعاً مع الطهارة والخدم والسفرجية حريصاً على ملاطفتهم ومداعبتهم مما كان يثير دهشة ضيوفه من الوزراء والساسة الكبار، وربما بساطة فاروق مع فريق الخدم والطهارة أدى إلى حرصه والتزامه بتناول الطعام فى غرفة صغيرة بعيداً عن قاعة الطعام الشهيرة حتى يستطيع أن يأكل كما يشاء تجنباً لرسميات ومظاهر وأبهة لم يكن يميل إليها، وحين كان يتناول الطعام يحرص على تناول صنف أو صنفين فقط من الأصناف المتراسة على المائدة.

والغريب أن فاروقاً إذا تناول الطعام خارج السرايا كان يثنى على الطاهى قائلاً قوله: «إمتى حنعرف ناكل زى الأكل الحلو ده فى السرايا».

أما وجه الغرابة فى ذلك أن فاروقا كان كما سبق وأن ذكرت رقيقاً كريماً مع خدمه وطهارة مطبخه [ولم يحدث أن نهر أحدهم أو اعتدى عليه احتجاجاً على رداءة الطعام كما كان يفعل والده فؤاد معهم]، بل وكان يميل إلى مداعبتهم وذلك برش الماء عليهم أو ضرب طربوش الرأس مع حفظ مكانته بالطبع حيث لم يكن يجرؤ أحد على تجاوز حدوده والخطوط التى رسمها القصر لكل من يعمل به.

وجه الغرابة أيضاً أن الحكومات المصرية كانت تمنح القصر نحو مائة ألف جنيه سنوياً للإنفاق على الطعام والاستقبالات وغيرها، ورغم ذلك كانت ميزانية المطبخ الملكى تتجاوز أحياناً هذا الرقم كل عام لتبلغ نحو مائة وعشرين ألف جنيه سنوياً رغم بساطة الطعام باستثناء بعض الأصناف التى تتميز بالندرة والسعر المرتفع كالكافيار مثلاً، وقد حرص فاروق على أن يضم مطبخه هذا النوع من الطعام عند المآدب الرسمية شريطة أن تكون مجرد عينات فقط باستثناء أطباق أسرته وشقيقاته.

كما أن من أوجه الغرابة أيضاً أن فاروقا لم يكن ذواقاً للطعام، فهو لا يغضب إذا كان الملح زائداً أو العكس أو المكرونة نيئة أو العكس، بل كان حريصاً على أن يتناول وجبته سريعاً حتى يتخلص من الجلوس على مائدة الطعام التى كان يمقت الجلوس عليها بشدة.

أما بخصوص ما أثاره البعض حول إفراطه فى تعاطى الخمر وما شابهها فهذا الادعاء كان عارياً من الحقيقة حيث أن أغلب الذين التقى بهم فاروق على مائدته وفى سهراته وصالونات جلساته وموائد القمار الشهيرة أكدوا جميعاً أن فاروقا لم يتناول الخمر إطلاقاً، وأن من يزعم غير ذلك فهو يكذب ويفترى

حيث كان فاروق رغم إدمانه للقمار وعشقه للسهر وضعفه أمام النساء إلا أنه كان عازقاً كارهاً للخمور بكافة أشكالها.

وإن البعض قد زعم أن فاروقاً تعاطى الخمر في سن الصبا على سبيل التجربة، خاصة وأن هناك من أوعز له أن الخمر أحد العناصر المقوية للمتزوجين وكان ذلك أثناء زواجه من فريدة فتناولها على سبيل الدعم ويبدو أنها أخابت ظنه فأقلع عنها ومقتها وإن كان لم يمنع وجودها على موائده.

* * * *

«لقد بات فى يقينى.. بما لا يدع مجالاً للشك أن الملك لا
يستطيع معاشره النساء ولا أظن أنه يصل بأية امرأة إلى نهاية
الشوط»

رئيس الوزراء/ حسين سرى

للسفير البريطانى

فاروق.. عاشق بلا قلب

آه.. آه.. لو عرفتك قبل أن أتزوج لجعلتك ملكة مصر والسودان» عبارة شهيرة مكررة حفظتها محظيات الملك الصالح وخليلاته عن ظهر قلب، فأوضحت مشار سخرية وتندر واستخفاف بملك ظن أن مقولته المأثورة سرّاً حربياً ممنوع إفشاؤه ومحذور الاقتراب منه.

والواقع أنني لا أعرف على وجه التحديد.. هل كان فاروق عاشقاً للنساء حقاً، أم أنه كان يحرص على امتلاكهن بوصفه ملك البلاد الذي يملك كل شيء ويتحكم في جميع الأشياء؟! ثم ماذا عن حقيقة علاقته النسائية الشهيرة؟ وهل كان ولهاً حالماً رومانسياً يحمل بين جوانحه قلباً ينبض بالحب، أم كانت غرائزه وشهواته هي الموتر والدافع لمغامراته، ومن ثم كان عاشقاً بلا قلب؟

ثمة تساؤلات أخرى وحشد هائل من علامات الاستفهام تدق رأسى بعنف منها على سبيل المثال لا الحصر.. هل كان فاروق يتمتع بقوة وقدرة ورغبة وفحولة تدفعه لتدشين علاقات نسائية محرمة وغير مشروعة؟! وبغض النظر عن شكل وجوهر الجواب يتبادر على الذهن سؤال آخر يلح بقوة لماذا كان إذن يتفاخر بين عشيرته وحاشيته بعلاقاته الأثمة، بل وكان يسعى جاهداً لكشفها بدلاً من إخفائها وفضحها بدلاً من سترها شأن أي رجل عاقل يخشى من اهتزاز صورته وتوبيخ سيرته وتلطيف سمعته؟! ثم ما صحة ما أشيع عن ضعفه وعدم قدرته في الوصول إلى نهاية المطاف مع محظياته وأهل بيته، وذلك طبقاً لما ورد في إحدى الوثائق البريطانية والتي كشف عنها النقاب في الآونة الأخيرة.

إنها بالفعل تساؤلات حائرة تائهة تطل برأسها منذ عقود مضت حيث أخفق الجميع في الاهتداء والوصول إلى أجوبتها الصحيحة والدقيقة، وذلك رغم وفرة الشهادات والقرائن والأدلة التي تتعلق بتلك الإشكالية.

ومن ثم فهي مأساة أعنى تلك البراهين حيث إنها أتت بما لا تشتهي سفن الدارسين والباحثين والمدققين؛ خاصة وأنها متناقضة مع بعضها البعض متنافرة إلى أقصى حد.. متباعدة ابتعاد الشرق عن الغرب متناقضة تناقض الليل مع النهار.. بعضها متحامل والآخر منها مجامل، وربما اعتمدت تارة على الاستنتاج، وربما استندت تارة أخرى على الاستخفاف، وبين هذا وذاك تاهت الحقيقة وطمست معالمها واندثرت، فتجلت وجوه الباطل وانتصرت. وهذه وثيقة دارت وقائعها بين أحد أشهر وأبرز وألمع رؤساء الحكومات المصرية في عهد الملك فاروق لعلنا من خلالها نهتدى إلى الحقيقة التي حاول البعض طمس معالمها أو ذبحها.

حسين سرى باشا (بالمناسبة هو زوج خالة الملكة فريدة زوجة فاروق):

لقد بات في يقيني - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الملك لا يستطيع معايشة النساء، ولا أظن أنه يصل بأية امرأة إلى نهاية الشوط.

اللورد لامسون:

لدى معلومات تعزز ما ذكرته، فضلاً عن أنني على علم مسبق بأن زوجته الملكة فريدة أخبرته من أنها قد ضاقت ذرعاً ولا ترغب في استقباله بغرفتها حيث يرادها شعور بأنه بات شخصاً متطفلاً!! وهذا ما يجعلنى أتساءل فى دهشة واستغراب.. إذا كان ذلك كذلك فكيف استطاع أن ينجب منها بتين؟!!

حسين سرى:

دعك من هذا.. هو ليس عقيماً كما تظن، لكنه بالفعل لا يملك مقومات وعناصر ومهارات الشباب فى مثل تلك الأمور.

لامسون:

فى تقديرى أن هذا الأمر الغربى لى رجل مثل الملك من شأنه أن يؤثر بالسلب على سلامته العقلية والمزاجية.

حسين سرى:

إذن برأىك ما هو الحل الأمثل لعلاج تلك المشكلة الخطيرة؟

لامسون:

فى غضون أيام سوف أبعث إلى حكومتى فى لندن سرعة الاتصال بالدكتور هنرى الذى كان قد أجرى ذات مرة فحوصات طبية على الملك فى لندن، وذلك للوقوف على حالته بدقة متناهية.

حسين سرى:

إن الدكتور هنرى يعتقد أن هذا الأمر ليس وليد اللحظة، بل إنه يعود بالفعل إلى سنوات ما قبل الزواج.

«انتهت الوثيقة البريطانية»

ما من شك أن هذه الوثيقة التى أفرجت عنها إنجلترا بعد انقضاء سنوات العدة السرية تبرهن على أن الرجل لم يكن يملك القدرة والإرادة فى إتمام ما يصبو إليه أى رجل مع عشيقته، وهو ما يؤكد أن علاقات الرجل كانت مجرد إشاعات وأقاويل، ربما كانت من صنع الملك نفسه، أو من افتراءات خصومه، وهم كثر.

أو أنها كانت مجرد علاقات تدور فى إطار الملاطفة والمداعبة والغزل بكل ألوانه دون أى تصعيد للعلاقة أو تطور لها.

وللتأكيد على صحة ما أوردناه ووجاهة فكرتنا وصدقيتها بعد أن اختفت معالم الحقيقة التي حاربها خصوم فاروق، إما لتصفية حسابات، أو لمداينة ثوار يوليو أملاً في نفوذ، أو طمعاً في دور، أو خوفاً من بطش نستعرض هنا حقيقة العلاقة بينه وبين السيدة ناهد رشاد وصيفة شقيقته الأميرة فوزية، والتي ثارت من حولها الشائعات السوداء من مزاعم وأكاذيب تزعم أنها كانت على علاقة ساخنة مع فاروق حتى أن السينما المصرية شاركت في تلك المهزلة بإنتاج فيلم بعنوان «امرأة هزت عرش مصر» لعبت بطولته نادية الجندى وتقمصت من خلاله دور ناهد رشاد ليعزز تلك الافتراءات دون أدنى جهد للوصول إلى كبد الحقيقة.

والغريب أن مؤلف تلك الرواية الساذجة لم يشأ أن يطلع على كافة المذكرات والشهادات التي صدرت لإنصاف تلك السيدة التي ساءت سمعتها حيث كان همه الأول والأخير إنتاج فيلم يسيء إلى ناهد رشاد لشهرة يصيبها أو مال يجمعه ويدخره بغض النظر عن مردود هذا الفيلم وتبعاته السيئة.

* * * *

في مذكرات السكرتير الشخصي للملك فاروق يقول أمين فهم:

«لم يكن فاروق يكتف عن أسرارته، وطالما قص على في المنفى الكثير من مغامراته، وعندما ألمحت له عن الشائعات التي ترددت عن علاقته بناهد رشاد أقسم لي - بحياة أبيه - وهو قسم اعتدت على يقين أن أصدق فيه - بأنه لم يكن يربطه بها سوى صداقته لزوجها. . وقال أنه كان يشعر بأنهما سعيدان يتبادلان الحب، وأنه كان يشعر بأنهما حقاً السعادة التي كان هو محروماً منها.

وأضاف فاروق: أنه كان كلما شعر بالملل والوحدة في القصر كان يذهب ليلاً إلى شقة يوسف رشاد، ويطلب منه أن يحضر له مرتبة ويضعها في بلكونة

الشقة لينام عليها حتى الصباح، وكانت ناهد تحرص على أن تضع بجانبه سلة مليئة بالفاكهة.

ويضيف أمين فهميم: «أن فاروق كان يصحو من نومه على صوت رشاد يقرأ قرآن الصباح» وقال أيضاً: «إنه لم يحدث مرة أن خرج يوسف رشاد من الشقة وترك ناهد وحدها ولا صحة لما قيل إنه كان يختلى بها».

وعقبت على ذلك بقولى: أنه حدث مرة ونحن فى مصر أن فاتحت رشاداً كصديق - حول ما يتهمس به البعض عن علاقة الملك بزوجته، فأكد لى أنه لم يلحظ أبداً من فاروق ما يدل على محاولة من جانبه لاستمالتها، وأنه لو كان قد لاحظ ذلك لكان قد قدم استقالته على الفور.

وأكد لى فاروق - والكلام لأمين فهميم - أنه لم يشعر فى يوم من الأيام بأى عمل من جانبها لإغرائه.

كان فاروق يعطف عليها ولاحظ يوماً عندما تجلس معه تضع أصبعها على زبيبة صغيرة فوق أنفها بالقرب من عينها اليمنى.. فقال لها إنه سيوفدها فى مهمة خاصة جداً فى أمريكا [وقيل إنها قد تكون للقاء أخته فتحية، ولكنه لم يفتح أحداً بأمرها].

وهناك تنهز الفرصة لإزالة تلك الزبيبة بعملية بسيطة، وتم ذلك بالفعل وكانت من النوع السرطانى الخطير.

* * * *

هذه شهادة براءة لسيدة فاضلة استباح البعض عرضها وكرامتها دون الالتفات إلى رؤية الحقيقة التى تعاملوا عنها عن قصد وسوء نية، وراح كل منهم يغترف من منابع الشر والحقد والظلم والكراهية لإثبات ما لا يمكن إثباته.

وقس على ذلك الكثير من الشائعات الرخصية، وإن كنت لا أستطيع تبرئة فاروق منها حيث كان يسعى في بثها وانتشارها لهوى في نفسه، وقد كانت لديه الإمكانيات على دحض هذه الافتراءات لكنه أراد بصمته ورضاه توكيدها، وهو ما يستدعى الملاحظة والتأمل والدراسة.

وربما كانت سامية جمال أشهر راقصات مصر، وألمع سيدة حامت حولها الشائعات أيضاً دون أن يسعى أحد للوقوف على وجه الحقيقة، وربما كان ذلك برغبة من فاروق نفسه لتوكيد فحولته وقوته، وربما كان ذلك بإيعاز منها لإعلاء شأنها وتلميع نجمها، خاصة إذا كانت الشائعات التي تطاردها تتعلق بعلاقة دافئة مع ملك مصر والسودان، وهو ما يجعلها تتفاخر بها وتتباهى، وذلك نكايه في فريد الأطراش الذي أحبه إلى حد الجنون، ولكنه رفض الزواج منها على اعتبار أنه سليل سلطان باشا الأطرش أمير جبل الدروز حيث كان يرى أن زواجه منها لا يستقيم مع بيته وعراقته وأصالته، وللإنصاف فقد كان هذا هو موقف فريد من جميع الفنانات ومن بينهم المطربة شادية التي أحبه أيضاً فواجهت مصير سامية جمال التي تنذر البعض عليها قائلاً: إنها راقصة مصر الرسمية، وأنها لا تغادر فراش الملك، وأن فاروقاً هو ملك مصر والسودان وسامية جمال».

وتأكيداً على ما سبق قوله فقد التقى الأستاذ أنيس منصور بالراقصة سامية جمال قبل رحيلها، وقد أجرى معها حديثاً تعرض من خلاله لحقيقة علاقتها بالملك فاروق الجمعة ٩ أغسطس ٢٠٠٢، وقد كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

«التقيت سامية جمال وهي سيدة لطيفة ظريفة مجاملة جداً، ولا تزال

رشيقة القوام ووجهها قد أضاء وشكلها وقور في ملابسها المحتشمة.

وقالت وقلت وضحكنا وحكايات من هنا فى السياسة والفن والتاريخ
وفريد الأطرش وشكرى سرحان ورشدى أباطة ورشدى أباطة :

أنيس : باقولك أيه يا سامية :

سامية : يا ابن الإيه .

أنيس : إيه .

سامية : أنت غيرت الكلام بسرعة كده ليه وهو فيه إيه؟

أنيس : فيه .

سامية : أيه؟

أنيس : سؤال لا أجد حرجاً فى أن أوجهه إليك وأنا أعرف الإجابة مقدماً

هل كانت لك علاقة جنسية بالملك فاروق كما نشرت الصحف؟

سامية : يا خويا أنت اللي كنت بتقول فى روز اليوسف، وأنت اللي

أطلقت على لقب (راقصة مصر الرسمية) وأن العلم المصرى كانوا

يضعونه فوق الفندق الذى كنت أنزل به فى مدينة دوفيل .

أنيس : أيوة صحيح لكن لم أتحدث، ولا كان فى استطاعتى أن أتحدث عن

علاقات مع الملك .

وفى هذه اللحظة مدت سامية جمال يدها إلى المصحف ووضعتة على

وجهها وهى تقول : وحياة المصحف وكلام ربنا ما كانت لى أية علاقة بالملك

فاروق . . لا عن عفة ولكن هذا ما حدث ألوف يتمنون هذه العلاقة، لكن

والمصحف ما حصل أنت كنت جاي عشان كده بقى يا أنيس .

أنيس : أنا كنت متأكد من كده .

سامية : ليه متأكد؟

أنيس: متأكد.

سامية: تفكر إن ده ممكن يحصل لو قابلت فاروق فى جهنم.

أنيس: ها ها .. يمكن .. ها ها ..

لقد أعجبتنى سامية جمال .. وصدقته .. حين قالت فى جرأة وشجاعة
نادرة:

«وحياة المصحف ما كانت لى أية علاقة بالملك .. لا عن عفة، ولكن هذا
ما حدث».

لم تقل سامية جمال إنها أبت مضاجعة الملك، وإنه هام بها وروادها عن
نفسها، وإنها لم تكن تطيق رؤيته وحكايات وأكاذيب من تلك العينة التى
امتلات بها كتب الغوانى والقوادين، لكنها قالت إنها لا تنفى ذلك عن عفة،
وهى الحقيقة فقط التى تبرئ ساحتها وساحة الملك فاروق، وهو ما يشير إلى أن
الرجل كان ضحية الانتهازين والأفاقين وصناعة أفقه وسوء نواياه .

كان يمكن لسامية جمال أن تزعم أنها كانت على علاقة بالملك قهراً وقسراً،
وأنها حاولت مراراً مقاومتها دون جدوى حيث الملك هدها بالقتل إذا لم
تستجب لرغباته .. كان بمقدورها أن تدعى ذلك أو أكثر من ذلك بكثير لكنها
آثرت قول الحقيقة، وهى على مشارف الموت والوقوف بين يدي الحسيب
الرقيب.

* * * *

أما ما أشيع حول ضبط امرأة فرنسية تدعى آنى بريئة فى غرفة نوم الملكة
فريدة زوجة الملك فاروق، فهو قول يجافى الحقيقة ولا يتواءم مع المنطق بحال
من الأحوال، ويقودنا إلى التساؤل والاستفسار والدهشة هل كان فاروق يستطيع

أن يصطحب أية امرأة مهما علا شأنها إلى قصر عابدين ومرافقتها بنفسه إلى غرفته الخاصة التي تجمعها مع زوجته الملكة فريدة؟

بالطبع هذا الادعاء رخيص وهزلى حيث لم يكن فاروق يملك الشجاعة والجرأة على القيام بمثل هذا التصرف الصياني.. ثم ألم يعرف فاروق وحاشيته أنه لا سبيل لفريدة سوى أن تخلد ليلاً إلى غرفتها، وهذا تصرف طبيعى ومألوف ومعتاد منذ قدومها زوجة للملك إلى القصر؟! وهل كان بمقدور فاروق أن يفعل ذلك فى حضور والدته الملكة نازلى التى كانت تثير الرعب فى قلبه، وكثيراً ما كانت تردعه وتؤنبه إذا تراءى لها سوء تصرفاته؟

ألم يكن جديراً بالملك أن يصطحب تلك المرأة اللعوب إلى أى قصر آخر من قصور الرئاسة المنتشرة فى القاهرة أو أية مزرعة من مزارعه المتعددة؟

الحقيقة أن فاروقاً لم يكن بتلك الشجاعة، أو هذه السذاجة بل كان ذكياً واعياً، ومن ثم فمثل هذا الادعاء يضاف إلى قائمة الشائعات السوداء التى حاقت بالرجل حياً وميتاً.

نفس هذه التساؤلات تنطبق على ما أورده البعض حول شائعة ضبط الملكة فريدة امرأة تدعى «ليلى شريف» فى غرفة نومها حيث إنها شائعات لا تتفق مع العقل ولا تنسجم مع أى منطق سوى منطق السذج والبلهاء.

أما ما تردد حول علاقته بالمشكلة الفاتنة كاميليا فقد أكد رواة هذا الافتراء أنه التقى بها سرّاً فى قبرص، ولا أدري لماذا لم يلتقِ بها هى الأخرى فى غرفة نوم زوجته فريدة؟

وهل كانت مزرعة الملك بأنشاص أبعد من قبرص، ثم لماذا لم يصطحبها إلى قصر المنتزه؟! هل تعذر على الملك مرافقتها فى أى قصر من قصوره الكثيرة والمتشعبة فى جميع أنحاء البلاد؟!

إن هؤلاء يتحدثون عن الرجل وكأنه شاب مراهق عاجز عن تدبير شقة يقضى بها خلوته مع من يحب ويهوى ويعشق، ومن ثم اضطر تحت ضغط المطاردة الزوجية والصحفية إلى الهرب بها إلى قبرص؟!!

وهؤلاء الذين ظنوا أن الملك أثر السلامة خوفاً من فريدة فسافر إلى قبرص وتجنباً للقليل والقال، وتفادياً لعدسات الصحافة غفلوا عن عمد أن للرجل ضياعه التي كان بمقدوره الاختباء بها دون أن يهتدى إليه أحد، ثم إنه لم يكن يعبأ بما تنشره الصحافة وإلا كان قد توارى خجلاً من انكبابه كل ليلة وحتى شروق الشمس على موائد القمار رغم الحملات الشرسة التي شتها الصحف ضده، وظل على غوايته دون تراجع أو انكماش.

* * * *

بصراحة أكثر أريد أن أقول إنه قد يكون للرجل نزواته شأنه شأن أى زوج زائع البصر، لكنه لم يكن سابحاً فى بحور النساء ليلاً ونهاراً، كما أراد هؤلاء أن يزيفوا الحقيقة..

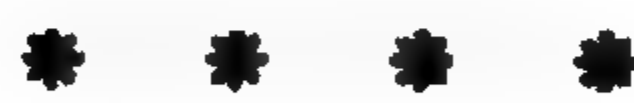
وظنى أن فاروق بما أشاعه عن نفسه من فحولة وقدرة استعاض بها عن حقيقته وحرص البعض على ملاطفته والتودد إليه هو الذى أدى إلى مثل هذه الأكاذيب والشائعات.

لقد كان فاروق متأثراً إلى حد بعيد بسيرة جده الخديو إسماعيل وخاصة فيما يتعلق بشأن علاقاته النسائية الشهيرة، ومغامراته التي تحدث عنها الجميع، ونزواته التي كان يتفاخر بها.. ولعل هذا التأثير الشديد بالخديو إسماعيل هو الذى دفع فاروقاً للمباهاة والتفاخر أمام أصدقائه بكثرة علاقاته وقدرته الفذة على اللقاء مع أكثر من سيدة فى ليلة واحدة حتى أنه كان يختم حكاياته المسلية الكاذبة بالعبارة الشهيرة: حفيد إسماعيل يا جماعة!!

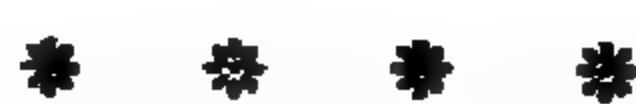
أى تأكيد على فحولته وفروسيته كجده تماماً، وقد أضحكنى كريم ثابت، وأنا أقرأ مذكراته، وقد علق على ذلك بأن حلاق الملك فاروق عقب بحركة لا إرادية إلى كريم ثابت من خلف ظهر الملك بأنه كاذب ولا تصدقه حيث كان يسهر الليلة الماضية بمفرده طوال الليل، وذلك أثناء حديثه عن مغامرة نسائية لكن فاروقا الذى عانى من الحرمان فأراد أن يصنع ما يستطيع، ويزعم أنه صنع ما لا يمكن أن يصنعه، وأن يدعى ويتفاخر بما يجب أن يكتبه.



أريد أن أقول: إذا كان هناك إجماع تاريخى على انكباب فاروق على موائد القمار وتوافق ملحوظ على كراهيته للكحوليات بجميع أنواعها وأشكالها وألوانها، فما من شك أن مسألة غراميات فاروق ولياليه وسهراته التى تناثرت من حولها الأقاويل تفقد الإجماع والتوافق على نفيها أو إثباتها، ومن ثم جاءت الشهادات المتعلقة بهذا الأمر بين مجروحة أحياناً وسليمة فى أحيان أخرى فتعذر على الباحث الوقوف على وجه الحقيقة التى تستدعى دراسة وافية ومضنية وشاقة لإجلالها وتلميعها.



شائعات كثيرة ومتعددة طارت ودارت حول فاروق وغرامياته التى لا تنتهى، وعلاقته المحرمة التى لا تتوقف حتى بدا الملك فى عيون من يعرفونه ذنب يمشى على قدمين، وربما كان فاروق قد ارتاح لمثل تلك الشائعات غير عابئ بما سترتب على ذلك من تشويه لسمعته وإهانة لزوجته وتحقير من شأن أسرته، فضلاً عن النفقات الباهظة التى ستسددها كل من حاقت بها تلك الأقاويل من سمعتها وشرفها وكرامتها ومستقبل أولادها وأسرته أيضاً.



من ناحيتى أعتقد أن فاروقا لم يكن كما عرفه البعض - زير نساء - بالمعنى الشائع، لكنه على نحو أو آخر كان يهوى رؤية النساء وملاطفتهن والتحدث معهن دون تطوير فى شكل وحجم العلاقة مع أى منهن.

أعتقد أيضاً أن ما تواتر من مزاعم وأقاويل تتعلق بتلك المسألة لا يستقيم مع العقل والمنطق إذا دققنا وفحصنا تلك الإشكالية بدقة وأمانة وتجرد ونزاهة وحياد.

لقد زعم البعض أن فاروقا كان على علاقة غير شرعية مع السيدة ناهد رشاد، والفنانة كاميليا والراقصة سامية جمال، وأخرى تدعى ليلى شريف، غير ذلك من جنسيات مختلفة، وسوف نتعرض بالتفصيل لتلك المرويّات، ولكن ينبغى أن نتأمل معاً ما ورد فى الوثيقة التى كشفت بريطانيا النقاب عنها مؤخراً، وهى تتعلق بتلك المسألة، وقد دارت وقائعها بين اللورد ما يلز لأمسون القنصل البريطانى بالقاهرة، وحسين سرى رئيس الحكومة حينئذ، وزوج خالة الملكة فريدة فى محاولات جادة وجهود حثيثة باءت بالفشل، وإن اضطر فاروق إلى إرجاء الطلاق تفادياً، لوقوع حسين سرى فى حرج شديد أمام الصحافة والرأى العام لحين انتهاء فترة الحكومة من خلال التبرير بانتخابات برلمانية تأتى بحكومة جديدة لا يتزعمها حسين سرى.

الغريب أن فاروقا كان يحب فريدة حباً شديداً، ولا يستطيع مفارقتها، أو الابتعاد عنها، لكنه فى ذات الوقت أصبح لا يطيق التحدث معها أو النظر إليها كلما مر بخاطره طيف وحيد باشا يسرى ظناً منه أن هناك علاقة ربطت بينه وبين زوجته. . . ومن ثم اشتدت الأزمة ووصلت إلى طريق مغلق إن لم يكن مسدوداً فاضطر إلى القيام بإجراءات الطلاق، وذلك بعد ضغط شديد مارسته

فريدة التى هجرت قصر عابدين لتستقر مع بناتها الثلاث بقصر الطاهرة الذى أطلقه الشعب على (قصر القبة) وفاءً منه لتلك الملكة العفيفة الطاهرة.

ورغم أن فاروقا قد منحها نحو ألفى فدانٍ من الأراضى الزراعية الخصبة أطلق عليها أراضى الفريديّة ربما تتراجع عن طلبها الملح فى الانفصال إلا أن فريدة كانت تشعر أن فاروقا الذى أحبه ومازالت تحبه قد أهانها وجرح كبرياءها كملكة للبلاد دون أن يضع فى الاعتبار أنها زوجته وأم أولاده، وقد ساعد على ذلك ما تناثر من أقاويل حول علاقات فاروق الشائنة وابتعاده عنها وانغماسه فى السهر على موائد القمار كل ليلة، وعدم قدرته على مطارحة الحب كما كان فى بداية زواجه منها.

ربما اجتمعت كل هذه الأسباب لكى يبقى السبب الوحيد والجوهرى الذى ألم بالملكة فريدة وذبحها وهو عدم تمكنها من إنجاب ولد كان يتلف عليه فاروق وتنتظره والدته، ومن ثم تعرضت العلاقة بينهما لمهب الريح فتحطمت وتحولت إلى أشلاء كأنها عائدة لتوها من معركة حرية.



وأمام تلك المتغيرات والتطورات اضطر فاروق لاستدعاء شيخ الجامع الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغى لمناقشته بشأن ضرورة إصدار فتوى فى الواقع أن فريدة كانت تشعر بالحزن والأسى رغم أن الأمر لم يكن بيدها غير أن البعض كان فى تلك الأزمنة يتصور أن تحديد الأثني والذكر يتعلق بصحة الأم وقوتها وعافيتها وحظها، بينما أكد الطب الحديث أن ماء الرجل هو الذى يحدد نوع الجنين.

لكن من الذى كان يعترف بتلك الحقيقة أو حتى يعرفها، ومع ذلك دفعت فريدة الثمن غالياً وباهظاً ومكلفاً.

كانت فريدة فى سنوات زواجها الأولى تشهد الاحتفالات الخيرية، وتعطف على الفقراء، وتتبادل التحية والمصافحة مع عامة الشعب حتى أحبها الناس وعشقوها وحزنوا من أجلها بعد أن شاء الله ألا تلد ذكراً.

ولأن فاروقا كان يعرف أن الشعب يعشق فريدة، فقد أمرها بعدم الخروج من القصر أو حضور أية احتفالات مهما كانت.

ورضخت فريدة وانكلمشت فى بيتها حين أدركت أن فاروقا لم يعد يحبها أو يميل إليها كما كان فى بدء زواجهما..

وبدأ فاروق ينصرف عنها ولا يتحدث إليها كثيراً، وانكب على السهر وممارسة القمار حتى الصباح وقد ضاق الشعب بتصرفاته ذرعاً وذلك بعد أن تسربت أنباء من تحت أعتاب القصر تشير إلى وجود خلافات بين فاروق وفريدة تتعلق بسهر فاروق وانصرافه عن مهام وشؤون أسرته متذرعاً أنه يعانى من تحمل مسؤولية البلاد ودارت الشائعات، وربما الحقائق لا أحد يدرى ماهيتها عن علاقات فاروق المتعددة والمتشعبة، وأن فاروقا غارق فى ملذاته سابح فى بحور النساء لا يمل من غزلهن ومعاشرتهن، وبدأت الخلافات تتطير شظاياها.. والشكوك تنتاب الزوجين ولم تنجُ فريدة من الوقوع فى مصيدة الشك حيث إن فاروقا قد أوعز إليه بعض الخبشاء أن زوجته فريدة اعتادت الذهاب إلى قصر الأميرة شويكار لمقابلة ابنها وحيد باشا يسرى، وهو بمثابة ابن عمه الملك حيث إن والدته هى ابنة عم والده الملك فؤاد، فضلاً عن أنها كانت زوجته الأولى قبل اقترانه بالملكة نازلى.

فاروق وزواجه من فريدة

«بمناسبة زواج ملك البلاد فاروق الأول أقيمت عشرة سرادقات في الأحياء الشعبية وقُدِّم من الطعام في كل سرادق ما لا يقل وزنه عن عشرة أطنان من اللحوم الضأن أي ما يكفي لإطعام نحو ١٠ آلاف فقير بإجمالي حوالى مائة ألف!!»

زواج فاروق وفريدة

كعادة كل ملوك العالم وأباطرته راح فاروق يبحث عن وريث للعرش قبل البحث عن عروس تشاركه أعباء الحكم ومسؤولياته، ولعل هذا هو ما يشير ظلالاً من الكآبة دائماً في داخل القصور الملكية سواء في مصر أو غيرها حيث يظل عشق الملك وغرامه بزوجته مرهوناً دائماً بجنس الوريث، فإن كان ذكراً أشرقت الوجوه وعلت الضحكات، وإن كانت أنثى اسودت الوجوه وساد الحزن والوجوم، وسرعان ما تنفجر الخلافات بين الملك وزوجته على أتفه الأسباب ويكون الهدف منها التخلص من تلك الزوجة «النحس» كما يقولون ليبدأ رحلة البحث عن عروس تهب له ولداً يرثه ويرث عرشه من بعده.

وللإنصاف هذه ليست عادة الملك فاروق فقط، بل هي عادة متأصلة في عروش وقصور وتيجان العالم أجمع، وإن كانت هناك بلدان كالمملكة المتحدة لا تعتد بمثل هذا النص الدستوري.



نعود إلى فاروق وزواجه من فتاة كانت حلم كل من يعرفها أو يلتقى بها لجمالها وحسنها وبراءة وجهها وسحرها ودلالها وحيائها ورجاحة عقلها وهدوئها وثقافتها، وهي عوامل أدت إلى أن يتسلل الحب إلى قلب الملك ابن الثامنة عشرة الذي بدا مفتوناً بها مأخوذاً بسحرها وذلك أثناء رحلة جمعتهما معاً إلى سويسرا، وكانت الأنسة صافيناز ذو الفقار تحت ملاحظة ومراقبة الملكة الأم نازلي التي أبدت إعجابها بسلوك صافيناز واحترامها لنفسها، ولحسن تصرفاتها دون أن تفعل ما يسىء إليها ويحط من شأنها.

وصافيناز من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢١ ، ووالدها كان يعمل فى السلك الدبلوماسى ، ووالدتها كانت إحدى وصيفات الملكة نازلى ، وتجدر الإشارة إلى أن خال صافيناز كان الفنان الرسام العالمى محمود سعيد صاحب أشهر لوحة فنية بعنوان «بنات بحرى» ، وخالتها هى السيدة ناهد سرى زوجة حسين سرى باشا رئيس الوزراء ؛ تميزت صافيناز أيضاً بثقافتها الرفيعة حيث كانت تجيد الاطلاع والقراءة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية ، وقراءة التاريخ القديم ، وتهوى الرسم والعزف على البيانو ، وقد نالت شهادتها من مدرسة نوتردام ديسون بالإسكندرية .

وحين قرر فاروق الزواج منها فاتح والدته الملكة نازلى التى رحبت على الفور إعجاباً منها بالفتاة الحسنة صافيناز ، والإسراع فى إنجاب ولد وريث للعرش حتى يتلاشى من أمامها شبح الأمير محمد على ابن توفيق ولى العهد الذى لا يزال يتربص بالقصور الملكية ، ويتأهب للقفز على عروشها ويحلم بالتاج الملكى على رأسه حتى كاد أن يفقد نصف عقله بين اليأس والرجاء .

الشاهد أن فاروقاً نال رضا وقبول وموافقة والدته التى كانت تحكم البلاد بمهارة وذكاء شديدين ، ثم اتجه إلى منزل والد الأنسة صافيناز ذو الفقار الذى استقبله استقبالاً حاراً وبحفاوة شديدة كانت السرايا التى يقطن بها متراحة بالجنود وحرس الشرف فى انتظار الملك بصحبة أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى وفى صالون قصر آل ذو الفقار بدا الملك الشاب خجولاً مضطرباً متوتراً خائفاً مرتبكاً شأن أى شاب يتقدم لفتاة يخشى من رفضها أو معارضة أهلها .

وربما كان فاروق على حق فى هذا الخوف حيث إن والد صافيناز أبدى دهشته واستغرابه من هذا الطلب الذى لا يتفق مع صغر سن ابنته آنذاك ومع إلحاح فاروق وضغط أحمد حسنين فى محاولة إقناع والد الفتاة اضطر الرجل إلى الموافقة على إتمام الزواج بعد أن استأذن لمفاتيحة العروس فى الأمر ، وقد

أومات فريدة بخجلها الشديد واحمرار وجهها مما برهن على أن الحب قد ملكها من ملك البلاد وتمكن منها، وهو ما اعترفت به فيما بعد حيث أكدت أنها أحبت فاروقا وستظل تحمل له هذا الحب مدى الحياة.

وبعد أن وافق والد صافيناز على الخطوبة تم تحديد موعد الزفاف في ٢٠ يناير ١٩٣٨ الذى كان يوماً لا نظير له فى تاريخ البلاد حيث شاركت جميع مؤسسات ودواوين الدولة فى هذا العرس، وكان فاروقا ابن لكل أسرة مصرية وهو الشعور الذى كان مسيطراً بالفعل على جميع أبناء الشعب.

قبل إتمام الزفاف أبدى فاروق رغبته فى تغيير اسم خطيبته الآنسة صافيناز إلى اسم آخر يتفقان عليه شريطة أن يبدأ بحرف الفاء تيمناً به كما كان يفعل والده فؤاد رحمه الله.

وفاتح فاروق خطيبته الرقيقة فى هذا الشأن فوافقت على الفور وفى حديقة قصر آل ذو الفقار راح فاروق وصافيناز يجلسان تحت شجرة للبحث عن اسم يبدأ بحرف الفاء يليق بجمال وحسن صافيناز، وترددت على ألسنتهم أسماء كثيرة حتى استقرا على اسم «فريدة»، خاصة أن فاروق أرفقه مصحوباً بكلمات معسولة من الغزل العفيف الذى بدت تأثيراته واضحة على وجه خطيبته، وقد تذرع فاروق لاختيار هذا الاسم بقوله: «إنك بالفعل فريدة فى كل شىء، بل وفريدة من نوعك» وعلى الفور أخبر فاروق رجال القصر لإبلاغ مؤسسات الصحف أن الاسم الجديد للملكة القادمة هو (فريدة) وبالفعل عاشت صافيناز تحمل اسم فريدة حتى رحلت عن الدنيا.

* * * *

أما ليلة الزواج وعقد القران السعيد، فقد كانت أسطورية نادرة لا مثيل لها بدت وكأنها ليلة من إحدى ليالى ألف ليلة وليلة.. الشعب يتهيج ويرقص

طرباً لزواج الملك... القصور الملكية تزينت بالأنوار والأعلام.. المصالح والدواوين الحكومية رفرفت صور تحمل فاروقاً على مبانيتها.. موائد الطعام تنشر بجوار القصور الملكية يتردد عليها الفقراء والمساكين.. مرسوم ملكي يقضى بالإفراج عن جميع المسجونين باستثناء القتلة والسافحين.. مرسوم آخر يتبعه بالعفو وعودة جميع العمال المفصولين لأعمالهم.. السعادة بادية على وجوه الناس.

القصور الملكية بدت وكأنها خلية نحل.. سيارات تذهب وتعود أفواج من الفتيات والأطفال.. وفد يذهب إلى باريس لشراء ثوب الزفاف.. حالة طوارئ من الحب غمرت البلاد.

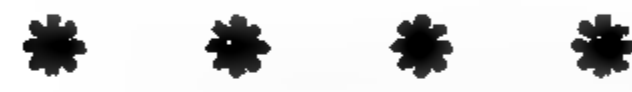
الكل يتلهف على رؤية العروس الساحرة الفاتنة ست الحسن والجمال «فريدة» وفي ليلة الزفاف الأسطوري بدأت الموسيقى الملكية بعزف السلام الملكي إيذاناً ببدء مراسم وبرامج الحفل التاريخي ملوك العالم تجلس بجوار بعضها البعض الملكة نازلى تبدو سعيدة وفي غاية الأناقة وبجوارها شقيقات فاروق..

أقبل الموكب لزفاف الملك، والد فريدة يمسك بيدها، أو ربما هي التي أمسكت بيده.. والعيون شاخصة متطلعة مسلطة متحفزة، الكل يتطلع ويهفو ويتوق إلى رؤية الملكة ابنة الشعب وليست سليلة القصور الملكية.. وبدت فريدة رائعة الجمال مثيرة للدهشة فاتنة.. ساحرة.. كأنها سندريلا القرن العشرين كانت حديث المدينة بجمالها وسحرها فتسللت إلى قلوب الشعب وتربعت ملكة عليه دون منازع.

بدأت الموسيقى الملكية في عزف السلام الملكي إيذاناً ببدء الحفل الأسطوري، وبدأت الفرق الموسيقية العزف بكافة لغات العالم إرضاءً لجمهور الأجانب التي وفدت للمشاركة في هذا العرس.

أما موائد الطعام فقد بدت لناظرها كأنها مزينة بالياقوت والماس حيث طغى الكافيار والرومي والنعام على أطباق ذهبية وملاعق يندر للمرء رؤية مثيلها. .
وأما عن الحلوى الغربية والشرقية والمشروبات التي وردت على متن طائرات خاصة، فحدث عنها ولا حرج فلن تشهد القصور الملكية في مصر نظيراً لها مرة أخرى.

ظل الحفل طوال الليل وبعدها انتقل فاروق بصحبة عروسه إلى جناحه الخاص داخل القصر، ثم انطلق بعدها إلى سويسرا لقضاء شهر العسل.



عاد فاروق بعد انتهاء شهر العسل إلى مصر وحظيت فريدة بلقب «ملكة مصر» انتظر الجميع وتاق إلى قدوم ولي العهد الجديد، وأعلن طبيب العائلة الملكية بعد عودة الزوجين من شهر العسل أن الملكة فريدة تحمل في أحشائها جنينا ثمرة زواجها السعيد بالملك الوسيم ومحبوب الشعب فاروق، وعم الخبر البلاد ونشرته الصحف مهتة ومستبشرة ومضت الأيام والشهور وفاروق يرصد عقارب الساعة، ووالدته تتأمل عقرب الثواني تدق الأرض بقدمها وكأن عقارب الساعة ستسرع من قفزها وعدوها خوفاً منها.

وسرعان ما مرت الشهور والأيام كعهدنا بها وحلت ساعة مجيء ولي العهد ملك البلاد الولد الذكر الذي يتظره الملك في شوق ولهفة استسلمت فريدة لطاغم الأطباء المتخصص في شؤون الولادة، وما هي إلا ثوانٍ حتى رجت أرجاء الغرفة بكاء الوليد الجديد وانطلقت الزغاريد تهز أركان القصور الملكية، وعمت الفرحة الجميع، وسرعان ما انطفأت الأنوار وخرست الألسنة واختفت الفرحة وحزنت نازلي وتآلم فاروق، وفرحت فريدة فرحة عارمة حين أعلن الطبيب الخاص أن المولود أنثى، وطل فاروق عابساً حتى أقنعه رجال

جاشيته أن هذا أمر مألوف وراح بعضهم يشره بقدم الأثني في البداية بأنه بشير خير له وللملكة وعليه ألا يتعجل ويتنظر الولادة القادمة لعل الله يرزقه بمن يرثه، ولأن الملك كان طيب القلب متفتح الذهن، فقد ارتاح بعد ذلك لمولودته التي سماها فريال، وذلك في عام ١٩٣٨، وبعد مرور عام ونصف العام فوجئ فاروق بالمولود الجديد أثني فشر بالضيق والغضب، وحين أقنعه البعض أن الولد قادم قادم في الثالثة انفرجت أساريره وهدأت نفسه وأطلق على المولودة الجديدة فوزية، وفي عام ١٩٤٣ ظل فاروق قلقاً مضطرباً متوتراً متوجساً خائفاً مرعوباً شبح الأمير محمد على يطارده يتراقص أمامه يضحك في وجهه يستهزئ به، وبعد دقائق من القلق والأرق أطل الطبيب بوجهه الشاحب قائلاً للملك : «مبروك يا مولانا» ثم انصرف عائداً إلى غرفته متذرعاً بانهماكه في إتمام إجراءات ما بعد الولادة، وأدرك فاروق أن المولود الجديد أثني ما دامت مساعدات الطبيب في حالة وجوم وصمت لاذ به الجميع فاستسلم فاروق ورضخ لقضاء الله وقدره، فأطلق عليها الأميرة «فادية» وهي أسماء أصر فاروق على أن تبدأ جميعها بحرف الفاء كعهد أبيه.



دينه يمنع زواج الملكة فريدة من رجل آخر حال طلاقها من فاروق ظناً منه أن الملوك كالأنبياء لا ينبغي لأزواجهن الاقتران بأحد بعد وفاتهم أو طلاقهن، وهو ما رفضه الشيخ محمد مصطفى المراغي رفضاً قاطعاً حيث يتنافى ذلك مع أحكام الشريعة الإسلامية وفقهها وستها الحميدة.

أراد فاروق أيضاً انتقاماً من فريدة إصدار فتوى بحرمانها من رؤية وحضانة أطفالها إلا أن هذه الرغبة اصطدمت أيضاً مع صلابة وحكمة الشيخ المراغي الذي أتم إجراءات الطلاق، فاضطر فاروق إلى تشويه سيرتها لدى أطفاله حتى

نجح فى إقناعهن فيما بعد أن والدتهن كانت تخونه ولم ترعَ حرمة وشرفه وكبرياءه ومكانته الأمر الذى أدى إلى مقاطعتهن لوالدتهن حتى أن واحدة منهن لم تذهب لزيارة والدتها فى أثناء مرض موتها الأخير فى تأثر بالغ وواضح من فاروق الذى نجح فى الانتقام من فريدة حياً وميتاً.

وعاشت فريدة بمفردها تعاني العزلة والوحدة التى فرضها طلاق فاروق، فقتلت وحدتها بفرشاة الرسم حتى أفلست ولم تعد تملك قوت يومها حتى اضطرت إلى بيع لوحاتها لمجابهة أعباء الحياة بعد ثورة يوليو وفرض الحراسة والتأمين على جميع منقولات وممتلكات أسرة محمد على بما فيهم الملكة فريدة. وظلت فريدة على حالها وقد انتقلت إلى الإقامة فى شقة صغيرة مكونة من غرفتين وصالة لا تليق بملكة كانت تملك قصورا وضياعا ومائتى ألف فدان ومجوهرات ونفوذ وجاه وسلطان والله فى خلقه شؤون وأحكام.



وجدير بالذكر أن وحيد باشا يسرى كان من المقربين فى الماضى من الملك فاروق الذى كان يقدره ويميل إلى التحدث معه حتى تحول وحيد باشا يسرى فجأة إلى موالة حزب الوفد، وهو ما أثار حنق فاروق وغضب عليه وشن حرباً عنيفة ضده.

وظنى أن هذه الشائعة التى لاحقت الملكة فريدة حول علاقتها الغرامية مع وحيد باشا يسرى كانت تقف وراءها الأميرة شويكار نكاية فى الملكة نازلى، ومحاولة منها لضرب فاروق وتخطيم سمعته، وذلك لعلها تتمكن من إطفاء لظى اللهب الذى يستعر فى صدرها بعد طلاقها من فؤاد واعتلاء طليقها للعرش لتصبح هى مجرد أميرة ضمن عشرات الأميرات فى محيط أسرة محمد على بينما أصبحت نازلى ابنة الشعب التى لم تكن يوماً من سلالة آل محمد على هى ملكة البلاد التى تأمر وتنهى دون استشارة أو مراجعة.

ظنى أيضاً أن فريدة أخطأت حين مضت فى توثيق علاقتها مع الأميرة شويكار رغم أنف القصر، وهو ما ساعد على إشعال الغضب فى صدر فاروق ففقدت التعاطف الشديد الذى كانت تحمله لها الملكة نازلى وشقيقاته، وكان ينبغى على الملكة فريدة أن تبرئ ساحتها بتجميد تلك العلاقة الشائكة احتراماً لفاروق وتكديماً للشائعات التى حاصرتها، لكن يبدو أن تأثير الأميرة شويكار أقوى من أن تقاومه فريدة..

من هنا تكهرب الجو وتآزمت الأمور وتفاقت حداثها مع ازدياد وانتشار شائعات أخرى، ربما كان مصدرها وحيد يسرى باشا ووالدته الأميرة شويكار تدور أغلبها حول علاقة فاروق بالعديد من النساء الساقطات أو الفنانات أمثال كاميليا وسامية جمال وتحية كاريوكا، فضلاً عن شائعات لم تسلم منها والدته الملكة نازلى التى قيل إنها على علاقة غرامية عنيفة برئيس الديوان الملكى أحمد باشا حسنين، وهو ما دفع فاروقا إلى ضرورة وضع حد لتلك المهازل حيث بات لا يعرف أين الحقيقة وسط تلك العواصف العاتية التى اجتاحت قصره، وربما فى طريقها للإطاحة بعرشه.



الحب والحرب فاروق وناريمان

بعد انفصاله عن زوجته فريدة عاد فاروق أكثر نشاطاً وانطلاقاً وتحوراً وانغماساً في ملذاته وهواياته ونزواته؛ كأنه نسخة مكررة من أبيه فؤاد حين قرر الطلاق من زوجته شويكار أملاً في حياة مرحلة سعيدة حرة بعيدة عن قيود الزوجية وأنيابها الشرسة، وظل فاروق على عزوبيته وطيشه نحو ثلاثة أعوام دون زوجة رافضاً الاقتران مرة أخرى حيث إن ما تنائر من أقاويل حول فريدة قد أدمى قلبه حتى نصحه أحدهم بضرورة المضي قدماً في البحث عن عروس جديدة تناسبه وتليق به وبمكائنه كملك مصر والسودان لعلها تنجب له ولداً يهدئ من روعه ويطفئ نيرانه ويشعر معه بالاستقرار والاطمئنان.

وفي أواخر شهر نوفمبر ١٩٥٠ ذهبت الأنسة ناريمان حسين صادق لشراء قطعة من المجوهرات برفقة خطيبها الشاب زكى هاشم من محل أحمد نجيب الجواهرجي الشهير وأحد المقربين من الملك فاروق وجواهرجي القصر الخاص. وحين وقعت عيناه على الأنسة ناريمان خطرت له فكرة عبقرية حيث كان يعرف أن الملك فاروق يبحث عن عروس جديدة له، ومن ثم اضطر أحمد نجيب إلى تأجيل بيع الخاتم الذي أعجب ناريمان بحجة أنه بصدد إحضار خاتم آخر في اليوم التالي، وهو من النوع النادر، ثم استطاع بمكره ودهائه الحصول على رقم هاتف منزل ناريمان صادق وعنوانها بمصر الجديدة.

وبعد أن انصرفت ناريمان وغادرت المحل بصحبة خطيبها انطلق أحمد نجيب صوب قصر عابدين لمقابلة الملك فاروق وإبلاغه بأمر ناريمان صادق. حتى يتفرغ الملك للحضور في اليوم التالي لمشاهدتها في الساعة السابعة طبقاً للموعد المقرر بين ناريمان والجواهرجي أحمد نجيب.

كانت ناريمان لم تتجاوز فى تلك الاثناء السادسة عشرة من العمر، وكانت تربطها علاقة مع الشاب زكى هاشم، وقد أوشكا على الزواج بعد شهور، وقد تميزت بجمالها الطاغى وأنوثتها المتفجرة ونضارة وجهها، كانت تصغر فاروق بنحو ثلاثة عشر عاماً، فقد ولدت فى ٣١ أكتوبر ١٩٣٣ فى مدينة الإسكندرية، ووالدها هو حسين فهمى صادق بك، وهو خريج كلية الهندسة جامعة بريستول البريطانية، وقد تسلم مهام وظيفته فى مدينة الإسكندرية التى اتخذها مقراً رئيساً له ولأسرته حتى تعرضت لغارة ألمانية إيطالية عنيفة عام ١٩٤٠ قرر على إثرها مغادرتها إلى مدينة المنصورة، وهى موطن أسرة زوجته أصيلة هانم ابنة كامل محمود بك الذى كان يشغل فى ذلك الوقت كبير مهندسى الرى بالدقهلية، وقد كانت ناريمان فى السابعة من عمرها فى ذلك الوقت.

وقد كان جدها من أشهر وأبرز علماء الجغرافيا، وقادة الجيش المصرى حيث إنه أصدر عدة كتب تعيد اكتشاف طرق جديدة للسفر إلى أراضى الحجاز عبر جبال سيناء، وقد طالب من خلاله بضرورة استخدام البواخر عبر خليج السويس للسفر بها إلى الأراضى الحجازية، وهو المطلب الذى استجابت له الدولة على الفور، وذلك عقب صدور كتابه (كوكب الحج)، كما أسهم فى وضع خرائط للمدينة المنورة لتحديد شوارعها وطرقها ومداخلها ومخارجها، وأيسر الطرق الموصلة إليها، وأنسب المواصلات التى تقصدها، وذلك فى كتابه (مشعل المحمل) الصادر عام ١٨٧٧، ومن ثم عين أميراً لبعثة الحج بمرسوم صادر من الخديو توفيق عام ١٨٨٠، كما كان له السبق فى التقاط أول صور فوتوغرافية للأماكن الإسلامية المقدسة، وعلى رأسها المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوى بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى بمدينة القدس، وقد

حصل على الميدالية الذهبية بعد عرض تلك الصور فى معرض أقيم بمدينة
البندقية .

أضف إلى ذلك أن شقيقة جدها، وهى السيدة زينب هانم صادق كانت
متزوجة من إسكندر بك الفرنساوى ابن سليمان باشا الفرنساوى قائد ومعلم
الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير، وبالمناسبة هو خال الملكة
نازلى أيضاً!!

* * * *

كانت ناريمان قد التحقت فى بواكير حياتها بمدرسة المنصورة الابتدائية، ثم
انتقلت مع أسرتها إلى ضاحية مصر الجديدة فالتحقت بمدرسة مصر الجديدة
الابتدائية للبنات، ثم انتقلت إلى مدرسة الأميرة فريال الثانوية بالقسم الفرنسى،
وحصلت منها على شهادة الثقافة، ولأن اسم ناريمان يعنى فى اللغة التركية
(الجميلة الساحرة والفاتنة خفيفة الروح)، ومن ثم كانت تهوى الرسم بالزيت
والعزف على البيانو شأن كل بنات الأسر الارستقراطية، فضلاً عن ممارستها
للعبة البنج بونج، وقراءة كتب التاريخ، وسير العظماء وقراءة جميع المجلات
العلمية باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، خاصة وأنها كانت تجيد الكتابة
بتلك اللغات أيضاً.

* * * *

الشاهد أن فاروق اتجه فى الموعد المضروب بين ناريمان وأحمد نجيب
الجواهرجى، وقيل إن فاروقاً اختبأ داخل المحل وشاهدها بحذر حتى لا ينفضح
أمره، وروى البعض أنه تعمد أن يدخل المحل بشكل عفوى ويتحدث معها
حتى يتأكد من جاذبيتها وشخصيتها ومدى قبوله لها.

وعلى أية حال سواء اختبأ فاروق، أو ظهر أمامها فجأة، فقد نالت إعجابه ورضاه واحترامه لها، ومن ثم قرر الزواج منها بعد أن تتمكن والدتها أصيلة هانم من فض خطوبتها على زكى هاشم.

وكأى فتاة تحلم بأن تكون ملكة على العرش، وفتاة أحلام الشباب والتي تملك وتحكم وتدير شؤون البلاد قررت ناريمان الارتباط بالملك فاروق دون تردد ليذهب زكى هاشم إلى من يستحقها وتستحقه، وتذهب هي إلى العرش الذى هبط عليها من السماء.

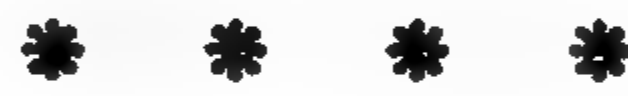


ذهب فاروق إلى بيت ناريمان صادق بمصر الجديدة لمفاتيحة والدتها وأقاربها فى شأن تحديد موعد خطوبته لناريمان، والانتقال بعد ذلك إلى إجراءات الزفاف وموعده. . وبعد قراءة المفاتيحة أهداها خاتم من الألماظ ينذر وجوده.

كانت ناريمان تلتقى فاروق بشكل منتظم للتره معه، وأحياناً من خلال استقبالها له فى الصالون، وقد توثقت علاقتهما ونما الحب بينهما وترعرع، وأصبح فاروق لا يتحمل فراق ناريمان عنه، والتي بادلتة حباً بحب وشوقاً بشوق، بل ربما اكتوت هي بنيران الحب ولهيبه حيث كان فاروق جذاباً وسمياً ممشوق القوام وفارع الطول قوى البنية ذا وجه أحمر ويشرة بيضاء ممزوجة باللون الأحمر وشارب أصفر جميل يشير إعجاب أية فتاة، أضف إلى ذلك أنه كان خفيف الدم طيب القلب، فضلاً عن أنه الملك الذى يملك ويحكم، والرجل الذى تتجه الأنظار إليه، وهو فى بداية الثلاثين من العمر أى أنه فى ريعان شبابه.

وعلى نحو أو آخر حدد موعد الزفاف، وتقرر أن يكون ٦ مايو الذى يوافق عيد ذكرى جلوس الملك على العرش للمرة الأولى أن يوافق يوم زفاف فاروق وذلك لتصبح الفرحة فرحتين على حد تعبير بيان القصر الملكى آنذاك.

والحقيقة أن فاروقا حاول أن ينشر البهجة والسعادة والفرحة فى ربوع البلاد على غرار ما حدث أثناء زفافه على فريدة إلا أنه قد أخفق وفشل فى ذلك حيث أحجم الناس عن المشاركة، وعزفوا عن شراء الأعلام والزينات الورقية والضوئية حزنا وأسفاً على مصير الملكة فريدة التى أحبوها وأحببتهم، بل إن بعضاً من أبناء الشعب خرجوا للتظاهر ضد هذا الزفاف مرددين بأصوات حزينة باكية «لا ملكة إلا فريدة» وهو الأمر الذى ألقى بظلال كثيفة على زفاف فاروق رغم الأبهة والفخامة والأناقة وحالة الإسراف والتبذير التى شهدتها قاعة الخديو إسماعيل، وكان حديث الصحافة والضيوف الذين توافدوا على مصر للمشاركة والتهنئة فى هذه المناسبة.



وعقب إتمام حفل الزفاف وانتهاء جميع الفقرات التى أعدها الديوان الملكى طار العروسان إلى جزيرة صقلية، ثم نورمينا، ثم إلى كابرى، ثم فيينا ثم أنهت تلك الرحلة الطويلة التى استمرت نحو ثلاثة عشرة أسبوعاً بزيارة سويسرا، وقد ذاعت أنباء فى أثناء شهر العسل أن تكلفة اليوم الواحد بلغت حوالى ألف جنيه يومياً، وهو الأمر الذى أثار عاصفة من الغضب والتذمر والسخط بين صفوف الشعب الذى كان يشكو ويتوجع من ألم الفقر وضرباته التى أودت بحياة الكثير من أبناء الوطن فضلاً عن عودته التى واكبت انهيار بورصة الأقطان وإفلاس العديد من الشركات، وما نتج عن ذلك من بطالة وفقر وديون طاردت الجميع حتى استبد اليأس من تصرفات الملك الذى لا يكثر بأحوال وهموم وآلام ومتاعب أبناء الأمة بعد أن كان وعداً وأملها ومستقبلها، فأضحى قطعة من الماضى حان لها أن تتزوى فى دوائر النسيان، وبالفعل اندفعت عجالات الأحداث حتى وقع حريق القاهرة، ولم يتبهِ فاروق

لما يحاك له ولعرشه فقد أسكرته الموائد الخضراء بألوان تقودها الزاهية وأرهقه سهر الليالي، فغفل عن شؤون بلاده في وصلة من السبات العميق لم يستيقظ منها إلا وهو على متن الباخرة المحروسة بصحبة زوجته ناريان التي كانت قد أنجبت له ولي العهد الذي جاء متأخراً بعد أن أوشتت المسرحية على إسدال أستارها على مسرح الأحداث بعد نهاية الفصل الأخير على شواطئ الإسكندرية.

ولد أحمد فؤاد في يناير ١٩٥٢، وقد اصطحبه فاروق إلى نادي الجلاء الخاص بالقوات المسلحة إلا أن القاهرة كانت على موعد مع رجال عاهدوا الله على سحق كل من أراد بالبلاد سوءاً.

وبعد اندلاع شرارة ثورة يوليو ١٩٥٢ قرر الملك فاروق الرحيل إلى إيطاليا بعد مفاوضات شاقة ومريرة بين الجانب الأمريكي والبريطاني والمصري من جانب آخر.

وعلى متن الباخرة المحروسة التي قادها القائمقام محمود حمدي جلس فاروق مرتدياً ملابس البحرية المصرية، وعلى عينيهِ وضع نظارته السوداء لعله يخفي عيونه التي أغرورقت بالدموع أسفاً وحزناً على مملكته التي حطمتها موائد القمار وحاشيته التي بذلت غاية جهدها كالسوس في نخر عظام كرسي العرش حتى هوى واندثر.

* * * *

لا يخفى على أحد أن فاروقاً حمل معه أكثر من ٢١٧ حقيبة اكتظت بما غلا ثمنه وخف حمله من مجوهرات ومقتنيات قدرت بالملايين في ذلك الوقت.

وفي أعقاب وصول المحروسة إلى شواطئ إيطاليا وبالتحديد بعد أن رست وألقت بغاطسها في أعماق ميناء نابولي صاح فاروق في وجه أقاربه وأصدقائه

وبقايا حاشيته الذين اصطفوا على رصيف الميناء لتهتته لخروجه سالماً من أيدي ثوار الجيش - قائلاً: «الحمد لله خرجنا من مصر بالهدوم اللى علينا»، وهى العبارة التى أضحكت مستقبليه الذين شاهدوا بأنفسهم طابورا لا ينتهى من الحقائق الضخمة المثيرة للدهشة اللافتة للنظر.

وبعد ذلك اصطحب فاروق زوجته ناريمان وابنه أحمد فؤاد الملك بلا مملكة واتجه بهما على ظهر أحد اليخوت إلى كبرى، وقد أكد سكرتيه أمين فهم أن فاروقاً قد توضعاً ثم أتى بسجادة صلاة وأدى ركعتى شكر لله على خروجه سالماً غانماً بما حمله غير نادم على ما فقدته وخسره.

كان فاروق قد ازداد بسطة فى الجسم وسعة لا تطاق فى الكرش وترهل فى جميع أنحاء جسده، وهو لا يتجاوز الثانية والثلاثين من العمر بعد، ورغم ذلك بدا لناظريه وكأنه على مشارف الستينيات من العمر، أو أنه يعيش مرحلة خريف العمر من فرط سهره وإدمانه لممارسة القمار الأمر الذى أدى إلى تسرب الملل والاشمئزاز من تلك الحياة إذا صبح ما قيل حول علاقاته مع الفتيات الإيطاليات وعودته كل صباح إلى منزله كما كان شأنه فى مصر قبل زوال ملكه وانشطار عرشه.

وكما توقع الجميع فقد كرهت ناريمان الاستمرار فى حياة المنفى مع رجل شاب فى بداية الثلاثينات وقد ترهل وشاخ وبات من مخلفات ماضى بعيد، فأمسى شبحاً مخيفاً فقد حيويته وقوته وطاقته وحياته، واحتدت الخلافات والمناوشات بين فاروق الذى أصبح لا هم له سوى الثأر من نفسه بنفسه وبيده وذلك لحسرتة على ما كان بوسعه أن يصنعه، ولم يشأ أن يفعل عناداً واستكباراً ظناً منه أن الزمن لا يتطور وأن عقارب الساعة لا تتحرك وأن الأيام لا تتوالى والسنين لا تتعاقب.

لقد كان فاروق حليماً لشعبه لكنه أصبح كابوساً مفزعاً ، وكان أملاً لأمته فأصر على أن يكون هو اليأس بعينه ، وكان مستقبلاً فصار رمزاً للماضى البعيد . . وكان فرحة استقبلها الناس حتى تحول إلى قرحة أدمت قلوبهم . . كان سبيلاً لحريتهم فصار سجنًا وسجناً . . ومن ثم ضاق بالدنيا فضاقت به ولم يعد يرى سوى نفسه فقط أملاً فى أن يتناسى تلك الصفعات واللطمات التى نالها على وجهه ولم يشأ أن يبكى . .

وأمام تلك الحياة البائسة اليائسة القاحلة المشحونة بالحزن والأسى بعثت ناريمان تستغيث بوالدتها السيدة أصيلة هانم لعلها تستطيع العودة بها إلى مصر بصحبة ابنها أحمد فؤاد الملك الحائر ، وتعويض مالى يساعدها على العيش فى القاهرة كملكة سابقة وأم لملك لا يملك ولا يحكم لكنه رمز الحكم فى مصر .

وعلى الفور طارت أصيلة هانم إلى إيطاليا ، وقد كانت تتميز تلك السيدة بالشجاعة والعزة والكبرياء والقدرة على مواجهة الملك دون حرج ، خاصة وأنها لم تكن تميل إليه منذ أن زارها بصحبة شلة من الأصدقاء أثناء خطوبته لناريمان ، وقد كانت الساعة جاوزت منتصف الليل وأرغمها على إيقاظ خطيبته لكى يراها أصدقاءه ، وهو التصرف الذى كان سبباً جوهرياً لكراهيته حيث أدركت ليلتها أن الملك رجل تافه وغبى .



والتقت أصيلة هانم بابنتها ناريمان ودار بينهما حوار مطول روت فيه ناريمان أدق تفاصيل العلاقة الباردة بينها وبين فاروق ، وما ترتب على تلك العلاقة من إهانات وبذاءات لم تكن تتخيلها ناريمان أو تتوقع شيئاً منها .

بل الغريب أن هناك مشادات كلامية وخناقات عنيفة لا يصدق المرء أن بطلها ملك مصر وزوجته الرقيقة الملكة ناريمان ، فعلى سبيل المثال احتدت ذات مرة مناقشة عنيفة ، أو بمعنى أدق مشادة جارحة كانت على هذا النحو :

فاروق: اسمعى يا ناريمان أنت جزمة فى رجلى.

ناريمان: أهذه أخلاق ملك.

فاروق: نعم. مع من يستحق مثل هذا الأسلوب البذى.

ثم تقدم فاروق نحوها وسدد لها ضربة بيده أدت إلى وقوعها على الأرض فى حالة غياب تام عن الوعى لولا أن استدعى طبيب الحى الذى يقيم فيه لإسعافها وعلاجها^(١)!!

وفى أعقاب تلك الواقعة الخطيرة راح فاروق يستعرض عضلاته وقوته وكأنه ولد من جديد حيث قال لسكرتيه الخاص: ياريت تستفيد من تلك العلة هأ.. هأ.. أنا أظن أن هذه الضربة الموجهة سوف تؤدبها.. أحسن طريقة لمعاملة الزوجة أن تضربها علة.

هل تعرف أن أولاد البلد يضربون عرائسهم فى ليلة الدخلة بدون إبداء الأسباب، وهم بذلك يقصدون إشعار العروس بقوتهم، وأنهم تزوجوا خادما.

ثم أضاف الملك قائلاً فى فخر واعتزاز:

«أنا لو كنت ضربت فريدة علة ليلة الزفاف لما حدث الطلاق، ولكانت زوجتى حتى الآن.. ولو أننى ضربت ناريمان ليلة الزفاف لمشت زى الكلبة! لكن غلطتى أننى عاملت ناريمان وفريدة كملكات، فشعرت كل واحدة منهما أنها مثلى.. تماماً».

وفى مذكراته التى أوردت تفاصيل تلك الواقعة أشار سكرتير الملك أمين فهيم أن ناريمان بدورها رفضت قبول اعتذار فاروق، وقد طلبت تعويض على تلك الضربة ما يعادل نحو مائة ألف جنيه مصري وقد تولى السكرتير الخاص

(١) طبقاً لما ورد فى مذكرات سكرتيه الخاص.

المفاوضات لتخفيض الرقم المطلوب إلى ألف جنيه، ثم اضطر تحت عناد ناريمان وإصرارها إلى الصعود به إلى عشرين ألف جنيه مما دفع ناريمان للقول فى سخرية أولاد البلد: «أنا مايعيش ترمس»، ثم أصرت على المائة ألف جنيه تأدياً وعقاباً لفاروق وثنماً لهذه الضربة التى كادت تقضى على حياتها.

وأما إصرارها وعنادها وتهديدها باللجوء للقضاء والصحافة الإيطالية اضطر فاروق لسداد المبلغ كاملاً تجنباً للفضائح التى كان يخشى منها، خاصة إذا تسربت إلى الصحافة الإيطالية.

ومع مرور الأيام أصر فاروق بسذاجته وغبائه وتفاهته أن يتقم من ناريمان، وقد اضطر من أجل ذلك أن يبادر بالصلح معها وإرضائها وبعد أن عقدت جلسة الصلح بينهما اصطحبها إلى الملهى الإيطالية الشهيرة، وهو ملهى (أوبن جيت) وقد بدا أمامها رقيق المشاعر جياش العواطف كأنه فى صدر المراهقة حتى استسلمت له ناريمان التى نسيت فى التوما جرى بينهما من مآسى وفضائح، وفى أثناء جلوسهما فى الملهى اضطرت ناريمان أن تذهب إلى التواليت لتجديد مساحيق وجهها، وبينما كانت فى طريقها انفجر جميع الحاضرين بالملهى فى الضحك من السخرية والاستهزاء مع وصول ناريمان إلى الحمام تنبّهت للدعابة السخيفة التى افتعلها فاروق حيث علق على ظهرها دون أن تدرى ورقة كبيرة كتب عليها بالبنت العريض باللغة الإيطالية «ناريمان جارية فاروق» وهو ما يدل حسب رواية أمين فهميم على استخفاف هذا الملك المخلوع.

* * * *

وفى نفس المذكرات نشر أمين فهميم تفاصيل مشادة عنيفة بين فاروق وأصيلة هانم والدة ناريمان التى كان يطلق عليها فاروق لقب «الولية حماتى» حيث ذهبت إلى روما طلباً للطلاق وخلاص ابنتها من هذا الملك المستهتر..

وجرت مفاوضات ومقابلات كان بطلها أيضاً أمين فهيم حيث تمكن من تخفيض سقف مطالب أصيلة هانم الذى كان مرتفعاً وشاهقاً لا يقوى فاروق على تليته، خاصة وأن جميع مطالبها كانت مرتبطة بالمال دون غيره.

وأمام تراجع فاروق عن الوعود التى قطعها على نفسه أثناء المفاوضات بعد أن استجابت أصيلة هانم لتخفيض مطالبها اضطرت الهانم الأم إلى العودة مرة أخرى إلى إيطاليا لمواجهة الملك بشكل جديد لا يقل عن حوارى شبرا وأزقة بولاق وأخلاق الجمالية:

فاروق: ثانى.. أنت أیه اللى جابك يا ولية هنا.

أصيلة: عشان أنت واطى، ودون وعمرك ما هتعرف الأصول، وأنا عاوزة بتي معايا وإلا هافضحك هنا.

فاروق: مفيش مانع.. بس أرجوك أسكتى بلاش داعى لمثل هذه الشرشة والفضايح.

أصيلة: أنا مش ها أسكت إلا إذا أخذت بتي معايا.

فاروق: يا ولية أخرسى.. الله يخرب بيتك أنا مش عاوزك تتدخل فى شؤونى أبداً بعد النهاردة أحسن والله العظيم..

أصيلة: هتعمل أیه.. هو أنت اتجوزت البنت عشان تبهدلها هنا فى الغربية.

فاروق: هو أنا عملت فيها أیه حرام عليكى.

وانتهت تلك المشادة بطلاق ناريمان مجاناً دون أن تحصل على أى شئ سوى

صورة كبيرة لأبنها أحمد فؤاد الذى منعه عنها طبقاً للاتفاق المبرم بينهما!!

حادثة فيراير

«إنه من الأيام حالكة السواد في تاريخ مصر وإنجلترا هو يوم
يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دانشوى أو موقعة التل الكبير»

الدكتور/ محمد حسنين هيكل

حادث ٤ فبراير الذل والانكسار

٤ فبراير . . يوم يصعب نسيانه «قالها الملك فاروق لسكرتيه الخاص وهو يعتصر ألماً وأسفاً بعد أن وقعت عيناه على نتيجة حائط برز من خلالها هذا التاريخ الدامي والمؤلم والمأساوى.

لقد كان هذا اليوم بالفعل من أسود أيامه على الإطلاق، خاصة وأنه صار رمزاً لمهاتته وإهاتته وسوءته وذله وإذلاله وعاره وانهيائه وظلمه وانكساره، وفيه فقد شرعيته وذبحت كرامته، وفي راتعة النهار مثل السفير الإنجليزي بجشته على مرأى من نفسه وأمام نفر غير قليل من رجال قصره وحاشيته.

وما من شك أن حادثة حصار قصر عابدين بالدبابات الإنجليزية، وإرغام الملك على قبول أوراق اعتماد مصطفى النحاس رئيساً للحكومة الجديدة رغم أنه قد أصبح بقعة سوداء في ثوب السياسة المصرية الفاروقية، فضلاً عن كونه رقعة واسعة في قلب جلاباب حزب الوفد، وإن حاول الحزب ترقيعها بخيوط من أجود الأنواع مستعيناً بأبرز وأمهر وألمع الشخصيات المتخصصة لعله يفلح، بيد أن لرياح الحقيقة كلمتها وقوتها وصدقيتها فهي أعتى وأعنف من أى خيوط حتى وإن كانت مصنوعة من الحرير.

* * * *

لقد كان هذا الحادث زلزالاً عنيفاً كاد أن يدمر أركان وأعمدة قصر عابدين، فهو فى ظنى تجسيدا حيا ونموذجا صارخا وإعلانا واضحا يؤكد أن فاروقا ما هو

إلا العوبة ودمية وأداة طيعة فى يد السفير البريطانى ومن الممكن التخلّى عنه وإحراقه فى الوقت الذى تراه السفارة مناسباً.

كما أن هذا الحادث كشف النقاب عن حقيقة الأوضاع المتردية بين القصر والسفارة والوفد، وأن السفير البريطانى هو صاحب الأمر والنهى فى البلاد، وأن مصطفى النحاس بطل من ورق حيث اهتزت صورته ونفدت أسهمه وتساءل مريدوه وعشاقه كيف لمن اعتاد الذهاب إلى القصر على رأس حكومة جديدة محمولاً على الأعناق الشعبية يقبل هذه المرة أن يخترق حواجز وأسوار قصر عابدين محمولاً على حراب الإنجليز؟

لم يكن إبراهيم باشا عبد الهادى مبالغاً حين أشار إلى هذا الحادث المؤسف بقوله فى مذكراته الخاصة: «إنه يوم من الأيام السوداء فى تاريخ مصر».

بينما أكد الدكتور محمد حسنين هيكل على نفس المعنى، وربما كان أكثر وضوحاً وتفسيراً حيث قال فى مذكراته السياسية ما يلى:

«إنه من الأيام حالكة السواد فى تاريخ مصر وإنجلترا، هو يوم يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دانشوى أو موقعة التل الكبير».

وفى كتابه الرائع «عشت حياتى بين هؤلاء» يقول محمد فرغلى باشا ملك البورصة المصرية قديماً حول هذا الحادث:

«لقد كان هذا الحادث سبباً فى تغيرات عميقة فى التربة السياسية المصرية، تغير وضع الملك بعد هذا الحادث، كما تغير وضع الحزب الشعبى «حزب الوفد» وظهرت الأحجام الحقيقية لقوى التأثير فى توجيه السياسة المصرية، كما ظهرت لهذا الحادث قوى سياسية أخرى مثل قوى اليسار والإخوان المسلمين، أما الجيش المصرى فربما كان أكثر المؤسسات التى أثر فيها هذا الحادث».

أسباب وقوع الحادث:

فى تطور مفاجئ ومثير رجعت كفة العمليات العسكرية فى الصحراء الغربية، أو منطقة الساحل الأفريقى لصالح قوات المحور حيث إن الجيوش الألمانية بقيادة روميل قد أحرزت انتصارات ساحقة من شأنها أن تؤثر على مواقف القوى السياسية والشعبية فى مصر.

ولم يكن خافياً على أحد فى تلك الأثناء أن الملك فاروق، ومعه على ماهر ورجال القصر من الإيطاليين، ومعهم أحمد حسنين زعيم مصر الفتاة يراهنون جميعاً على أن النصر غالباً لصالح هتلر فى نهاية المطاف، وهى أمنية تطلع إليها الجميع كراهية فى الاحتلال الإنجليزى، ونكابة فى السفير مايلز لامبسون حتى أن المظاهرات الشعبية عمت البلاد تهتف فى تحدى صارخ «إلى الأمام يا روميل».

وفى أعقاب عودة الملك فاروق من إحدى رحلات الصيد التى اعتاد عليها قرر بشكل مفاجئ ضرورة تجميد اتصالات الحكومة المصرية برئاسة حسين سرى مع حكومة فيشى الفرنسية، والتى كانت موالية لقوات المحور، وتدشين اتصالات جديدة مع حكومة (فرنسا الحرة) التى يترأسها ويقودها الجنرال شارل ديغول، وهى الرغبة التى اصطدمت بوزير الخارجية المصرية (صليب سامى) الذى أبدى رفضه لاتخاذ مثل هذه الخطوة، وقرر الدفع باستقالته أمام إصرار الملك فاروق الأمر الذى اضطر معه رئيس الوزراء حسين سرى إلى «مواجهة الملك بالرفض والتلويح باستقالة حكومته، وذلك تأييداً وتعاطفاً مع موقف وزير خارجيته، وعلى الفور وافق فاروق على قبول استقالة حكومة حسين سرى بعد مشادة كلامية حادة دارت بينهما ترك حسين سرى على أثرها السرايا معلناً غضبه واحتجاجه لهذا التدخل السافر من قبل السرايا فى أدق خصوصيات الحكومة.

ما من شك أن هذه الأحداث المثيرة قد أثارت عاصفة من الغضب والسخط لدى السفير الإنجليزي العجوز مايلز لامبسون الذى حاول فاروق إرضاءه وكسب مودته لعله يروق له ويرضى عنه حيث كان الرجلان لا يطيق أحدهما الآخر.

فى غضون ساعات من تلك الأحداث اتجه أمين عثمان أحد الساسة البارزين والذين دارت حولهم علامات استفهام عديدة حول حقيقة دورهم مع الإنجليز ومدى ولائهم لأوطانهم.

على أية حال توجه أمين عثمان إلى مقر السفارة البريطانية للوقوف على آخر التطورات ومعرفة رأى وموقف السفير البريطانى، وفى أثناء اللقاء الذى جمعه بمايلز لامبسون أدرك أن بمقدوره أن ينقل ما دار بينه وبين السفير إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد، وذلك فى محاولة جادة للوصول إلى حل لتلك الأزمة المستعصية على جميع الأطراف حيث كان السفير البريطانى قد أمر القصر بأهمية تعيين حكومة لها ثقلها ومكانتها وتحترم بنود معاهدة ١٩٣٦ حتى لا تتفاقم الأمور مرة أخرى، خاصة وأن الأوضاع المتردية على الجبهة فى منطقة الصحراء الغربية وموقف الحلفاء المخزى فى الميدان لا يحتمل وجود حكومة متعاطفة مع المحور حتى لو أدى ذلك إلى خلع الملك وتصفيته أو نفيه!

الحاصل أن أمين عثمان التقى مع النحاس باشا وروى له تفاصيل اللقاء مع السفير البريطانى، والتي دارت حول ثلاث عناصر رصدها السفير يأتى على رأسها ضرورة بناء جو من الثقة والهدوء والاستقرار فيما يتعلق بالشأن المصرى الداخلى حيث إن ذلك يعد ضرورة ملحة لاستقرار خلفية القوات الإنجليزية.

أما النقطة الثانية فهى أن الملك فاروق بتوجيه بعض الذين يملكون قدرة التأثير عليه أضحى خطراً على مناخ الهدوء والاستقرار وكان على ماهر بالطبع يتصدر قائمة هؤلاء ومعه عبد الفتاح باشا طلعت.

وأما النقطة الثالثة فقد أكد من خلالها السفير البريطاني - على حد ما جاء في كتاب محمد فرغلي - أن الاستقرار في مصر يقضى بأن تكون في السلطة حكومة قوية يؤيدها الوفد أو يشترك فيها.

وفي ختام اللقاء بين مصطفى النحاس وأمين عثمان أكد الأول أن يرفض رفضاً قاطعاً ودون تردد الاشتراك في أية حكومة ائتلافية، ويرغب في أن يتولى الوفد السلطة بشكل منفرد حتى يتحمل المسؤولية بشكل مباشر، فضلاً عن المرارة التي عاشها أثناء اشتراكه في الماضي ضمن حكومات ائتلافية كادت تحطم أعصابه، ومن ثم ليس لديه الدافع لتكرار مثل هذه التجربة.

وفي التو حمل أمين عثمان رؤية مصطفى النحاس باشا ووجهات نظره إلى السفير البريطاني مايلز لامبسون الذي استقبل أمين عثمان بحفاوة بالغة بوصفه رجل الإطفاء المتميز الذي تطوع لإخماد الحريق الذي نشب في صدر الخارجية البريطانية، واشتعلت جذوته في قلب مايلز لامبسون بوصفه يحمل تفويضاً مباشراً من ونستون تشرشل أن يتصرف مع الملك فاروق والحكومة المصرية كما يترأى طبقاً للمصالح البريطانية، خاصة وأن المملكة البريطانية تعيش في حالة حرب ولا ينبغي الاعتماد على المراسلات التي قد تهدر الوقت، ومن ثم أصبح السفير البريطاني هو المسؤول الإنجليزي الأوحده في مصر.

والحاصل أن اللقاء انتهى بين الرجلين بقناعة استطاع أمين عثمان أن يزوده بأسبابها، ومنها محاولة اجتذاب جماهير حزب الوفد وخطب ودها، ثم إن النحاس باشا هو الزعيم الوحيد الذي يملك القوة في مواجهة الملك، فضلاً عن قدرته وبراعته في سرعة إصدار قرارات تحمل على التخلص من رجال السراي من ذوى الشبهات على أن يبذل قصارى جهده في مقاومة القوى المعادية للإنجليز.

استطاع أمين عثمان أيضاً أن يقنع السفير لامبسون أن النحاس باشا هو الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ الشهيرة والتاريخية، ومن ثم فهو من أبرز الزعماء قوة وصلابة على تنفيذ المعاهدة شكلاً وموضوعاً، إضافة إلى ذلك استعداده القيام بتوفير كافة الإمكانيات والخدمات والتسهيلات الممكنة للقوات البريطانية التى كانت تتعرض لأزمة شديدة التعقيد فى ميادينها الحربية بالصحراء الغربية. والشاهد أن السفير البريطانى أكد فى حديثه مع أمين عثمان أنه يرغب فى حكومة قوية مخلصه لمعاهدة ١٩٣٦ يقودها مصطفى النحاس باشا.

* * * *

فى صباح ٣ فبراير استدعى السفير الإنجليزى أحمد حسنين باشا، وقد بدا الضيق والتوتر على وجه السفير بينما تظاهر أحمد حسنين باشا برباطة جأشه وثباته، بينما بداخله تفور ثورة من القلق خاصة وأنه يعلم أن السفير البريطانى يمقت فاروق ويسعى على نحو أو آخر لإهاتته ودغدغة أعصابه.

وفى بداية اللقاء العاصف بادر لامبسون قائلاً فى هدوء مصطنع:

لامبسون: عزيزى حسنين باشا الوقت يضيق وحكومة حسين سرى استقالت وكما علمت فإن الرجل قد أصر على موقفه ولن يتراجع فماذا ينتظر الملك؟
أحمد حسنين باشا: إن الملك يجرى حالياً مشاورات واجتماعات مكثفة مع كافة الزعماء السياسيين فى البلاد وعلى رأسهم النحاس باشا لعله يستطيع فى القريب العاجل التوصل إلى تسمية الحكومة الجديدة وتكليف رئيسها القادم بتولى مسؤوليته على الفور.

لامبسون: هذا تسويق لا فائدة منه يا عزيزى حسنين، وأنا ليس بوسعى أن أنتظر أكثر من ذلك.

حسين: إن الملك قد دعا بالفعل إلى اجتماع طارئ.

لامبسون: أوه.. أوه.. أرجوك يا حسنين أن تنقل رسالتى إلى الملك^(١).
 انتهت المقابلة، واتجه أحمد حسنين باشا إلى سراى عابدين لمقابلة الملك
 فاروق وإبلاغه بما دار بينه وبين السفير الإنجليزى، وذلك لوضع حد لتلك
 المأساة التى أطلت برأسها فى تحدى صارخ لفاروق، وظلت المشاورات بين
 فاروق ورئيس ديوانه دون التوصل إلى نتيجة مرضية لأى من الأطراف، لتظل
 المراجيل تغلى فى السفارة البريطانية والقصر الملكى، والنيران على وشك أن
 تمسك فى تلايب الجميع.

وفى مساء نفس اليوم أجرى السفير اتصالاً هاتفياً مع أحمد حسنين باشا
 للاستفسار عما جرى بينه وبين الملك فى الساعات الماضية عقب الانتهاء من
 اجتماع طارئ عقده مع قادة قوات الاحتلال الإنجليزى بالقاهرة لاتخاذ التدابير
 اللازمة فى حال تعنت الملك ومماطلته فى تكليف مصطفى النحاس باشا برئاسة
 الحكومة الجديدة ولكن كالعادة لم يتلق مايلز لامبسون جواباً شافياً من أحمد
 حسنين باشا، وهو ما أدى إلى اتخاذ قراره الخطير فى ضرورة توجيه إنذار
 شديد اللهجة والحدة إلى الملك فاروق يرغمه على تكليف النحاس باشا، أو
 عزل الملك نهائياً ونفيه خارج البلاد، وقد أصدر أوامره إلى القادة العسكريين
 البريطانيين بتجهيز نحو مائتى دبابة لمحاصرة القصر!

فى صباح ٤ فبراير المشنوم أجرى مايلز لامبسون المضطرب عصياً والثائر،
 الذى أوشك على الجنون بسبب الموقف الرسمى والشعبى الواضح دون لبس
 أو غموض فى تأييد قوات المحور على حساب الحلفاء بقيادة الإنجليز، وأجرى
 اتصالاً هاتفياً مع أحمد حسنين باشا، وقد استهل حديثه التليفونى قائلاً فى
 لهجة عنيفة لا تخلو من العصبية الزائدة:

(١) طبقاً لتقرير السفير مايلز لامبسون وشهادات أمين عثمان ورواية محمد فرغلى باشا.

لامبسون: عزيزى حسنين باشا هل امامك الآن ورقة وقلم؟

أحمد حسنين: نعم . . سعادة السفير أمامى ورقة وقلم.

لامبسون: إذن اكتب ما سأمليه عليك إذا تفضلت عزيزى حسنين.

أحمد حسنين: تفضل يا سيدى أنا أستمع لك جيداً.

لامبسون: اكتب هذا الإنذار «إذا لم أعلم قبل السادسة من مساء اليوم أن

النحاس باشا قد دعا إلى تأليف الوزارة فإن الملك فاروق يتحمل

تبعات ما سوف يحدث».

أحمد حسنين: (بعد أن أصيب بالانزعاج والدهشة) أردف يقول فى لهجة

هادئة: سعادة السفير إن هذا الكلام خطير جداً. هلا سمحت لى

بمقابلتك حالاً؟

لامبسون: وما الذى سوف نتحدث معى بشأنه؟

أحمد حسنين: لكننى قادم على أية حال وأرجوك انتظرنى قليلاً.

وضع أحمد باشا حسنين السماعة واتجه نحو فاروق، وقد أخبره بتفاصيل

المكالمة، وقرأ له نص الإنذار العنيف، ثم استأذنه فى الذهاب إلى مقابلة السفير

لعله يستطيع تخفيف حدة الإنذار، وإتاحة المزيد من الوقت لإنهاء تلك المعضلة

على وجه السرعة.

واستقل حسنين باشا سيارته وانطلق مسرعاً إلى السفارة البريطانية، وهناك

وجد ونستون سبارت السكرتير الشرفى للسفارة والذى بادر قائلاً لحسين

باشا . .

السكرتير الشرفى: إن الحديث الآن أصبح غير ذى جدوى وإهداراً للوقت،

ومن هنا ينبغى التحرك السريع والفورى فالأمر جاد للغاية.

أحمد حسين باشا: إننى أطلب فسحة من الوقت لتشكيل حكومة ائتلافية يترأسها النحاس باشا.

السكرتير الشرفى: حتى لو أن النحاس باشا قد وافق على رئاسة حكومة ائتلافية فلا أظن أن المشكلة قد انتهت أو وجدت سبيلها للانفراج.

السفير لامبسون: هل أبلغت الملك فاروق بمضمون الإنذار؟
أحمد حسين باشا: نعم . . أبلغته منذ قليل.

لامبسون: إذن سأتصل بك هاتفياً لأعرف موقف الملك.

عاد أحمد حسين باشا إلى السرايا مرة أخرى لإطلاع الملك على تطورات الأحداث، واندفاع عجلاتها نحو صدام قادم لا محالة ينبغي التآهب له والاستعداد لمقاومته بشتى الطرق.

كان الملك فاروق قد اجتمع بجميع السياسيين المصريين أثناء ذهاب أحمد حسين إلى مقر السفارة البريطانية وقد أكد جميع الساسة رفضهم للإنذار البريطانى، ومساندتهم للملك ودعمه وعلى رأسهم النحاس باشا الذى أكد صراحة رفضه للإنذار البريطانى.

حمل أحمد حسين باشا رئيس الديوان الملكى رسالة واضحة إلى السفير الإنجليزى، وأبلغه أن الملك كان قد أنهى اجتماعاً مع كبار الزعماء المصريين منذ لحظات وأن الجميع قد أكدوا دون مواربة رفضهم القاطع للإنذار البريطانى حيث إنه يعد تدخلاً مباشراً فى الشأن الداخلى للبلاد.

فضلاً عن إخلاله بينود وروح المعاهدة المصرية البريطانية، ومن ثم فإن جلالة الملك لا يستطيع وهذا طبيعى إلا أن يشارك هؤلاء الرأى.

وربما كانت هذه الكلمات قد أشعلت الموقف فاستعرت نيرانه حيث لم يكن يتوقع السفير مثل هذا الإجماع، ومن ثم ساورته الشكوك والظنون وبدأ متوجساً من موقف النحاس باشا الأمر الذي دفعه للاتصال تليفونياً بأمين باشا عثمان حتى يتسنى له الوقوف على حقيقة موقف النحاس من قبول رئاسة الحكومة القادمة، وقد سأله قائلاً:

مايلز لامبسون: عزيزى أمين لدى هاجس من القلق وأنا أرجو أن أتلقى منك جواباً شافياً بنعم أولاً؟

أمين عثمان: ماذا جرى يا سعادة السفير؟

لامبسون: أريد أن أعرف منك هل أنت متأكد وواثق من أن النحاس باشا سيقبل تشكيل الوزارة؟

أمين عثمان: نعم.. أنا متأكد من ذلك.

لامبسون: حتى لو أدى الأمر إلى عزل الملك أو إرغامه على توقيع وثيقة التنازل عن العرش ومغادرة البلاد؟

أمين عثمان: كل ما أستطيع أن أؤكدته دون مبالغة هو أن النحاس باشا لن يتردد فى قبول الوزارة حيث يرى فى ذلك خدمة لمصلحة البلاد.

* * * *

فى تمام الساعة التاسعة مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ انطلقت كتيبة مدرعات بريطانية نحو قصر عابدين لمحاصرة القصر من جميع جوانبه، وقد فرضت القوات حصاراً حديدياً على جميع سكان حى عابدين تم من خلاله منع دخول وخروج أى مواطن.

وسرعان ما تسلل الرعب فى جميع المتواجدين داخل القصر، وقد حدث شىء من الهرج والمرج حيث حاول البعض الفرار، وأراد البعض الآخر متابعة

الموقف عن كذب ، بينما نظر فاروق من غرفة مكتبه وهو فى دهشة وذهول حتى بات فى يقينه أن السفير البريطانى كان صادقاً فى تهديده، وقد لا يتردد فى إتمام مخططه، وراح يتربص وصول السفير مايلز لامبسون الذى أخبر حسنين بأنه فى طريقه إلى القصر لمقابلة الملك .

وما هى إلا دقائق حتى وصل السفير مايلز لامبسون إلى القصر بصحبة الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر، ومن حوله مجموعة من الجنود الأشداء وحين أراد كبير أمناء القصر سعيد باشا ذو الفقار اعتراض طريقه دفعه السفير بيده بقوة مما أثار حالة من الفوضى والصراخ داخل غرف نوم سيدات القصر، وقد استمر مايلز لامبسون فى طريقه نحو غرفة مكتب فاروق، ودخل إلى المكتب دون استئذان كما هو معتاد طبقاً للقواعد المتعارف عليها دبلوماسياً وحفظاً لمكانة الملوك والرؤساء، يبدو أن مايلز لامبسون أراد بذلك أن يبعث الرعب فى قلب فاروق، وهو كما يبدو متأثر بما ذكره حسين سرى باشا فى حديث ودى بينه وبين السفير أخبره من خلاله أن فاروقاً ولد جباناً ويجب تخويله كلما لاحت الظروف لذلك^(١).

على أية حال دلف السفير ويرفقه الجنرال ستون ومن خلفه بعض الرجال من ذوى السواعد الصلبة القوية إلى غرفة المكتب، فرأى الملك أمامه ولجانبه أحمد حسنين باشا رئيس الديوان ورسول الملك منذ ساعات، وقد ظهرت علامات الخوف على وجه فاروق على عكس ما كان متوقعاً، وعلى الفور دار الحوار العاصف بين الطرفين على هذا النحو كما هو منشور فى مذكرات الساسة المصريين والوثائق البريطانية التى أفرجت عنها الخارجية الإنجليزية مؤخراً:

لامبسون: أنت بتلعب بالنار يا جلالة الملك .

(١) طبقاً لتقرير السفير مايلز لامبسون وشهادات أمين عثمان ورواية محمد فرغلى باشا .

الملك فاروق: هذه ليست الطريقة المناسبة للحوار.
لامبسون: دعك من كل هذا فقد انتهت اللعبة.
الملك فاروق: ما هو المطلوب مني يا سعادة السفير؟
لامبسون: أن تكتب الآن وثيقة تنازلك عن العرش.
فاروق: لكن..

لامبسون: إذا رفضت بمقدوري أن أستدعي رجالى بالخارج لطردك إلى
حيث تريد أن تذهب، وأرجوك لا تدفعنى إلى ذلك، ثم ولماذا
ستذهب كما تريد بل ستصرف نحن كما يحلو لنا على سبيل
المثال سنطردك إلى كندا، فأنا أعرف أن كندا تشتهر بالثلوج
وأعرف أنك تهوى الترحلق على جبال الجليد حتى تقضى ما
تبقى لك من عمر هناك.

فى مذكرات اللورد لامبسون أكد أنه شعر أن الملك ارتعدت فرائصه وبدا
الوجوم على أحمد حسنين باشا، ثم قدم له وثيقة التنازل عن العرش.
تناول أحمد حسنين باشا الوثيقة بينما كان فاروق غارقاً فى خوفه وذهوله
ودهشته مما يجرى أمامه، وكأنه كابوس مزعج يتضرع إلى الله أن يتخلص منه.
كان فاروق واقفاً أمام منضدة مكتبه يبدو كتلميذ بليد قرر ناظر مدرسته
فصله وطرده ورفضه السماح بعودته مرة أخرى، بيد أن أحمد حسنين الذى كان
بمثابة الأب الروحى له وصديقه ونديمه وعقله ومفكرته قد ألح على السفير
البريطانى فى إتاحة فرصة أخرى للملك.

غير أن السفير راح يؤنب فاروقاً ويوخزه بحدة قائلاً:

- لقد انصرفت عن مسؤولياتك ولم تعد تبالى بأحوال الشعب والأوضاع
تزداد سوءاً، وأنت غارق فى نزواتك لا هم لك سوى إشباع شهواتك دون أن

تتقدم ببلادك قيد أنملة للأمام طلبنا منك أن تلتفت ولو قليلاً لشؤون الحكم، ولم تكن على استعداد لأن تمارس مهمتك كسائر الملوك.

يبدو لى أنك لم تتعظ ولم تفكر قليلاً فيما حدث لأقاربك فى إيران^(١).

وهنا عاد أحمد حسنين يتدخل فنهره السفير لامبسون:

- من فضلك لقد انتهى كل شىء.

ثم نظر إلى فاروق وطلب منه التوقيع على التنازل وتناول فاروق الورقة، ثم ظهرت على شفثيه شبح ابتسامة وهو يقول مداعباً السفير لامبسون: وهل هذه ورقة تليق بتنازل ملك عن العرش؟ وأسقط فى يد لامبسون الذى التفت إلى سير والتر بولتون الذى كان يقف بجانبه، وهو يشغل منصب مستشار قانونى لوزير الدولة وهو الذى صاغ وثيقة تنازل الملك إدوارد الثامن عن العرش، وذلك رغبة فى الزواج من سيدة مطلقة من عامة الشعب الأمريكى، وهو أيضاً الذى صاغ تلك الوثيقة وقد أدرك لامبسون أن فاروقا يداعبه ويسعى لملاطفته، وقد كان لامبسون فى حاجة إلى من يلح عليه ويناشده أن يمهل فاروقا فرصة أخرى بيد أن إلحاح أحمد حسنين كان لا يرقى إلى ما يصبو إليه لامبسون الذى تمنى أن تنتهى تلك الأزمة بانفراجة تحفظ له هيئته ومكانته أمام الملك، وتجنباً لمحاسبة عسيرة ربما يتعرض لها على يد تشرشل رئيس الحكومة البريطانية ويؤاخذه على سوء تصرفه وتهوره ورعونته، ومن ثم تلهف بدوره على إنهاء تلك الأزمة، وحين أمسك فاروق بيده ريشة الخبر للتوقيع شعر لامبسون أنه يتجه هو الآخر بأقصى سرعة إلى الهاوية، وحين عاد أحمد حسنين يلح عليه مرة أخرى والملك يمسك بيده الريشة وفى سبيله للتوقيع تمسك

(١) مذكرات أمين فهم سكرتير الملك الخاص.

لامبسون برغبة أحمد حسنين، وبدا وكأنه يتراجع رغماً عنه بينما كانت الحقيقة أنه فى أمس الحاجة إلى تدخل أخير من أحمد حسنين باشا.

وهنا انتصبت هامة فاروق مرة أخرى بعد أن انحنى على المكتب لقراءة الوثيقة والتوقيع عليها ليرقب رد الفعل البادى على ملامح لامبسون، وإذا بالسفير البريطانى يقول رداً على أحمد حسنين الذى ألح فى إتاحة فرصة أخيرة بعد أن أمسك بيد الملك حتى لا يوقع:

لامبسون: وماذا ستفعلون إذا أنا وافقت على إتاحة تلك الفرصة التى تلح عليها منذ تفاقم الأزمة؟

أحمد حسنين: سوف نجيب كل ما تطلبه على الفور وحالاً يا سعادة السفير.

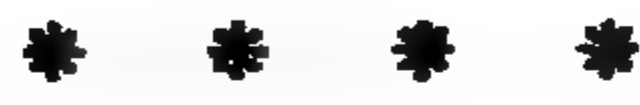
الملك فاروق: (باسماً) هل أنت مستعد فعلاً لإتاحة الفرصة مرة أخرى؟
لامبسون: وقد قطب حاجبيه قائلاً: يمكن أن أمنحك تلك الفرصة بشرط أن يتولى النحاس باشا رئاسة الحكومة وأن تمنحه صلاحيات مطلقة.

الملك فاروق: سأفعل وحالاً سأحضر النحاس إلى هنا فى وجودك.
لامبسون: لا داعى لوجودى، ولكن تأكد أنها الفرصة الأخيرة لك.

* * * *

تهللت أسارير فاروق وانزوى خوفه واسترد شجاعته وانتصبت قامته، وألقى بالريشة جانباً ولاحت ابتسامة مشرقة على وجهه كأنه ولد من جديد، بينما راح لامبسون يقص على قادة القوات البريطانية بالقاهرة أنه كان خائفاً هو الآخر فما فعل حيث إنه لا يعرف ماذا سيكون رد فعل المسؤولين فى لندن، ثم

لم يكن هناك استعداد كافٍ لعملية خلع ملك والبحث عن آخر والدخول في دوامة قد لا تنتهى، وربما كنت سأكون أول ضحاياها بعد فاروق، لكن هذا الولد فاروق إذا تصلحت أحواله فهو في تقديري أفضل كثيراً من أى أحد آخر.



ويروى فاروق لسكرتيره أمين فيهم ذكرياته حول تلك الواقعة قائلاً: شر البلية ما يضحك.. . عندما كان السفير البريطانى والجنرال ستون جالسين أمامى بعد بأن أجبت السفير إلى طلبه فتحت درج مكتبى، وإذا بالسفير يهب واقفاً وإذا بالجنرال ستون يضع يده على مسدسه، ولم يهدأ أى منهما إلا عندما شاهدانى أخرج من الدرج مسبحتى.. . وهنا لم أتمالك نفسى من الضحك.

على أية حال انقشعت الغمامة التى استقرت عدة أيام فى قصر عابدين، وإن كان فاروق قد عاش مجروحاً موجوعاً بها يضر فى صدره كرهاً وشراً لكل من سولت له نفسه مساعدة السفير فى صنع ٤ فبراير وإذلاله.. .

لقد زادت الهوة والفجوة بين فاروق ولامبسون، ولم يفلح أى منهما فى سدها أو ردمها بالود والمجاملة، بل راح فاروق يهجو السفير أينما ذهب مع أصدقائه، وحتى أنه شكاه للرئيس الأمريكى جثودور روزفلت وطلب مساعدته فى التخلص منه ومن بلاده التى جثمت على صدر مصر عقوداً طويلة لا تنتهى حلقاتها.

وقد التقى فاروق مع الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية، وقد اشتكى له تصرفات لامبسون وغبائه ودعاه إلى ضرورة التدخل لطرد هذا السفير البارد قاسي القلب.

وهكذا عاش فاروق يتزف دموعاً لا تتوقف بعد هذا الحادث، وظل خجولاً من أحمد حسنين الذى كان هو الشاهد المصرى الوحيد على ما بدا عليه من

خوف ورعب وقلق لم يكن متوقفاً منه بوصفه شاباً في ريعان شبابه وملك
البلاد. حيث كان فاروق وقتذاك لم يبلغ الثانية والعشرين من العمر!!
وهو سن كما نرى يناسب طالب جامعي لم يفرغ من دراسته بعد.



«إذا كانوا يقولون إنتى حرامى فهم حرامية أكثر منى وليس عيباً أن يسرق الحرامى.. حرامياً آخر»

شاهين باشا

الإقطاعى الشهير

فاروق ملك اللصوص

لم يكن فاروق ثرياً فحسب بل - إن شئت الدقة - كان شديد الثراء، ومن أغنى أغنياء العالم رغم جهله الشديد بحقيقة ثرواته وممتلكاته وضياعه وأصوله ومجوهراته وقصوره المنتشرة في كل أنحاء مصر.

لقد ورث فاروق عن أبيه الملك فؤاد أكثر من سبعين ألف فدان من أجود الأراضي الزراعية التي تميزت بالجودة والكفاءة والخصوبة.

والحقيقة أن فاروقاً لم يكتفِ بثروة والده الطائلة، وأمواله التي تجاوزت الملايين والتي تكدست أرصدها وتضخمت أرقامها في بنوك سويسرا، ومن ثم راح شأنه شأن أبيه وأجداده في تنمية تلك الثروات وتضخيمها، وذلك بواسطة استخدام السخرة لتهديب واصلاح وتعبيد واستزراع الأراضي التي كان يسط عليها يده في استغلال واضح واستحلال فاضح لعرق أبناء هذه الأمة من الفلاحين المعدومين من خلال السلب والنهب الذي تفشى في عهد الأسرة العلوية: استطاع فاروق أن يرفع رصيد ثروته إلى أكثر من مائتي ألف فدان في الأراضي الخصبة التي ارتوت بدماء عمال السخرة والتراحيل الذين جاوز عدد ضحاياهم نحو مليون شهيد منذ تطبيق نظام السخرة في عهد محمد علي.

ولعل ما قاله أحد الإقطاعيين ويدعى شاهين باشا تأكيداً على أن الاغتصاب كان من أبرز صفات تلك الأسرة وأن السلب والسرقة والنهب من المع سماتها حيث يقول شاهين باشا اللص والإقطاعي الكبير في حديثه لصحفي سويسري:

«إذا كانوا يقولون إنني حرامي.. فهم حرامية أكثر مني، وليس عيباً أن

يسرق الحرامي.. حرامياً آخر».

وهكذا مضت الأمور على هذا النحو الذى ارتكز على مبدأ الاستحلال حتى أصبح الذين يترفهون وينعمون فى خيرات هذا الوطن لا يتجاوزن النصف فى المائة من مجموع هذا الشعب المسكين.

وظنى أنه لا محل للدهشة والاستغراب إذا كان أمثال هذا الباشا هم رجال الملك وحاشيته وحراسه وحاميته وندمائه وجلسائه، ومن ثم لا مجال لرفع الحواجب حين يقول الدكتور حسين مؤنس فى كتابه «باشوات وسوبر باشوات» إن السلطان عباس حلمى كان لصاً ونشالاً، وأن الملك فؤاد كان قاطع طريق، وبالتالي لا داعى للاستنكار إذا أضفنا وقلنا إن فاروقاً كان ملك اللصوص والمغتصبين لهذا الوطن المنكوب بحكامه.

لقد كان فاروق بالفعل لصاً يتلذذ بسرقة المقتنيات النادرة والفخيمة، ويتمتع بالاستيلاء والاستحواذ عليها رغم قدرته من شرائها وامتلاكها دون تعذيب لآخرين وإفساد فرحتهم وتكدير صفوهم.

لقد ذاع صيت الملك بين المحيطين به أنه خفيف اليد رغم بدائه المفرطة التى جاوزت المائة والأربعين من الكيلو جرامات.. كان ذكياً عبقرياً فى سرقة من حوله دون أن يشعر به أحد، وهو فى ذلك لا شك كان يستغل وضعه ومكانته حيث كان من غير الممكن والمعقول أن يتصور أحدهم ولو للحظة أن يظن بالملك ظن السوء، خاصة فيما يتعلق بالسرقة، وكيف يسرق وهو الملك وأغنى أغنياء العالم والذى يملك أكثر من ربع أملاك وثروات وأصول مصر..

وأنا لا أقصد هنا سرقة الأراضى والقصور فتلك ظاهرة طبيعية وسمة مألوفة فى أسرة محمد على لا تثير فضول باحث أو دهشة دارس فى تاريخ أسرة محمد على.. بل إننى أعنى بذلك ميل فاروق وجنوحه للسرقة بمعناها

الشائع الذائع .. حيث تورط بالفعل فى سرقة العديد من التحف والهدايا والمقتنيات النادرة إما بأمر ملكى غاشم أو بخفة يد لا يتصورها أحد ..

وفى كتابها الموسوعة تقول الدكتورة: لطيفة سالم:

«فى يوم من أيام عام ١٩٣٩ ارتدى فاروق ملابس عادية وثبت مسدساً فى حزامه من الخلف ودخل قصر محمد طاهر أثناء سفره وتجول فيه ثم انتقى بعض التحف وسجل البعض الآخر فى قائمة، وأخطر وكيل صاحب القصر أنه يريد لها وحضرت سيارة كبيرة نقلت من المنزل ما قيد بالقائمة، وحضر مرة ثالثة فى غيبة محمد طاهر وصعد غرفة نومه واستولى على بعض الموجودات .. وفى مساء ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ أمر بفض شمع نادى التجديف الألمانى بالإسكندرية ونزع الأختام واستولى على ما بالنادى من أدوات رغم أن ممتلكات الألمان كانت تحت الحراسة.

وعلى نفس الدرب يذهب إلى قصر آل لطف الله، وهى أسرة سورية تمتهن التجارة بالزمالك، ولم يكن أحد أصحابه بداخله فيطوف به ويشاهد محتوياته من التحف، ويبدى إعجابه بها وعندما عاد حبيب لطف الله وعرف بما حدث أرسل إلى الملك مجموعة من السيوف القديمة والمسدسات ليختار منها هدية فاستولى عليها كلها.

وتضيف الدكتورة لطيفة سالم فى كتابها الموثق: «وعدّ الاستيلاء على مخلفات رضا بهلوى - نياشين - سيف من الذهب محلى بالجواهر - قايش - حزام قمة الرذائل، فحينما مات شاه إيران فى منفاه بجنوب أفريقيا وقبل فاروق أن يدفن فى مصر وأقام لجنائزه احتفالاً كبيراً، وعندما أراد ابنه نقل الجثمان إلى طهران اكتشف المسروقات، فقد احتفظ بها فاروق وطالبت إيران بالمخلفات وتوجه سفيرها إلى قصر عابدين لهذا الغرض، ولكن الملك أرسل عمر فتحى

كبير الياوران ليقول إنها سرقت، ويعجب بخنجر الأمير سيف الإسلام عبد الله فيدعوه لمأدبة ملكية ويطلب منه خلع حزامه قبل دخوله للفضاء، وبإيعاز منه يقوم أحد رجال حاشيته بسرقة وبه الخنجر، ولما حضر إلى مصر الملك بطرس ملك يوغوسلافيا هرباً من النازيين واستضافه فاروق وكان معه جهازا إرسال لا يقل ثمنهما عن مائة ألف دولار وقبل سفره للندن تركهما وديعة لديه فاغتصبهما ورفض ردهما.

والواقع أن هذه النماذج والأحداث لم تكن هي كل ما اقترفته يد فاروق، بل هي جزء من ممارسات تستحق أن يطرح من أجلها كتاب يسوق في صفحاته العديد من السرقات التي قام بها حتى حار الجميع من حوله في تفسير هذا السلوك الشاذ والغريب . كريم ثابت نفسه أخفق في تفسير هذا الأمر لكنه أكد على صدقية ما أورده من مهازل حاقت بسيرة فاروق الملك اللص، وربما أصاب العقاد كبد الحقيقة حين أشار إلى إصابة فاروق بداء «كليتومانيا» أي جنون السرقة وهو داء يصاب به بعض المشاهير والأثرياء الذين لا يستطيعون مقاومة ومكافحة هذه الآفة التي سرعان ما تؤدي إلى تشويه سمعتهم وتلطيخ صورتهم بين أبناء المجتمع الذين ينفرون ويتهربون منهم ولا يحرصون على مودتهم والتواصل معهم.

أقول: ربما أصاب الأستاذ العقاد كبد الحقيقة في تشخيص داء فاروق الذي أطلق عليه علماء النفس جنون السرقة، وإن كنت أعتقد أن هذا الداء لم يكتسبه فاروق بل ورثه عن أجداده، وحيث إن والدته نازلى كانت تشكو دائماً من تسلل فاروق لغرفتها الخاصة خفية من أجل العبث في مقتنياتها حيث إنه قد فعل ذلك أثناء زيارة اصططحبته فيها والدته إلى قصر الأميرة شويكار وخلالها اقتحم دولا ب الأميرة شويكار وراح يفتش في درفه وأدراجة الأمر الذي جعل

والدته نازلى تنهره بشدة أمام شويكار، وتؤكد أنها قد ضاقت ذرعاً بتلك الممارسات الغريبة التى اعتاد على ممارستها هذا الطفل الجرىء، منذ نعومه أظافره !!



وربما لم يسمع الأستاذ العقاد - رحمه الله - أن والدته الملك فؤاد وجدة فاروق كانت قد اتهمت بالسرقة، وأن يدها كانت قد قطعت نظير ذلك ومن فرط جمالها وسحرها شعر إسماعيل بالضعف نحوها وقد كانت جارية داخل القصر مما اضطره للزواج منها، وقد زعم البعض أن ثيابها كانت تغطى يدها المقطوعة ولو كان الأستاذ العقاد قد استمع إلى تلك الرواية أو قرأ عنها لاستطاع بذكائه وقدرته الفذة على التحليل النفسى أن يؤكد لنا أن هذا الداء كان أصيلاً ويجرى فى عروق فاروق مجرى الدم. يبدو أن أحداً فى عصور الملك فؤاد ومن بعده فاروق لم يكن يجروء على الإفصاح عن مثل هذه الحكاية وإلا كان مصيره معروفاً للقاصى والدانى.

لقد سرد كريم ثابت العديد من نماذج انحراف فاروق وجنوحه إلى سرقة الأشياء الثمينة والعادية رغم قدرته وإمكاناته من شرائها وحيازتها من ماله الخاص دون اللجوء إلى مثل تلك الممارسات الشاذة.

يقول كريم ثابت فى مذكراته ص ٢٢٦ :

«كان من المعروف عنه أنه إذا زار بيتاً له بصاحبه صلة وحسنت فى نظره تحفة فى طريقة أو قطعة من أثائه لم يتردد فى الاستيلاء عليها، وكانت وسائله فى ذلك تختلف باختلاف مدى علاقته بصاحب البيت، فإذا استطاع أن يقول إن هذه التحفة جميلة وأن يسمع صاحبها يرد عليه بقوله إنها تحت أمر مولانا أخذها وسكت، وإذا كانت العلاقة لا تسمح بذلك عرض أن يشتريها أو أن

يعوضها بمتحفه أخرى يترك لصاحب البيت أن يتقيها على هواه من المحل الذى يختاره وتكون النتيجة واحدة فى الحالتين .

أذكر أنه لما زارنى أول مرة استلفت نظره مائدة كانت فى وسط الصالون الكبير فقال لى : «إنى أجمع الموائد التى هى من هذا الطراز لأنها من عهد إسماعيل باشا (الخديو إسماعيل جده)» .

وكنت حديث العهد بمعرفته فلم يسعنى إلا أن أقول له : إنها تحت أمر مولانا!

ثم أعجبه زهرية من صنع مصنع جاليه الشهير فى فرنسا، وكان بهى الدين بركات باشا قد أهداها إلى يوم زواجى، ولا يزيد ثمنها على ثلاثين جنيهاً فقال لى : أنا أجمع كل ما أجده من صنع «جاليه» ولا أظن أن عندى زهرية منه بهذا الشكل .

وفى هذه المرة أيضاً قلت له : تفضل .

وبعد مدة أراد أن يأخذ لوحتين تمثلان معركتين حرييتين بحجة أن متحفه الحربى أولى بهما ، وكانت علاقائى به قد توثقت فأمكننى أن اتملص من تحقيق هذه الرغبة بالتسويق مرة تلو المرة إلى أن نسيهما!

ويضيف كريم ثابت فى مذكراته حول سلوك فاروق المشين فى الاستحواذ والاستيلاء على كل ما يطيب له وتروق له نفسه : «لا جدال فى أن ما عمله فى بيت خطيبته ناريمان كان أعجب وأدهى من كل ما سمعته عنه فى هذا المضمار ، فإنه لما زاره أول مرة استوقفت نظره نجفة معلقة فى مدخل الدار صنعت من الزجاج الملون على هيئة سفينة شراعية فقال لوالد ناريمان : إن هذه النجفة جميلة وأحب أن تكون عندى فأرسلها إلى غداً ، واذهب أنت إلى محل كذا واختر لك شيئاً مكانها على حسابى .

قد يزعم البعض أن هذه النماذج إنما هي مجرد إعجاب بأشياء ثمينة يرغب في امتلاكها، وهي لا تعد سرقة بل مجرد استغلال نفوذ واستثمار تطلع الآخرين لمودته ولهفتهم على كسب رضاه.

ولكن مع الأسف فقد ورد في مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفي للملك نماذج أخرى وصور مختلفة تشير إلى ما سبق أن أوضحناه وما ساقه الأستاذ العقاد حيث يقول كريم ثابت في صفحة ٢٢٧ من أوراق مذكراته:

«أقام ذات ليلة مأدبة عشاء خاصة في أوبرج الأهرام، وكان من بين المدعوين إليها رجل من رجال الأعمال الأمريكيين يدعى المستر ريدكر وفي خلال العشاء أخرج ريدكر من جيبه علبة جميلة للسجائر مصنوعة من الذهب وولاعة من نوعها وطرازها، ولما أبدى له بعض الحاضرين إعجابهم بهما قال إنها هدية من زوجته وإنها ذات قيمة عاطفية خاصة عنده لأنها آخر هدية أهدتها إليه زوجته قبل احتراقها في حادث حدث لطائرة كانت من ركابها. . . وانتهت السهرة وبينما كان ريدكر في طريق العودة إلى الفندق بصحبة بعض المدعوين تفقد ولاعته فلم يجدها فظن أنه تركها في مكان العشاء فعاد إليه مسرعاً مع صحبه، ولكن جميع الجهود التي بذلوها في سبيل العثور عليها ذهبت سدى!

لم يخطر لأحد منا في تلك الليلة أن الولاعة اختفت لأنها اختطفت وسرقت، بل رجحنا أنها سقطت من صاحبها فالتقطها أحد رواد المحل وخبأها أو أنه نسيها على المائدة فعثر عليها أحد الخدم فاحتفظ بها، وحتى لو قيل لى ساعتئذ إنها «اختطفت» لما اتجهت شبهتي إلى فاروق بل لما كان من المعقول أن تتجه إليه شبهتي. . . وكنت لا أعرف فيه هذا الداء بعد. . . ولم أعرفه إلا بعد ذلك بزمان طويل.

ويعضى كريم ثابت فى سرد ما شاهده بعين رأسه فيما يتعلق بتلك المسألة الشائكة والمثيرة للدهشة والاستغراب حيث يقول أيضاً: «قالت قرينة سكرتير سابق بالسفارة الأسبانية وكان اسمها مدام ماريا بيلار لأصدقائها يوماً إنها لا تريد أن ترى وجه الأمير إسماعيل حسن وإنها إذا التقت به فلن تحببه أو تكلمه! فسألوها عن السبب.

فقالت: لأنه بعد آخر جلسة جلستها أنا وزوجى مع الملك وإسماعيل حسن لم يجد زوجى علبة سجائره، وكنت قد أهديتها إليه يوم زواجنا.. وقد قرأ الملك نفسه عبارة الإهداء منقوشة على العلبة من داخلها!

ولما لم يكن من المعقول فى نظرها أن يكون فاروق هو الذى (مد يده) إلى العلبة كان الطبيعى أن تتهم إسماعيل حسن، ولاسيما أنه كان معروفاً أنه أمير رقيق الحال ولم يخطر لها لحظة واحدة أن سارق العلبة هو الملك.

ويستطرد كريم ثابت رواياته المثيرة قائلاً: فى يوم آخر كان يلعب فى نادى السيارات.. وكانت تلعب بالقرب منه سيدة مصرية أخرجت من حقيبة يدها ولاعة جديدة من ذهب قالت: إن زوجها اشتراها لها بمائة وخمسين جنيهًا تحقيق لوعده قديم، وبعد قليل بحثت السيدة عن ولاعتها فلم تجدها.

وكانت حوادث اختفاء الولاعات فى نادى السيارات قد تعددت وذاع أمرها وأخذت الشبهات تحوم حول فاروق فتشجعت تلك السيدة وقالت: مولاي.. إن هذه الولاعة عزيزة على فأرجو ألا أحرم منها.

فقال لها: ابحثى عنها.

فقالت: أتوسل إليك يا مولاي أن تعيدها إليّ.

فتصنع الامتعاض والاستياء وقال لها: إني آسف لأن أسمعك تتكلمين بهذه اللهجة إننا يا سيدتى لسنا فى حاجة إلى ولاعتك.. وإذا كان ثمنها هو الذى يحز فى نفسك فتفضلى..

وألقي إليها بفishtين قيمتهما مائة وخمسون جنيهاً.

فارتبكت وأعادت الفشتين وهى تقول: عفواً يا مولاي.. أستغفر الله إني لم أقصد - أستغفر الله - فقد ظننت أنه ربما أردت جلالتك المداعبة فخبأت الولاة.

وقبل فاروق اعتذراها واحتفظ بالولاة وبالنقود!!

* * * *

وحول استفحال تلك الظاهرة وانفلاتها حتى مع شقيقاته فقد أورد مستشاره الصحفى أيضاً قصته الغريبة مع شقيقته فوزية، ولنقرأ تفاصيلها كما وردت فى مذكرات الرجل الذى كان ظل فاروق وعقله. حيث يقول: «أما أبشع حكاياته من هذا القبيل فهى حتماً حكاياته مع شقيقته فوزية لما جاءت إلى مصر من إيران فى رحلة طلاقها من جلالة الشاة فقد استقبلها فى مطار الإسكندرية وصحبها إلى قصر «أنطونيادس» حيث نزلت مع حاشيتها، وكانت لا تزال تلقب بجلالة إمبراطورة إيران، وأمر بعض خدمه بأن يراقبوا وصول حقائق الإمبراطورة إلى القصر وأن يجمعوها عند وصولها فى حجرة عينها لهم.

وبينما كانت فوزية مشغولة بالحديث مع شقيقته فائزة وتستريح من رحلتها المتعبة كان فاروق مشغولاً بفتح حقائبها والاستيلاء على ما طاب له أخذه من محتوياتها ولما تعذر عليه فتح بعضها بما عنده من مفاتيح لم يتردد فى كسر أقفالها!!

ورأت فوزية ما أصاب حقائبها وقبل أن تستفسر عن علة ذلك دخل عليها خادم قديم من خدم القصر كانت تعرفه منذ حداثتها، وأفضى إليها همساً بأن مولانا هو الذى فعل ذلك» فلم تفتح فمها خجلاً وإبقاء على علاقته بها! وقالت فيما بعد لصديقة لها: إن الذى آلمها أكثر من هذا العمل هو أنها ما لبثت أن رأت بعض صديقات فاروق يلبسن بعض ما انتزعه من حقائبها!!».

وهكذا اشتهر فاروق بين أفراد أسرته وأصدقائه أنه لا يتورع عن سلب ونهب ما تقع عليه عيناه دون أن يعاب بما سترتب على ذلك من مردودات سلبية وخطيرة واهتزاز صورته وهيبته أمام خدمه وحراسه والشماشرجية وغيرهم من المقربين إليه.

لقد كان فاروق عارياً أمام هذا الحشد الهائل من المحيطين، كما كان تافهاً ولصاً ساذجاً ومفضوحاً ومكشوفاً بين الجميع.

* * * *

فاروق... الزير السمين فى المخابرات الامريكية

كان فاروق يوماً بعد يوم يزداد ترهلاً حتى تدلى كرشه، وبدأ فى عيون ناظريه أشبه بيرميل أو زير طبقاً للوصف الأمريكى، أو بمعنى أدق لقب خلعتة عليه المخابرات الأمريكية التى كانت تعمل على قدم وساق فى تلك المرحلة أملاً فى تكريس دور أمريكى فى منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن حققت الانتصار الساحق للحلفاء بعد إلقاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما، والثانية على نجازاكى لوضع نهاية إجبارية لحرب طال أمدّها واشتد لهيها وساد خرابها وتدفقت دماؤها وتدحرجت رءوس ضحاياها وجثث وأشلأ رجالها بالملايين.

المهم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى إلى خلق دور جديد ينبغى ممارسته بعد بزوغ نجمها واعتلائها قيادة العالم بعد الانكماش البريطانى، والتفوق الفرنسى الذى ترهل وأصيب مثل نظيره البريطانى بالشيخوخة والتجاعيد التى كست وجه الامبراطوريتين معاً فى إعلان مفاجئ لميلاد امبراطوريات جديدة، وتراجع وانسحاب القديم منها الذى كان يقود العالم ويهيمن بنفوذه وأطماعه عليه دون رحمة أو هوادة فى أكبر عملية سلب ونهب وسرقة وابتزاز واستغلال فى التاريخ لسرقة الشعوب الأفريقية والعربية المسكينة والمقهورة التى استسلمت للرجل الأبيض الذى كان يتصف بالدموية والوحشية والقسوة فى الانقضاض على ممتلكات ومقدرات تلك الشعوب التى عانت منذ القدم من الظلم والقهر والقمع.

نهاية.. بما أن الولايات المتحدة كانت فى طريقها إلى تعزيز مكانتها وبسط نفوذها عبر أجهزتها الاستخباراتية، فمن ثم كان لزاماً عليها ضرورة التغلغل فى أحشاء العرش الملكى المصرى نظراً لأهمية المملكة العربية الإقليمية وجغرافيتها الاستراتيجية التى يجب أخذها فى الاعتبار بوصفها دولة محورية، أو كما يقول الدكتور جمال حمدان: دولة مفصلية.

فى عام ١٩٤٩ كانت الشيخوخة بدأت تزحف عبر فساد فاروق إلى عقله وأوصاله، والتسدد إلى أركان عرشه وقواعد حكمه الذى بات مهزوزاً بفعل ابتعاده عن إدارة شؤون الحكم، وانغماسه فى ممارسة لعب القمار الذى استولى على حواسه وغرائزه، وبات هو الشغل الشاغل، وهو ما ستعرض له تفصيلاً فيما بعد.

فى تلك الفترة الزمنية كان كيرميت روزفلت أشهر وألمع رجال المخابرات الأمريكية يتجول كعادته فى المنطقة لاستشراف آفاق مستقبلها، ورسم خطوطها القادمة والسبر فى أغوار فاروق ومعرفة المدى الزمنى الذى سيتحمله العرش لجلوس فاروق مستقبلاً، ثم البحث عن بديل يدور فى الفلك الأمريكى قبل أن يستفحل ويخرج عن الإطار المرسوم.

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت ولد فى أوائل شهر فبراير عام ١٩١٦ فى مدينة يونس أيرس، وقد تلقى علومه فى جامعة هارفارد وقد عمل أستاذاً لمادة التاريخ فى جامعة كاليفورنيا، ثم بعدها التحق للعمل فى إدارة الخدمة الاستراتيجية إحدى مراكز المخابرات المركزية، وكانت بيروت هى أهم وأقوى وأشهر المحطات الاستخباراتية فى عام ١٩٤٣.

ولأنه كان يرتدى نظارة طبية تشير إلى أنه أحد الباحثين الأكاديميين فقد كان يشغل منصباً مرموقاً فى القسم الثقافى بالسفارة الأمريكية فى بيروت، وذلك للتمويه وإخفاء حقيقة عمله بوصفه أحد رجال مخابرات السى. أى. أيه. أو بمعنى أوضح «جاسوس وطنى».

فى عام ١٩٤٤ عمل مساعداً لأستاذ جامعى فى بيروت، ثم بعدها- بطريقة أو بأخرى لأغراض لا تخفى على أحد - أصبح مديراً للجامعة الأمريكية فى بيروت، وهو منصب لم يكن متوافقاً مع سنة الذى اكتمل فقط الثلاثين من العمر، وكان يسعى كعادته لنسج خيوطه بدقة وإحكام على عقل الملك فاروق على اعتبار أنه أقوى ملك عربى فى المنطقة، وبالطبع فإن تمدد المخابرات الأمريكية فى مصر يؤدى إلى مد أطرافها إلى باقى العالم العربى دون جهد أو عناء على عكس التواجد فى بيروت.

ولأن كيرميت روزفلت كان واسع الاطلاع خاصة فيما يتصل بالشأن الدينى وخصوصاً الإسلام من خلال دراسته لأوضاع جماعة الإخوان المسلمين والتحرى والفحص والبحث الدقيق لشخصية الشيخ الإمام حسن البنا مرشد ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين، فقد استطاع كيرميت روزفلت اكتساب قدر لا بأس به عن الإسلام والمسلمين، ربما لا يتوافر جزء منه لدى فاروق ملك البلاد وبعض من حاشيته الذين انغمسوا جميعاً فى الملذات والانصياع للشهوات.

على أية حال فقد كان فاروق رغم ندرة معلوماته عن أحكام وعلوم وتاريخ الدين الإسلامى، بيد أنه كان يتوق إلى لقب خليفة المسلمين الذى كثيراً ما تطلع إليه والده الملك فؤاد بعد سقوط الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك. كان فاروق بالفعل يتلهف على أن يحظى بهذا اللقب، ولعل الصدام الشهير الذى دب بين السرايا والزعيم مصطفى النحاس يعود إلى إصرار فاروق وأحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى على ضرورة تنصيب فاروق ملكاً على البلاد من خلال مسجد القلعة فى احتفال دينى مهيب تحضره جميع الطوائف من الجمعيات الإسلامية فى محاولة فاشلة لإعلان الخلافة، مما حدا بالزعيم الوفدى

مصطفى النحاس الذى اشتهر بعلمانيته المتطرفة حتى أصر على إفشال هذا المخطط خوفاً من تكريس دولة دينية أو خلافة إسلامية من شأنها أن تعود بالعالم العربى إلى عصور آل عثمان، فضلاً عن أنها لن تدخر جهداً فى التخلص من جميع الأحزاب العلمانية واليسارية وغيرها المناوئة لمفهوم الخلافة الإسلامية.

من هنا فكر الداهية المخبراتى كير روزفلت فى اختراق فاروق وإحكام السيطرة على خلايا عقله حتى يتمكن من الإيقاع به والدفع بجسده وعقله حيث تريد الوكالة المركزية فى لانجلى بواشنطن، ولذلك فكر كيرميت أن يبذل قصارى جهده لإقناع الملك فاروق أنه (أمير المؤمنين) الذى سيتمكن من إعادة مجد الخلافة الإسلامية التى كانت متعددة الأطراف، مرهوبة الجانب، مشيرة للمخاوف، تحسب أوربا لها ألف حساب قبل أن تختفى وتندثر.

بدأ كيرميت فى تنفيذ مخططه، وراح على أثر ذلك يتردد على قصر فاروق يومياً يستمع إلى شكوته التى لم يكن يمل من ترديدها حول معاملة الإنجليز المهينة له، وصلافة وعجرفة السفير البريطانى منذ وقوع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، الذى ألقى بظلاله على مستقبل فاروق وشكل العلاقة بينه وبين السفير البريطانى الذى كان يستخف به ويسعى على نحو أو آخر للتهوين من أهمية وجوده.

وكان فاروق للأسف يستحق ذلك حيث بدا فى عيون الإنجليز مجرد دمية تتلقفها أيادى سمسرة القمار والحفلات والراقصات الذين كانوا يحركونه ويلعبون به تزلفاً وتقرباً وابتزازاً واستغلالاً واستنطاعاً فى أغلب الأحيان.

والحاصل أن كيرميت نجح فى كسب ثقة فاروق من خلال تهدئة روعه وتسكين آلامه وتبديد أحزانه حيث كان كثيراً ما يقول له بعد الحرب: يا جلالة

الملك ستقوم حقبة جديدة ستنعم فيها مصر بسيادة حقيقية وسيكون جلالتم
فيها أول حاكم لأول دولة مصرية حرة منذ ألفى سنة^(١).

وفي شهر فبراير ١٩٥٢ توجه كير روزفلت قادماً من بيروت بتكليف من
رئاسة المخابرات المركزية لمقابلة الملك فاروق ومحاولة الاقتراب منه بعد سنوات
طويلة من الجفاء بينهما.

في هذا اللقاء الذي جمع الملك فاروق بالمخابراتى الشهير كير روزفلت دار
الحوار التالى الذى تسربت أنباءه ونشر بعضها فى كتاب كوبلاند.
روزفلت: أوه كم أنا سعيد يا جلالة الملك بلقائك مرة أخرى بعد فترة
طويلة.

فاروق (ضاحكاً): وأنا أيضاً يا كيم، كم أنا فى حاجة إلى حوار معك.
روزفلت: عزيزى جلالة الملك دعنى أصارحك بما يدور خارج بلادك حيث
إن الأمر بالفعل بات جد خطير، خصوصاً وأن هناك اختناق أصاب جموع
الشعب المصرى بعد استثناء واستفحال طبقة الإقطاع الذين توحشوا وأصبحوا
طبقة لا يمكن المساس بها رغم أنها لا تتورع فى إشاعة الظلم والقهر
والاستبداد والاستعباد بين صفوف الفلاحين فى بلادك.

فاروق: وماذا ترى يا كيم هل أتخلص من تلك الشريحة، وهل يطيب لك
أن أفعل ذلك أهذه هى جوهر المشكلة يا كيم؟

روزفلت: جلالة الملك فاروق .. هلا أفسحت صدرك قليلاً، إن مجلس
نوابك طالب مراراً بضرورة إعادة توزيع الملكية على الفلاحين المعدومين، وعلى
ألا تزيد ملكية الأراضى للفرد على مائتى فدان مراعاة للبعد الاجتماعى، ولعل

(١) كتاب مايلز كوبلاند (اللاعب واللعبة) وهو صاحب كتاب لعبة الأمم المثير للجدل.

الدكتور أحمد حسنين سفير بلادكم فى الولايات المتحدة قد أراد أن ينبهكم لهذا الخطر الذى يستفحل يوماً بعد يوم من خلال تأسيسه لـ: (جمعية الفلاح المصرى) أملاً منه فى إصلاح أحوال الفلاحين الذين أضحت أحوالهم تدعو للرناء، بينما يتنامى نفوذ طبقة الاقطاعيين دون الالتفات إلى هؤلاء المساكين.

وحيثما بدت علامات الضيق ترتسم على ملامح وجه الملك فاروق راح كيم روزفلت يداعبه ويلطفه حول بدائه وجسده الضخم وكرشه المترهل، وتأكيده على أنه يحمل وصفات طبية لتخفيف وزنه شريطة أن يتوقف عن التهام الطعام بشراهة وسرعة، وهما صفتان اشتهر بهما بين الجميع، بيد أن فاروق انفجر ضاحكاً مؤكداً أنه يستطيع أن يتخلى عن جميع هواياته ورغباته لكنه لا يستطيع أبداً أن يكف عن التهام الطعام بذات السرعة التى اعتاد عليها. وبعد أن تأكد روزفلت أن الأمور تسير وفق ما هو مرسوم لها عاد ليؤكد خطورة موقف فاروق وأن أيامه باتت معدودة على العرش، خاصة أن مصر وغيرها من البلدان العربية تتعرض لحملة عاتية من أصحاب الاتجاهات الشيوعية وانقلاباتهم وثوراتهم التى لا تتوقف فى جميع أنحاء العالم ضد العروش الملكية الفاسدة، ربما استقرت تلك الكلمات فى عقل فاروق وراح يمسك بها بعد أن تكررت على مسامعه أثناء حوارهِ مع روزفلت، كلمة الشيوعية تلك التى كانت تصيبه بالهلع والخوف والفرع، ومن ثم راح يسأل روزفلت فى اهتمام بالغ قائلاً:

فاروق: إذن ما هو المطلوب منى يا كيم؟

روزفلت: أرجوك اسمعنى جيداً جلالة الملك فاروق... «مصر دولة إسلامية وإذن يجب أن تحكمها من خلال قاعدة دينية على أن تحاول تفعيلها لدى شعبك لمجابهة الخطر الشيوعى الذى يتغلغل، وهذه وصفة كفيّلة بحماية

عرشك من رياح الشيوعية الحمراء، ثم عليك أن تتخلص من الإشاعات النسائية التي تلاحقك وتطاردك، وتنفيذ سياسة جديدة تعتمد على ترسيخ مفهوم العدالة الاجتماعية لدى شعبك، حتى تستطيع أن تستولى على مشاعره وعواطفه، وهنا سوف يستقر عرشك دون أية مشكلة. مرة أخرى يا جلالة الملك ترسيخ الشعور الدينى وترسيخ العدالة الاجتماعية لا تنس، ورغم إلحاح روزفلت وإصراره على تطبيق نصائحه إلا أن فاروق نفسه كان منهمكاً فى الانكباب على موائد القمار والسهر حتى إشراق شمس يوم جديد، وهو ما دفع كيم روزفلت ليقول: للأسف لم يكن فاروق من ذوى الأوزان العقلية الثقيلة، غير أنه أكد أن فاروق قد بذل جهداً خارقاً فى تنفيذ مخططه من خلال إصدار تعليماته إلى ديوان قصره لإثبات أن نسب عائلته يرجع إلى سلالة آل بيت النبى ﷺ من ناحية جده لوالدته «محمد شريف» وهو ما أدى إلى إدراك روزفلت لفشل مهمته، ومن ثم الفشل الذريع الذى منيت به عملية «الزير السمين» نسبة إلى الملك فاروق المترهل الضخم العريض المنكبين، كما هو وارد بالحرف فى ملفه الخاص بوكالة المخابرات الأمريكية، لبدأ روزفلت المخابراتى فى تدشين علاقته مع رجال ثورة يوليو ودعمها والإشراف عليها لحمايتها من التغلغل الشيوعى المتنامى آنذاك، حتى أصبح للمخابرات دوراً مثيراً للجدل والتأمل، وقد تأرجحت العلاقات بين عبد الناصر والمخابرات بين الصعود والهبوط حتى أطلقت عليه المخابرات الأمريكية لقب (الديك الرومى) وكان هو عنوان ملفه فيما بعد.

فاروق والوحدة مع سوريا!!

ما من شك أن عنوان هذا الفصل قد يشير قدراً لا بأس به من الجدل والصخب حيث جرت العادة التاريخية في مصر منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ من تجريد فاروق من مزاياه وسماته الحميدة وإن قلت، وتعريته وتلطيخ سمعته وتشويه أى قرار اتخذه كان يصب في صالح الأمة، أو على أقل تقدير إغفاله وتجاهله عن عمد وسوء قصد إمعاناً في إخفاء أية ميزة كان يتحلى بها.

وبالطبع يعرف القاصى والدانى أن الملك فاروق - رحمه الله - وطبقاً لكتابات العهد الناصرى أنه لم يكن مشغولاً عن التوحد والتواصل العربى قدر انشغاله فى التواصل مع الأوراق الخضراء على موائد الملاهى والنوادر الليلية.

لكن للإنصاف فقد سجل التاريخ أن الملك فاروق كان قد سبق الرئيس جمال عبد الناصر فى تدشين قواعد وحدة عربية خاصة مع سوريا على عكس ما هو ذائع وشائع من أن الوحدة العربية التى تمت فى عهد جمال عبد الناصر كانت هى الأولى من نوعها بين البلدين فى تاريخنا المعاصر، بينما كانت هى المرة الثانية فى الواقع ووفقاً لسجلات التاريخ.

بادىء ذى بدء - كانت السعودية ومصر وسوريا ولبنان والعراق وإمارة شرق الأردن واليمن، وكانت هذه الدول بالطبع ما زالت ترزح تحت نيران الاحتلال البريطانى والفرنسى باستثناء اليمن والسعودية اللتين كانتا مستقلتين، قد وقعوا جميعاً البروتوكول الخاص بالجامعة العربية عام ١٩٤٤، ثم التوقيع على الميثاق فى ١٩٤٥، وفى تلك الأثناء كان هناك صراعاً دائراً يظهر أحياناً ويختفى فى أحيان أخرى بين مصر والسعودية من جهة، والعراق وشرق الأردن الخاضعتان لحكم الأسرة الهاشمية من جهة أخرى، حيث كانت أطماع الأسرة

الهاشمية كانت ومازالت تمتد للهيمنة على منطقة الجزيرة العربية، على اعتبار أن الأسرة الهاشمية كانت تحكم الجزيرة قبل أن تطردها آل سعود. كانت سوريا آنذاك محصورة بين مطرقة محور فاروق وآل سعود. وسندان الأسرة الهاشمية حيث كان محور (فاروق آل سعود) يحرص على تحييد سوريا أو على الأقل محاولة ضمها إليه، وذلك بهدف عرقلة أية فكرة مستقبلية تقود إلى ضم سوريا للمحور الهاشمي، وذلك خوفاً من تنامي نفوذ وتضخيم مشروع سوريا الكبرى الذي كان يحتوى على لبنان بوصفها جزءاً أصيلاً لا يتجزأ من سوريا قبل التقسيم الذي جرت وقائعه على يد وزير الخارجية البريطاني وليام سايكس بالتعاون مع نظيره وزير الخارجية الفرنسي جورج بيكو والذي اشتهر، فيما بعد باتفاقية (سايكس بيكو) المبرمة عام ١٩١٦.

في الواقع كانت مصر تسعى جاهدة على نحو أو آخر لتعزيز مكانتها وتكريس دورها الإقليمي في المنطقة وخصوصاً لدى بلاد المشرق خوفاً من عزلها أو تهميشها أو الاستخفاف بمكانتها على يد الأنظمة المناوئة لها.

في تلك الأثناء كانت المملكة السعودية أسيرة نفس الهواجس والمخاوف التي سكنت مصر، خاصة وأن آل سعود لا يخالجهم الشك في أن أبناء الأسرة الهاشمية حكام العراق والاردن يحلمون بإطاحة عرش آل سعود لاسترداد العرش المفقود، والذي لمع بريقه بعد المؤشرات الأولية لظهور آبار النفط في ربوع البلاد الخاضعة لنفوذ آل سعود.

في عام ١٩٤٩ كان شكري القوتلي رئيساً لسوريا، وكما عرف عنه آنذاك كان يحمل في قلبه عاطفة جياشة ومشاعر فياضة نحو مصر شأنه في ذلك شأن جميع أبناء الشعب السوري الذين يعشقون مصر وشعبها منذ القدم، وإن كان إعلان شكري القوتلي محبته لمصر نهاراً جهاراً قد أثار حينئذ عاصفة من

الغضب والسخط لدى حكام الأسرة الهاشمية واستياء بعض أبناء القوات المسلحة السورية الذين كانوا يميلون إلى المحور الهاشمي، ومن ثم راح بعض من هؤلاء الضباط يقود انقلاباً عسكرياً ضد شكري القوتلي في مارس ١٩٤٩، وذلك بقيادة حسني الزعيم الذي قام على الفور وخوفاً من مغبة فشل الانقلاب باعتقال الرئيس شكري القوتلي ووزرائه وأنصاره.

في أعقاب الانقلاب العسكري، وبعد صدور البيان رقم واحد، واتخاذ قادة الانقلاب بعض القرارات التعسفية والقمعية في محاولات عديدة لفرض إرادتهم وسطوتهم ونفوذهم على مقاليد السلطة في دمشق، في تلك الأثناء تلقى قادة الانقلاب برقيات تهئة وتأييد واعتراف ومباركة ومؤازرة من حكام العراق والأردن لضم سوريا إلى محورهم المناهض للمحور المصري السعودي، في حين التزمت مصر بالصمت نحو الانقلاب في انتظار ما ستسفر عنه الأيام المقبلة، وقد حذت المملكة العربية السعودية حذر الموقف المصري تحسباً لتطورات ساخنة سوف تشهدها سوريا بما تحمل في طياتها من مفاجآت تؤثر بالسلب على العلاقات مع سوريا، ومن ثم وجب التريث ولزم التحلي بالصبر.

الشاهد أن العلاقات بين مصر وسوريا في أعقاب هذا الانقلاب شهدت تدهوراً خطيراً خاصة حين أعلن حسني الزعيم رغبته في الانضمام لمحور العراق / الأردن، مما حدا بمصر أن تشن حملة واسعة من الهجوم الدبلوماسي عليه حتى أن الدبلوماسية المصرية أعلنت عبر وسائل الإعلام أن مصر لا تمنع قيام وحدة سوريا مع العراق شريطة أن تقوم سوريا بإجراء استفتاء شعبي حولها قبل الشروع في إتمامها، وقد أرادت مصر بذلك الوقية بين القيادة السورية ممثلة في حسني الزعيم والشعب السوري حيث بات لدى مصر يقيناً لا يخالجه

الشك أن الشعب السوري لن يوافق على تدشين مثل هذه الوحدة مع آل هاشم.

والشاهد أن الهجوم الدبلوماسي المصري قد حقق ثماراً جاوزت تنبؤات الساسة المصريين في ذلك الوقت حيث ارتعدت فرائص حسنى الزعيم واضطر إلى القيام بزيارة مفاجئة وعاجلة إلى مصر في ٢١ أبريل ١٩٤٩ التقى خلالها مع الملك فاروق في مزرعته الشهيرة بأنشاص، وقد تناولوا معاً طعام الغداء، وفى هذا الاجتماع الثنائى شن فاروق هجوماً كاسحاً على حكام العراق والأردن في محاولة منه لإثراء حسنى الزعيم عن قراره ومشروعه الرامى لإعلان الوحدة مع العراق، هذا فضلاً عن ضغط فاروق أثناء اللقاء على حسنى الزعيم فى ضرورة تحسين صورته أمام العالم العربى، ومحاولة بناء علاقات دبلوماسية مع كافة دول الجامعة العربية خصوصاً السعودية التى كانت على وفاق تام مع الملك فاروق، ثم حذر الملك فاروق نظيره السوري حسنى الزعيم من مغبة التلويح بالانضمام إلى المحور العراقى، وما سيتمخض من وراء ذلك التقارب على شكل وجوهر العلاقات المصرية والسعودية مع سوريا وتداعياتها فى المنظور القريب مهدداً بأن مصر والسعودية لن يكون فى وسعهما الاعتراف بالنظام السوري ما لم يبدأ النظام الجديد فى إبداء خطوات جادة وطيبة تزيل كافة العراقيل والعثرات التى حالت بين التقارب المصرى السعودى مع سوريا، كما شدد فاروق أثناء الاجتماع الصاخب فى مدينة أنشاص على ضرورة الإفراج عن الرئيس السوري السابق شكرى القوتلى وإعوانه للتأكيد على استعداد سوريا للتقارب مع مصر.

كان اللقاء المصرى السوري بين فاروق وحسنى الزعيم حميماً دافئاً رغم سخونة ملفاته وبرود أجوائه التى شهدتها اللقاء، وقد تمثلت حفاوة مصر فى

قيام فاروق بإهداء حسنى الزعيم إحدى صورته وتوقيعه، ثم اصططحبه فى سيارته التى قادها بنفسه تعبيراً عن امتنانه وترحابه وسعادته بزيارته لمصر.

وفى اليوم التالى لعودة الرئيس السورى حسنى الزعيم إلى بلاده أصدر فى التو قراراً عاجلاً يقضى بالإفراج عن الرئيس السجين شكرى القوتلى الأمر الذى دعا مصر ومعها المملكة السعودية لإعلان الاعتراف بالنظام السورى الجديد، ثم أعقب الخطوة المصرية السعودية التاريخية التى عززت موقف النظام السورى خطوة أخرى قدمها الجانب السورى حيث أعلن حسنى الزعيم فى ٢٦ أبريل من نفس العام، وأمام حشد غفير من مواطنى الشعب السورى أعلن قائلاً:

إن رحلتى للقاهرة قد جاءت مباغته غير سارة لشرق الأردن، وكان سادة بغداد وعمان يعتقدون أننى كنت سأقدم لهم تاج سوريا على صينية من الفضة، ولكنهم شعروا بخيبة الأمل، ولا ترغب الجمهورية السورية لا فى سوريا الكبرى ولا فى الهلال الخصيب، وسوف نناضل بكل قواتنا ضد المشروعين المذكورين الصادرين عن إلهام أجنبى، أما بالنسبة لشرق الأردن الذى هو مقاطعة سورية وسيظل كذلك فإنه سينضم من جديد عاجلاً أم آجلاً إلى الوطن وسيصبح المحافظة العاشرة فى الجمهورية السورية.

ما من شك أن هذه الخطبة التاريخية قد مكنت حسنى الزعيم من تكريس مكانته فى قلوب الشعب المصرى والسورى معاً فى تحول مفاجئ بعد فترة من التوتر والاضطراب شهدتها البلدان منذ وقوع انقلاب حسنى الزعيم.

وفى خطوة أكثر شجاعة وجسارة وذكاء وقدرة على التواصل مع مصر أعلن الرئيس السورى حسنى الزعيم عزمه على مشاركته السفارة المصرية بدمشق الاحتفال بعيد جلوس الملك فاروق فى يوم ٦ مايو ١٩٤٩، وإقامة الزينات

ورفع الأعلام احتفاء بتلك المناسبة السعيدة للشعبين المصرى والسورى وذلك وفقاً لما ورد فى الخطاب الرئاسى السورى المدهش آنذاك.

وكان للقرار العاطفى الذى أصدره حسنى الزعيم صدى إيجابياً واسع النطاق، خصوصاً فى قصر عابدين حيث ابتهج الملك فاروق لتلك الخطوة الرائعة التى جسدت معانى الأخوة بين البلدين الشقيقين، حتى أن فاروق قد بعث ببرقية إلى حسنى الزعيم تقديرأ له وامتنانه بمشاركته فى الاحتفال بتلك المناسبة وقد ورد فى تلك البرقية التى بعث بها فاروق تلك الفقرة التى قال فيها:

«لقد كان للقرار الذى أوسى شعور الأخوة العربية لدولتكم باتخاذها بالاحتفال رسمياً بعيد جلوسى أبلغ الأثر فى نفسى».

ولأن حسنى الزعيم قد أخبر فاروق من خلال برقية بعث بها إليه أنه سيحل محله أثناء الاحتفال بجوار ياور الملك فاروق حيث قال بالنص: «إنه ليسعدنى أن أحل محل جلالتكم فى الاحتفال الكبير الذى تزهو دمشق بإقامته فيها محاطا بياور جلالتكم»، ومن ثم أكد فاروق فى برقيته قائلاً: «وقد أوفدنا إليكم البكباشى شفيق مهنا ياورنا ليقف بجانبكم عندما تحلون محلى فى هذا الاحتفال الكريم».

ولأن فاروق كان يميل هو الآخر إلى سوريا وضرورة التواصل السياسى معها، فقد راح يغذى هذا الاتجاه بغية تدشين وحدة بين البلدين لضرب المشروع العراقى الأردنى فى مقتل نكايه فى ملوك الأسرة الهاشمية، ومن ثم وافق على ما طلبه حسنى الزعيم فى برقيته من أن يحل محله فى تعبير حى لنموذج وحدة مصغر يتطلع بلهفة إلى من يسعى لتعظيم دوره وتوسيع إطاره ليصبح مشروعاً كاملاً شاملاً.

وبعد اختيار الرئيس حسنى الزعيم رئيساً للبلاد بالإجماع أرسل الملك فاروق وفداً ملكياً يترأسه الفريق عمر فتحى باشا لتقديم التهئة باسم الملك فاروق والشعب المصرى، وقد قام الفريق عمر فتحى بإلقاء كلمة قصيرة عبر فيها عن سعادة مصر ملكاً وحكومة وشعباً لنجاح الرئيس حسنى الزعيم فى الانتخابات التى حقق فيها نصراً ساحقاً ودون منافس، وقد كانت المفاجأة المذهلة حين شدد الملك فاروق فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه الفريق عمر باشا فتحى على أهمية الوحدة بين البلدين حيث قال حرفياً : «وقال حفظه الله : لا تنسوا أننى أعتبر مصر وسوريا بلداً واحداً.. . إن جلالة الفاروق عندما يتحدث عن سوريا لا يقول: أريد ضمّاً أو فتحاً، بل يقول: أريد اتحاداً، اتحاد الحر مع أخيه الحر، والحليف المخلص مع الحليف المخلص، وذلك فى سبيل مصلحة مشتركة واحدة، وهى مصلحة العروبة الحقّة، وأنه ليسعدنى بهذه المناسبة أن أنقل تحيات جلالته وتقديره إلى الجيش السورى الباسل ضباطاً وجنوداً، وهو إعجاب كان جد جلالته البطل إبراهيم باشا أول من أعلنه فلا غرو إذا رده جلالة حفيده العظيم وأبرزه فإن حلفاء اليوم هم أحفاد حلفاء الأمس»^(١).

وظنى أن للمخابرات البريطانية الأمريكية دوراً فاعلاً فى إفشال هذه الوحدة التى كانت مصر وسوريا بصدد النهوض بها، والإعلان عنها لولا أن أصابع خفية تلك التى عبثت بعد ذلك فى إفساد الوحدة التى أقيمت بين البلدين عام ١٩٥٨.

ومن هنا أنا على يقين أن هناك من عبث بها من أجل وأدّها وخنقها حتى لا يكتمل جينها الذى سيشكل خطراً داهماً على الأنظمة المجاورة الأكثر ميلاً

(١) تم نقل العديد من فقرات هذا الفصل من مقال منشور للأستاذ حسنين كروم ولذا وجب التنويه نظراً لعدم وفرة معلومات حول هذا الموضوع الذى انفرد به الأستاذ الفاضل حسنين كروم.

وانجذاباً للغرب الاستعماري، ولهذا فوجئت مصر بانقلاب عسكري أطاح بالرئيس حسنى الزعيم بقيادة الضابط سامى الحناوى فى ١٤ أغسطس، وقد تم إعدام الرئيس حسنى الزعيم بموجب محاكمة عسكرية صورية، الأمر الذى أثار عاصفة من الحزن والاستياء والسخط العام والغضب العارم فى مصر مما اضطر فاروق إلى إعلان الحداد العام لمدة ثلاثة أيام فى خطوة جلية للتعبير عن رفض مصر ملكاً وحكومة وشعباً لهذا الانقلاب الذى أطاح بأهم وأخطر خطوة فى تاريخ العلاقات بين البلدين.

وهكذا سعى فاروق للوحدة مع سوريا قبل اندلاع ثورة يوليو الأمر الذى يشير إلى إدراك مصر ما قبل الثورة إلى أهمية الوحدة والتعاون المشترك مع سوريا ومدى تأثير ذلك التقارب على مصلحة الشعبين.

* * * *

حرب ٤٨، وقضية الأسلحة الفاسدة

كان الملك فاروق يتطلع دائماً إلى أن يمشى على خطى جده إسماعيل باشا وزير النساء، وأشهر حكام عائلة محمد على عشقاً للنساء والمجون والعريضة والهوى واللامبالاة، بغض النظر عن مآثره ومشروعاته التي أسسها في مصر، وكان لها أكبر الأثر في نهضة البلاد والعلو بهامتها.

ولو كان فاروق متطلعاً منذ طفولته إلى جده إبراهيم باشا صاحب أشهر الانتصارات التاريخية، والبطل الذي لم يهزم قط، والقائد الذي استقبلته فرنسا استقبال الأبطال والعظماء والأفذاذ، والرجل الذي كان له الفضل الكبير في مد أطراف الدولة المصرية إلى جميع البلدان المجاورة بل والبعيدة.. لو كان فاروق - رحمه الله - قد اقتفى أثره وخطا على نهجه وسلك مسلكه ومشى على دربه واتخذه نموذجاً ومعلماً وأستاذاً لتغيرت أحوال، وتبدلت أوضاع ما كان لها أن تحدث وإبراهيم باشا على سدة الجيش المصري وعلى رأس البلاد، أما وأن العريد الأهوج فاروق هو الذي يتصدر العرش، فقد حدث ما كان يجب أن يحدث ووقع ما كان ينبغي أن يقع .

لقد كانت قضية فلسطين شديدة التعقيد، ومن ثم أضحت في حاجة إلى من يدرك أبعادها وتداعياتها ونتائجها على المدى البعيد، وربما كان قراره بتنصيب محمد حيدر باشا قائداً للجيش برهاناً على أن فاروق كان يمشى نحو هدف آخر حيث كان الرجل يجهل أبسط علوم الحروب العسكرية، ولا تتوافر لديه خطة واحدة لمقاومة العصابات الصهيونية التي تمكنت من بسط نفوذها وفرض إرادتها.

وفى اجتماع ضم بعض الدول العربية برعاية الملك عبد العزيز ملك السعودية تقرر على أثره إرسال جيوش الدول العربية لطرد العصابات الصهيونية التى غيرت فى ليل جغرافياً فلسطين، ويهدف إبادة أهلها وطردهم لتكريس كيان صيهونى على جماجم وجثث وانقراض شعبها المسكين وسط حالة من الذهول العربى، والعجز العسكرى، والدعم الأمريكى والأوربى لإسرائيل.

وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ اجتمع مجلس الشيوخ المصرى لمناقشة قرار يتعلق بإرسال الجيش المصرى إلى فلسطين دفاعاً عن أرضها وشعبها، وقد كان الملك كما أشرنا قد اتخذ القرار بناء على توصيات مؤتمر القمة العربية بغض النظر عن مدى الاستعداد ودرجة التأهب التى كان عليها الجيش المصرى، حيث رأى فاروق أن إرسال الجيش فى كل أحواله هو إرضاء لضميره وغروره، وحتى لا يتعرض للمساءلة من أية دولة: لماذا تقاعست عن إرسال جيشك لحماية فلسطين؟، وربما أرسل فاروق جيشه باستعدادات بسيطة ومتواضعة ظناً منه أن هذه الإمكانيات تتناسب فى قوتها مع قدرات العصابات الصهيونية التى من المؤكد - كما تخيل - لا تملك أسلحة كافية تستطيع أن تكتب كلمة النهاية فى هذا الصراع لصالحها..

ربما . المهم فى اجتماع مجلس الشيوخ تحدث بعض الأعضاء وعلى رأسهم إسماعيل باشا صدقى (أشهر رؤساء حكومات مصر) وراح يوجه حديثه إلى محمود فهمى النقراشى رئيس الحكومة وقتذاك مؤكداً له أن الجيش المصرى يعانى من قصور شديد فيما يتصل بمسألة التسليح، فضلاً عن افتقار قادته لأحدث الخطط والعمليات العسكرية، وهو ما سوف يؤثر على أداء الجيش، ومن ثم قد تتمخض عنه هزيمة مروعة.

وأمام الحجج والذرائع التى لوح بها إسماعيل باشا صدقى وضغوط بعض أعضاء مجلس الشيوخ اضطر النقراشى باشا أن يتمرد على صمته ويعلن فى

وعلى أثر ذلك تولت النيابة العامة التحقيق، وقد امثل أفراد الحاشية الملكية للتحقيقات فى سراى النيابة بعد الاتهامات التى لاحقتهم على يد الصحافة المصرية، بيد أن المفاجأة تمثلت فى قرار النيابة العامة الصادر فى ٢٨ مارس ١٩٥١ بحفظ التحقيقات فيما يتصل بأفراد الحاشية الملكية الذين كرمهم الملك فاروق بعد ساعات من القرار بأن أنعم عليهم بالأوسمة والنياشين إنصافاً لهم، ونكاية للصحافة المصرية وعلى رأسها إحسان عبد القدوس، لكن تكريم فاروق لم يمهله المشكلة حيث إن رأى العام يغلى إثر الهزيمة الساحقة التى منيت بها الجيوش العربية وعلى رأسها الجيش المصرى، والخيانة العظيمة التى تمثلت فى استخدام أسلحة فاسدة كانت السبب الأوحى فى هزيمة الجيش المصرى الذى كان يعد فى تقدير البعض من أقوى جيوش العالم العربى.

وأمام ضغوط رأى العام والمظاهرات الشعبية والمقالات الصحفية اضطر الملك فاروق أن يوافق على تقديم القادة الكبار الذين قاموا بشراء الأسلحة إلى النيابة العامة لامتصاص غضب الشعب الذى ثار وفار، وراح يتحدث دون وجل عن فاروق وفساده وإفساده وهزيمته الفادحة فى فلسطين على أيدى عصابات إجرامية.

وبالفعل تحولت القضية إلى محكمة الجنايات بقرار النيابة العامة فى أبريل ١٩٥٢، وقد ترأس المحكمة المستشار غالب بك عطية، وقد امثل المتهمين أمام هيئة المحكمة وكان على رأس المتهمين.

النيل عباس حليم.

وتوفيق أحمد باشا.

وأحمد بك بدر (أمير البحار).

واللواء إبراهيم بك المسيرى.

والقائمقام عبد الغفار عثمان.

وتكونت لجنة الدفاع عن المتهمين من السادة كبار المحامين:

الدكتور زهير جرانة.

وعلى بك الخشخاني.

وبسطا شكرى.

والدكتور محمد هاشم باشا.

وعبد الحميد عبد الحق باشا.

وزكى زادة.

وفى أثناء المحاكمة أدلى اللواء فؤاد صادق أبرز قادة الجيش المصرى فى حرب فلسطين حول واقعة الأسلحة الفاسدة بشهادته أمام هيئة المحكمة قائلاً بالنص:

«لقد منعت استعمال القنابل التى جمعت من الصحراء الغربية بناء على شكاوى جنودى أولاً، ثم بناء على التجربة ثانياً، وحين استعمل الجنود القنابل الجديدة عاد الجنود للشكاوى مرة أخرى فأجريت عليها تجربة أمام حشد هائل من الجنود.

وبعد لحظات من الصمت... قال اللواء صادق ساخراً: للأسف كانت القنابل تنفجر فى الهواء قبل وصولها إلى الهدف وكانت شظاياها ترتد إلى الخلف لتصيب راميها إذا لم يبادر بالاختباء، ثم مد يده وعرى أصابعه فى اشمئزاز قائلاً:

شظايا بسيطة.. حاجة كدة زى الألومنيوم^(١).

(١) عن نفس المصدر السابق

ثم سأله رئيس المحكمة : هل كانت التجربة الثانية على القبلة القديمة أم على الجديدة؟

أجاب اللواء فؤاد صادق: مفيش شك أن اللى استعمل أمامى القبلة الجديدة.

رئيس المحكمة: يمكن كانت القبلة ملفوفة فى ورقة وللا حاجة؟

اللواء فؤاد صادق: دى كلها اعتبارات لا تهم.

رئيس المحكمة: هل تعرف الضابط الذى قام بالتجربة؟

التفت اللواء فؤاد صادق لينظر فى قاعة المحكمة لتقع عينيه على شخص ضخم الجثة يدعى الصاغ فؤاد عاطف، وقال: أهه، هذا الضابط كان من أجسن وأكفا الضباط عندى يتميز بالكفاءة، وقد أدى واجبه كاملاً، وأنا أتمنى أن أرى أولادى زيه بالضبط، لكن أنا مش عارف أزاى كتب تقرير عن الأسلحة مخالف للواقع، وواصل رئيس المحكمة أسئلته على اللواء فؤاد صادق بقوله:

رئيس المحكمة: ألم تسفر التجربة عن أى نجاح؟

اللواء صادق: كل القنابل تقريباً انفجرت، وكانت تحدث صوتاً أثناء انفجارها يمكن كان المقصود تخويف العدو.

رئيس المحكمة: أو ربما كان الهدف أن تحدث خلخلة فى الهواء على حد تعبير الجماعة بتوع الذخيرة.

ابتسم اللواء فؤاد صادق ساخراً وراح رئيس المحكمة يسأله قائلاً :

رئيس المحكمة: يمكن تكون القبلة دى من القنابل الزمنية، واللا من القنابل الطرفية.

ابتسم اللواء صادق مرة أخرى وأردف يقول :

اللواء صادق: إننى أحسدكم على هذه المعلومات الكثيرة التى عرفتموها،
ثم تعالت طبقات صوته وصاح قائلاً:

أنا راجل عملى، والواقع أن الجنود أصيبوا من هذه القنابل وبعضهم
انفجرت فى يده، والدرس الذى تعلمته أن القنبلة لازم تصيب حاجة علشان
تنفجر، لكن اللى حصل أنها انفجرت من غير ما تصيب.

وهكذا مضت المحكمة العسكرية على هذا المنوال حتى تاهت الحقائق بين
فساد فاروق وعبث وجشع وإهمال قادة جيشه حيث لم يكن للوطن فى نظر
هؤلاء قيمة أو مكانه بل كان الهدف الأسمى لديهم هو كيفية التكويش على
خيرات هذا البلد ونهب ثرواته وسلب كنوزه، ولم يكن هناك مانعاً إذا تطلب
السييل إلى ذلك من قتل جنوده ودفنهم فى رمال فلسطين وكانوا أيضاً لا
يتورعون من ضياع فلسطين ما دام فى ضياعها ما سيعود عليهم بالنفع والخير.

* * * *

فاروق والاخوان المسلمين

بعد أن شاخت دولة الخلافة الإسلامية التي دأمتها العلل وأجهدتها الحيل، فأصبيت بالخلل ونالت بجدارة لقب «دولة الرجل المريض»، خصوصاً أثناء فترة حكم السلطان عبد الحميد الثانى، ففى فترة اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبينما كانت كفة الانتصار تميل وترجح لصالح قوات الحلفاء، فيما كانت كفة معسكر المحور ومن بينه تركيا تميل بشدة نحو الهزيمة، تمكنت أوروبا من تقطيع أوصال دولة الخلافة التى كانت مترامية الأطراف مرهوبة الجانب فى أرمنة المجد قبل أن توشك على دخول نفق الأزمنة الغابرة، ومن هنا تنازلت تركيا رسمياً لروسيا القيصرية عن عدد هائل من المقاطعات الغنية فى آسيا الصغرى، كما أجبرت على التنازل عن مصر، وعدن قبرص لصالح بريطانيا العظمى، ثم تنازلت لفرنسا عن تونس والمغرب والجزائر فى مرحلة سابقة، كما تنازلت لإيطاليا عن ليبيا، وقدمت صاغرة البوسنة والهرسك للنمسا، فضلاً عن العديد من مقاطعات منطقة البلقان^(١).

إذن تفتت الكعكة العثمانية وتوزعت على الفرقاء الغرباء لتغيب مع تلك الفترة الحالكة شمس الخلافة الإسلامية، ولتشرق على تركيا وما يدور فى فلكها شمس العلمانية، والتغريب والتقريب من الغرب الاستعماري على يد الزعيم التركى العلمانى القح كمال أتاتورك الذى سبقته ولحقته العديد من التيارات القومية والتغريبية واليسارية والماركسية فى محاولات جادة لتحل محل النزعة الإسلامية التى تعرضت لضربه قاصمة بفعل مخالب الاستعمار الغربى وعملائه وأذنا به الذين روجوا لأفكاره وعقائده.

(١) الدكتور محمد عمارة تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة (دار الهلال).

وما من شك أن اندثار دولة الخلافة الإسلامية، وزوال عرشها الذي كان في زمن ما قد أصاب الشعوب الإسلامية والعربية في مقتل رغم أنها هي التي قاست وكابدت وعانت من ظلم الأتراك وقسوتهم وخشونة طباعهم وعنجهيتهم، بيد أن هذه الشعوب ارتأت في تلك الأثناء أن جحيم الترك خير لها من نعيم الغرب، وذلك خوفاً منهم على الإسلام من أن يتعرض للبطش على يد الاستعمار الفاشم ومن والاه وباركه من أبناء الأمة، من هنا داعبت الخلافة أحلام العديد من الذين عانوا من غيابها، ومن الذين طمعوا في بريقها وجاهها وعزها ومجدها، ومن ثم كانت حلماً لا يفارق خيال الملك فؤاد، وقد ظل يناضل ويجاهد من أجله طويلاً وكثيراً وحتى ظل هذا الحلم مسكوناً في قلب فاروق وعقله ومشاعره وخلاياه حيث كان يحلم بأن يتولى منصب خليفة المسلمين على اعتبار أن دولة آل عثمان قد ولت، وأن دولة آل محمد على ما زالت تتصدر الأمة العربية، فضلاً عن كونه ملكاً أكبر البلاد العربية والإسلامية، ومن ثم فالتطريق بات معبداً ومفروشا بالورود في استقبال خليفة المسلمين لتعود قلعة صلاح الدين مقر الحكم ومركز الخلافة الإسلامية.

لقد كانت الخلافة بالفعل تراود وتداعب وتلهب خيال وأحلام الزعماء والعلماء والرموز الدينية وكل من أدمته سقوط دولة الخلافة.

كان الشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ رشيد رضا يطالبان بدعم دولة الخلافة ومحاولة إنقاذها من الانزلاق نحو الهاوية حتى سقطت وتهاوت ولم تعد لها قائمة.

وفي أواخر عشرينيات القرن المنصرم ظهر الشيخ حسن البنا رافعاً لواء الدعوة لتوحيد الأمة، وإحياء عصر الخلافة الإسلامية في القاهرة أو في غيرها.

وروى أن الملك فؤاد حين ترامت لمسامعه دعوة الشيخ حسن البنا تملكته الغبطة واحتوته السعادة والفرحة ظناً منه أن حلم الخلافة عاد يطل برأسه مرة أخرى، وقد بات وشيكاً، وراح يساعد الشيخ حسن البنا على استحياء ريشما تبين له الرؤية حتى جاء من همس له في أذنه ناصحاً غير أمين بقوله: أن الشيخ البنا سيسعى لتأسيس دولة الخلافة كي يتولاها بنفسه، وهو ادعاء لا يملك أحداً دليلاً على صحته، ومن ثم قد يكون هذا وارداً وقد لا يكون فربما، وهذا هو الغالب أن الشيخ البنا أراد إحياء الخلافة الإسلامية لوجه الله تعالى دون غيره بغض النظر عن أدواته ووسائله التي قد تتفق مع بعضها وتختلف مع البعض الآخر.

لكن ظل الشيخ حسن البنا يواصل دعوته وحركته التي انتشرت وتوسعت في مشارق الأرض ومغاربها حتى أن البعض زعم أن الإمام حسن البنا - رحمه الله - كان أحد الذين أخبرنا عنهم النبي ﷺ الذين يأتون على رأس كل مائة عام لتجديد الدعوة .

ولأن الشيخ حسن البنا قد تمكن من إنجاح حركته الدعوية، فمن المألوف أن يتعرض الرجل للسهام سواء كانت تنطلق من كنانة الباطل أو كنانة الحق للتأكيد على أهمية حركته وبواعثها ونشاطها وانطلاقها.

وحين تولى الملك فاروق العرش خلفاً لوالده الملك فؤاد سعى الإمام حسن البنا لتوطيد علاقته بالقصر الملكي لتحرير قيود حركته وتوسيع هامشها الذي كان يضيق أحياناً ويتسع أحياناً أخرى في عهد فؤاد، ومن جانبه رحب الملك فاروق بتوسيع الحركة الدعوية بعض الشيء على أن تكون تحت سمع وبصر البوليس السياسى.

لقد كان فاروق شأنه شأن والده يتطلع للخلافة ويحلم بعرشها، لكنه يعلم أن الإمام حسن البنا لن يهديها له أو لأسرته الفاسدة على طبق من ذهب، بل ينبغي إحقاقاً للحق أن تكون بين يدي الإخوان المسلمين الذين يقاتلون ويناضلون ويجاهدون من أجل إرساء قواعدها وتجديد عرشها وإحياء مجدها الذى ولى واندثر.

لكن على أثر خط والده كان فاروق يرتاب فى مستقبل جماعة الإخوان المسلمين ولا يتتظر من ورائها خيراً لعرشه أو ملكه، ومن ثم عاد بفعل الوشايات لخلق الحركة ومحاولة وأدائها، بعد أن كانت الحركة تعمل فى إطار شرعى من خلال تأسيس جمعية مشهورة برقم قانونى، ومن خلال صحف ومجلات على رأسها جريدة الإخوان المسلمين ومجلة الشهاب، أضف إلى ذلك العديد من المؤتمرات والندوات والحفلات الدينية سواء فى المناسبات التى تتعلق بالاحتفالات الإسلامية كالمولد النبوى أو الإسراء والمعراج أو النصف من شعبان أو ليلة القدر أو عيد الهجرة أو مناسبات عقد القرآن أو سرادقات العزاء حيث اتجهت الحركة فى كل مكان رغم القيود والأغلال التى كبلتها بها أنظمة فاروق خوفاً من توحشها ونموها وتعاضم دورها مما يؤدى إلى تهديد النظام الملكى مستقبلاً.

يذكر أن الملك فاروق كان لا يخشى من أحد قدر خشيته من الشيوعيين؛ حيث ظن أن نجاح ثوراتهم فى سوريا والعراق وتغلغلهم داخل أركان النظم العالمية قد يؤدى فى غضون سنوات إلى خلخلة وهشاشة عرشه إذا لم تتبهِ الأجهزة الأمنية لتحركاتهم، ويمكن القول أن خوف الملك من الشيوعيين أضيف إليه خوفه من الإخوان المسلمين بعد ذلك خوفاً على مستقبله، مع مرور الوقت تنامت قوة الإخوان المسلمين وراحت تكشر عن أنيابها وتعلن عن

وجودها بثقة وثبات، وانتشر شبابها في رحاب ومدرجات الجامعات وارتدى رجالها الياقات السوداء أو القمصان السوداء للتمييز عن قمصان مصر الفتاة والوفد الذي كان يتمتع بشعبية جارفة.

لم يكن حسن البنا من الذين يتسرب إليهم اليأس أو الشعور بالإخفاق بسهولة بل ظل الرجل يسعى ويجاهد ويناضل من أجل إعلاء شأن حركته والارتقاء بمكانتها بين القوى السياسية.

كانت الدولة في تلك الأثناء قد ارتضت بتأسيس جمعية الإخوان المسلمين واتساع هامش دعوتها على اعتبار أنها جمعية دعوية تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية وترسيخ قيم الإسلام ومبادئه وتقاليده وعاداته النبيلة الكريمة، بعيداً عن الخوض أو الاشتغال في العمل السياسي، ولكن سرعان ما انقلبت الحركة على أوضاعها الأساسية، وعلى اللوائح والقوانين المعمول بها، وراحت تدس أنفها في جميع الشئون السياسية، ومن ثم لفتت أنظار جميع القوى السياسية التي أدركت مغبة انشغال الإخوان وانخراطهم في العمل السياسي ومدى المخاطر الناجمة عن هذا التزاوج الذي لا يستقيم مع وجود أحزاب يسارية ويمينية، منها ما هو علماني ومنها ما هو حائر تائه لا يعرف له رأساً من قدم، لكنه ولمصالح متعددة راح يمارس السياسة إما من باب الواجهة أو من باب الاستغلال، وللإنصاف كانت أغلبها أحزاب هشة لا تعبر عن مشاعر الأمة، باستثناء حزب الوفد صاحب الشعبية الواسعة آنذاك.

وحين اندلعت شرارة حرب فلسطين أرسلت جماعة الإخوان المسلمين العديد من أفرادها للمشاركة في معارك الفدائيين ضد اليهود، بل والإنجليز في القناة شأنها في ذلك شأن جميع الأحزاب والقوى السياسية التي لم تكن تدخر جهداً في إرسال رجالها المتطوعين لحماية الأمة ونصرة الوطن.

ولأن مشاركة الإخوان في حرب القنّاة وفلسطين كان يتطلب بالضرورة السعى لحمل السلاح فقد توافرت الذخيرة لدى الجماعة وانتشرت الأسلحة بين قادتها حتى أن الحلف على المسدس والمصحف كان أحد أهم خطوات الانضمام إلى الجماعة.

أريد أن أقول أن وفرة السلاح لدى أفراد الجماعة مع عقيدة راسخة وشعار يرمز لسيفين متقاطعين وآية تشير إلى أهمية الجهاد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ صدق الله العظيم، وخطب حماسية وأناشيد تدق القلوب والعواطف بعنف، فقد اتجهت الحركة إلى مسار آخر بعيداً على الأقل عن مسار الجمعية الشرعية التي تعتمد على نشر الدعوة والإنفاق على الفقراء، وراحت الجماعة على أثر ذلك تسعى لنشر أفكارها من خلال الاستناد على قوة أثارت مخاوف البعض، وقد تجلّى ذلك في تأسيس النظام الخاص السرى الذي كان يقوده عبد الرحمن السندى الذى راح يرتكب العديد من حوادث العنف لخصوم الجماعة أو أعداء الوطن أو حتى أعضاء الجماعة الذين انشقوا عنها، وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ سيد سابق صاحب الكتاب الجميل (فقه السنة) حيث كان الرجل عضو بالجماعة وحين أبدى اعتراضه على سلوك النظام السرى الخاص، ولم يجد حينئذ أذانا مصغية قرر الخروج عن الجماعة والعمل في مجال الدعوة بمفرده، مما اضطر النظام السرى الخاص أن يبعث إليه بقبلة داخل علبة حلوى بمناسبة المولد النبوى للإجهاز عليه لولا عنايه الله حيث كان الشيخ خارج بيته، وحين أخبرته زوجته بأمر العلبة التى أرسلتها الجماعة صاح فى وجهها عبر جهاز التليفون ألا تقترب منها حيث أدرك بذكائه أنها تحتوى على عبوة ناسفة للتخلص منه خاصة أنها طريقة اتبعتها الجماعة مع خصومها وأعضائها المنشقين واشتهرت بها بين الجميع.

وحين قضى القاضى الخازندار بالحكم على عدد من أعضاء الجماعة الذين ارتكبوا العديد من الحوادث الإرهابية قام الجهاز السرى للجماعة بالتخلص منه وهو القرار الذى تم تنفيذه بالفعل ليلقى القاضى الخازندار مصرعه على أيدى رجال النظام الخاص.

وتعددت الحوادث التى ارتكبها النظام الخاص حتى أن البعض قد أكد فى مذكراته أن النظام قد خرج عما هو مرسوم له وانحرف بعيداً عن المسار الذى حدده له الإمام حسن البنا، وأن الرجل لم يعد يملك القدرة على كبح جماح عبد الرحمن السندى ورجال النظام الخاص، وربما أن محمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر ووزير داخلية قد تنبه إلى خطر النظام السرى واكتشف أن الإمام البنا لم يعد بمقدوره قيادة الجماعة على النحو الذى تأسست من أجله، ومن ثم قرر حل الجماعة لخروجها عن القانون الأهلى ولا ارتكابها العديد من الحوادث.

وفى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى قراراً يقضى بحل الجماعة وإغلاق مقراتها، وحظر أنشطتها على جميع المستويات، ولأن الجماعة قد توحشت وطالت أظافرها وتضخمتم أنيابها، فقد قررت عدم الانصياع لقرار الحل بل والتخلص من رئيس الوزراء النقراشى باشا عقاباً له على إصداره مثل هذا القرار.

بالطبع كان الملك فاروق قد ارتاح لمثل هذا القرار حيث ساء كثيراً ما نقل إليه عبر حاشيته من تعاضم دور الإخوان وانتشارهم فى طول البلاد وعرضها انتشار النار فى الهشيم، وهو ما شجعه على الموافقة الضمنية على قرار النقراشى الرامى لحل الجماعة.

وفى أعقاب صدور هذا القرار لقى النقراشى باشا مصرعة أمام مصعد وزارة الداخلية على يد الشاب محمود عيسوى طالب الطب البيطرى، وكان الحادث

مروعاً ومفزعاً أدى إلى تصعيد حدة الغضب والسخط نحو الجماعة ومرشدها الذى تنبه بدوره إلى غروب شمسهِ التى أوشكت على الغروب بالفعل بعد هذا الحادث، وهو ما دعاه إلى إعلانهِ المتكرر من خلال الصحف بقوله معلقاً على قتل النقراشى : «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» وقد ردد هذه العبارة ظناً منه أنها ربما تشفع له لدى القصر الملكى الذى كان يتميز غيظاً ويعتصر أماً على ما آلت إليه جماعة الإخوان المسلمين .

وفى ١٢ فبراير ١٩٤٩ كان مرشد جماعة الإخوان المسلمين على موعد مع الموت حيث كانت السرايا قد قررت الانتقام والأخذ بالثأر من المرشد وجماعته، ومن ثم أسند الملك فاروق رئاسة الحكومة إلى إبراهيم باشا عبد الهادى الذى اشتهر بقسوته ودمويته وكراهيته الشديدة لجماعة الإخوان، ومع وصوله إلى رئاسة الحكومة أصدر أوامره بالقاء القبض على أعضاء الجماعة دون شفقة أو هوادة، ثم قرر بالاتفاق مع الملك فاروق التخلص من الشيخ حسن البنا فى رسالة عاجلة وجلية للجماعة أن العنف سيرد عليه بعنف أشد وأقسى، وفى مساء هذا اليوم وأمام جمعية الشبان المسلمين بشارع رمسيس حيث أمطره مجهولون بوابل الرصاص فأردوده قتيلاً رغم الجهود التى بذلها أطباء القصر العينى فى إجراء الإسعافات الأولية، ولكن كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة كثرمن لمغامرة الجماعة وانزلاقها فى دوامة العنف واغتيالها لمحمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر ووزير داخليتها، والذى كان يتمتع بشعبية جارفة لدى قطاعات واسعة داخل الشعب المصرى .

ومنذ تلك الحادثة - اقصد حادثه مقتل النقراشى - والجماعة تتعرض للاضطهاد أحياناً والقبول والرضا فى بعض الأحيان من قبل النظام الحاكم على مختلف أنواعه .

وربما أخطأت الجماعة كثيراً في جنوح جهازها الخاص لارتكاب العديد من الحوادث الإرهابية وربما شرعت في الانزلاق نحو الجبهة السياسية قبل أن تكتمل حلقات دعوتها التي كان مخططاً لها في الأساس، وربما دفعت الجماعة ثمناً غالياً لجهلها الشديد بالأوضاع السياسية، وكيفية التعامل معها، فضلاً عن فقرها الشديد في الخطاب الإعلامي لدى صانع القرار السياسى فى مصر .

وفى اعترافاته الخطيرة يقول أحمد كمال الرجل الثانى فى النظام لجماعة الإخوان المسلمين فى حوار لجريدة الوطنى اليوم بتاريخ ١/٩/٢٠٠٦ .

«كان هناك مشروع لتهديب محمود زينهم وحسن عبد الحافظ اللذين نفذوا عملية اغتيال القاضى أحمد الخازندار وكانا محبوسين فى سجن مصر، لكن العملية فشلت، وهناك محاولة أخرى قام بها أعضاء النظام الخاص خارج السجن لاغتيال خليفة النقراشى إبراهيم باشا عبد الهادى رئيس الوزراء لكن العملية أصابت هدفاً خاطئاً هو حامد جودة باشا رئيس مجلس النواب حيث انتظره الإخوان وعندما مر موكبه فتحوا عليه النار، ولكنه لم يصب لأنه ارتقى فى أرضية السيارة.

ويضيف أحمد عادل كمال، أخطر أعضاء النظام الخاص قائلاً فى اعترافاته: منذ عام ١٩٤٠ والعمليات والتدريبات تتم دون أن يعلم أحد- أى عن النظام الخاص- ولكن مع حادثة السيارة الجيب والمضبوطات، وما كتب وقتها فى الصحف بدأ اسم النظام الخاص يظهر، فصدر أمر عسكرى بعدم نشر أى شىء عن هذه القضية، وكان النظام الخاص فى هذا الوقت أكبر قوة مسلحة داخل الجماعة رغم أن الجواله كانت فى البداية تسمى الجناح العسكرى للجماعة الذى يقوم على تربيته الطلبة تربية خشنة وعمل معسكرات فى الصحراء.

ويضيف الرجل الثانى فى النظام الخاص للجماعة أحمد عادل كمال فى
مجمل اعترافاته الخطيرة : كما كانت تقوم باستعراض كبير فى المناسبات العامة
لاستعراض قوة الأخوان وكان يشرف عليها سعد الوليلي مسئول الجواله وكان
معه أيضاً حسين كمال الدين وعبد الغنى عابدين .

* * * *

فكرة اغتيال الملك فاروق

ما سبق يمكن قبوله على نحو أو آخر أما الفقرة القادمة فهي تستحق الدراسة والتأمل خاصة وأنها تكشف النقاب عن واحدة من أهم وأخطر عمليات الإخوان المسلمين منذ نشأتهم حيث يعترف أحمد عادل كمال بعزم الجماعة اغتيال الملك فاروق وهو ما يشير إلى أن الجماعة لم تكن تتهج العنف نحو الأجانب فقط ، لكنها كانت تمارسه نحو رموز السلطة في مصر، وربما كان ذلك ضمن الأسباب التي دعت الشيخ سيد سابق الفقيه والعلامة للخروج عن الجماعة بعد أن اكتشف ميلهم وجنوحهم لممارسة العنف، وهو ما لا يتواءم مع معتقداته وآرائه وأفكاره ومنهجيته على أية حال هيا معاً نتأمل ما ورد على لسان الرجل الثانى فى النظام الخاص فيما يتعلق بمحاولة الجماعة اغتيال الملك فاروق.

يقول الرجل : «لقد بدأ النظام الخاص يفكر فى اغتيال الملك فاروق باعتباره عائقاً أمام الجماعة وضد تقدمها وعاملاً خطيراً فى تعقبها، وبالطبع هذه المحاولة لم تتم لظروف كثيرة».

هذه الاعترافات تجسد بصدق وواقعية شكل العلاقة وجوهرها بين الملك فاروق وجماعة الإخوان المسلمين دون أن نعلق بأكثر مما سبق وإن علقنا .

* * * *

« من نصر الملك فاروقا فقد نصر الحق ونصر الأمة، ومن
تولى فعليه لعنة الحق ولعنة الأمة!!!»

الأديب العملاق

عباس محمود العقاد

رجال الملك أحمد حسنين

ستظل شخصية أحمد حسنين ماثار جدل وخلاف حول حقيقة دوره فى بناء وإعداد وتجهيز الملك فاروق منذ نعومة أظفاره، وسيظل اسم هذا الرجل محور العديد من المناقشات والقضايا والمسائل والأزمات التى دارت رحاها داخل أسوار القصور الملكية.

ولعل الحديث عن الملكة الأم نازلى يستدعى بالضرورة الحديث العفوى عن أحمد حسنين الذى قيل إن علاقة غرامية عنيفة ربطت بينهما عقب وفاة الملك فؤاد، وإن هذه العلاقة توجت بورقة زواج عرفت زعم البعض أنها من ابتكار وصنع فاروق حفاظاً على ماء وجهه بعد أن تسربت أنباء العلاقة الساخنة بين والدته وأحمد حسنين حتى فاحت رائحتها وزكمت الأنوف من عفونتها.

وبالطبع إذا ما ورد ذكر أو مجرد قول عابر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أطل أحمد حسنين بشحمه ولحمه بوصفه البطل والمنقذ والمخلص والمتسبب فى هذا الحادث حيث أكد البعض أنه كان وراء إصرار الملك على رفض الشروط البريطانية.

على أية حال كان أحمد حسنين وسيظل شخصية مثيرة للتأمل وتستحق الدراسة والبحث والتحرى لدوره البارز والخطير فى إدارة شؤون القصر الملكى منذ عهد فؤاد حتى عهد فاروق الأول والآخر.

لقد شهد حى بولاق أحد أشهر الأحياء الشعبية بالقاهرة عام ١٨٨٩م مولد الطفل أحمد محمد حسنين البولاقى (نسبة إلى حى بولاق)، وقد كان والده

من علماء الأزهر الشريف، وهو حفيد أحمد حسنين باشا شهبندر أو أمير التجار في مصر القديمة، وقد أتم الحفيد حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم في طفولته، فضلاً عن اهتمامه المبكر بحفظ العشرات من قصائد الشعر العربي والإسلامي.

ولعل بساطة أحمد حسنين وبشاشة وجهه وتواضعه رغم مكانته المتميزة والمرموقة والرفيعة هي التي أدت إلى تزايد شعبيته ومحبة الجميع له، خاصة الخصوم والذين يخالفونه الرأي والرؤية، ومن ثم اشتهر أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي بحرصه الشديد على التردد على أهالي حي بولاق الذي شهد مولده ونشأته وترعرعه دون تكبر أو صلف.

[وفي كتابه (الأميرة فتحية ورياض غالي) حب حتى الاغتيال] يقول الأستاذ محمود فوزي في صفحة ١٩:

لقد تعلم أحمد حسنين في أكسفورد وحين سئل:

- لما اختار إنجلترا بالذات لكي يتعلم فيها؟

أطلق عبارته المشهورة:

لكي أتعلم كيف أحاربها حين أعود إلى وطني!

ولقد أعجب اللورد ملز بهذه الفصاحة الوطنية التي جاءت على لسان شاب مصري يحب بلاده وكتب توصية إلى عميد الكلية يقول له فيها: [أقدم لك عدواً صغيراً من أعداء بريطانيا العظمى أرجو أن يتحول على أيديكم إلى صديق كبير].

والتحق أحمد حسنين بالجامعة البريطانية العريقة، ثم لمع نجمه في سمائها حتى نجح في الحصول على شهادة التخرج عام ١٩١٤، ثم أعقب ذلك توليه

عدة وظائف حيث التحق فى عام ١٩٢٠ بالعمل مساعد مفتش بوزارة الداخلية وأثناء عمله بها تم انتدابه مفاوضاً فى المباحثات مع إيطاليا فيما يتعلق بتسوية النزاع حول ترسيم الحدود الغربية، وذلك فى مطلع عام ١٩٢٤ .

فى نفس العام بعد نجاحه الملموس فى مفاوضات الحدود تولى وظيفة أمين القصر الملكى فى عهد فؤاد، وبعد نجاحه فى إتمام المهام الموكولة إليه شغل منصب رئيس الديوان الملكى ثم أسند إليه نفس المنصب فى عهد الملك فاروق . واشتهر أحمد حسنين بغرامه وولعه بأدب الرحلات والكشوف الجغرافية، وقد أشرف الملك فؤاد وأغدق على رحلاته الجغرافية بالمال والمؤن تقديراً لعشقه لهذه الهواية حتى أنه تمكن بدعم ومؤازرة من فؤاد أن يجوب صحراء مصر الغربية بدءاً من ساحل البحر الأبيض وحتى دارفور (جنوب السودان) وقد نجح فى كشف النقاب عن منطقة العوينات التى أصبحت الآن مصدراً من مصادر القمح وغيره من الزراعات، وقد كان له دور بارز ومعروف فى اكتشاف أغلب مناطق الصحراء الغربية المترامية بين مصر وليبيا وقد كرمته إنجلترا وأمريكا وفرنسا فى احتفالات مهينة تسلم من خلالها العديد من شهادات التقدير والميداليات الذهبية، كما كرمته الجمعية الجغرافية البريطانية فى حفل كبير منحه من خلاله لقب (رحالة عظيم).

واشتهر أحمد حسنين باشا أيضاً بعشقه لهواية الطيران حتى أنه قام بشراء طائرة خاصة وقادها بنفسه من لندن عائداً بها إلى القاهرة فى طريق عودته سقطت لعطل مفاجئ أصاب محركها، وكتبت له الحياة مرة أخرى ولم يأس كعادته، ومن ثم قرر معاودة التجربة والمخاطرة مرة ثانية واشترى طائرة ثانية، وفى أثناء عودته بها سقطت أيضاً وراح فى تحدى بالغ وغريب يشترى الطائرة الثالثة وقد سقطت به هى الأخرى فى إيطاليا، وفى هذه المرة تعرض لإصابات

بالغة وخطيرة كادت أن تهلكه وتقضى عليه لولا عناية الله حيث انتقلت أجهزة الطوارئ الإيطالية لإسعافه ونقله إلى أقرب مستشفى لإنقاذه وقد أثار دهشة الأطباء حين انتصب واقفاً بعد ساعات من الحادث.

وفى تجربته الرابعة المثيرة يعلق الأستاذ محمود فوزى قائلاً فى كتابه الذى أشرنا إليه : «رغم ما حدث لم يقلع أحمد حسنين عن إدمانه المستميت وعشقه الأبدى للطيران، فاشتري طائرة رابعة وصعد الخير الإنجليزى لتجربتها، ولكنها احترقت به فى الجو وعاد إلى الإسكندرية بالسفينة».

وقد عُرف أحمد حسنين باشا أيضاً بمهاراته وتفوقه فى لعبة (الشيش)، ومن ثم كان رياضياً ذائع الصيت حتى تربع على رئاسة النادى الأهلى المصرى، ورئاسة نادى السلاح الملكى، ورئاسة الفريق المصرى فى الألعاب الأولمبية التى أقيمت فى بلجيكا عام ١٩٢٠، أضف إلى ذلك علاقاته الثرية مع رموز المجتمع المصرى سواء فى مجالات الفن وحملة لوائه ومشاعله التى أنارت الدنيا بعد ظلمها وظلمتها.

فالعقاد صاحب المدفع الثقيل الذى دك حصونا وقلاعاً وجسوراً ومتاريس يتحدث عن لقاء جمعه بالملك فاروق قائلاً: [إننى لم أسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجلاء طلعة الملك عن كُتب والإصغاء إلى جلالته على انفراد فى جو لا مثيل له بين أجواء اللقاء والحديث لأنه جو الملك والديمقراطية ممثلين فى شخصه الكريم أجمل تمثيل مجتمعين فى سماعه وكلماته وإرشاداته أحسن اجتماع، لقد سمعت فى هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف وكلام وطنى غيور وكلام محدث ظريف وطاف بخاطرى ذكر الإيمان وذكر الوطن^(١).

(١) عصر ورجال للأستاذ فتحى رضوان ٢٣٨.

وهكذا دبج العقاد سلسلة مقالاته المثيرة للدهشة عن الملك فاروق الذى أخفى عليه ما لم يفلح فيه كريم ثابت ضحية أقلامنا وكبش الفداء لأصحاب القلم الذين حملوه مسؤولية تضخيم ذات فاروق.. كيف تسنى لهؤلاء الهجوم على اللبائى القح وتلطيح سمعته التى أظن أنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك، وغض البصر عما نشره العقاد وغيره من رموز الفكر والسياسة والأدب المصريين.

لقد أصبح فاروق كما يقول العقاد مرشدا ومتحدثا ظريفا ولبقا وكريما، بل إن فاروقا كما قال العقاد فيلسوف ووطنى غيور، وإنه أى العقاد كان سعيدا لهذا اللقاء الذى جمعه بالملك لأن اللقاء قد تم فى جو من الديمقراطية وما أروعها حين تجتمع مع الملك فى آنٍ واحد!! (طبعاً.. علامات التعجب والدهشة والاستغراب من عندى!! آمال من عند الأستاذ أنيس منصور مثلاً).

وعندما أعلن القصر الملكى نية الملك فاروق فى الزواج من الأنسة ناريمان صادق بعد طلاق زوجته الأولى فريدة ذو الفقار راح الأستاذ العقاد يعلق على تلك الزيجة قائلاً فى صدر صفحات مجلة الهلال عدد مايو ١٩٥١ (!!):

«تشاء العناية لصاحب عرش مصر أن يرعى سنة الديمقراطية ويحدد سنة الإسلام باختيار ملكة شعبية من كريمات شعبه فلا حاجز من حواجز النسب بين الراعى والرعية، ولا محل لهذه الحواجز فى المجتمع كله بعد ارتفاعها بين بيت الملك وسائر البيوت المصرية، وإنها لسنة محمدنا الأمم فى كل أونة أو الرياضة أو الدين أو العلوم أو الآداب».

كان أحمد حسنين باشا متزوجاً من السيدة الفاضلة لطيفة سيف الله يسرى باشا، وهى ابنة الملكة شويكار زوجة الملك فؤاد الأولى. وشقيقة وحيد باشا يسرى الذى كان على خلاف شهير مع فاروق فيما بعد.

والواقع أن أحمد حسنين كما أشرنا شخصية جذابة مثيرة للإعجاب والاحترام خاصة وأن الرجل قد تميز بالعفة وطهارة اليد وحسن الخلق والتواضع.

ولعل السمات والصفات الحميدة والكريمة والبطولية والشجاعة التي اشتهر بها الرجل قد جذبت إليه رموزاً من سيدات المجتمع الأمر الذي أثار غيرة زوجته وشكوكها مما اضطرت لطلب الطلاق إنهاءً للخلافات التي تنشب بينهما كل يوم بسبب الوشائيات التي حملها بعض خصوم أحمد حسنين، خاصة فيما تردد عن علاقة غرامية تربطه بالمطربة أسمهان، ثم ما نشر فيما بعد حول علاقته العنيفة مع الملكة نازلي أرملة الملك فؤاد ووالدة الملك فاروق، والتي قيل إنها أحبتة إلى حد الجنون حتى أخبرته بعزمها على التضحية بالتاج والجاه والنفوذ والهرب معه إلى حيث يريد تفادياً لمعارضة فاروق واحتجاج الأمة وسخط الأسرة العلوية.

وقيل إن فاروقاً قد فاجأ والدته مع أحمد حسنين في مشهد غرامي أثار حفيظته حتى زعم الرواة أنه اضطرب أمام هول ما رأى أن يصفع أحمد حسنين باشاً صفة قوية على وجهه، ثم بدأ مخطط التخلص منه وذلك بقتله والقضاء عليه تحت عجلات لورى شرطة بريطانية على كوبرى قصر النيل، وذلك عام ١٩٤٦ عن عمر يناهز ٥٧ عاماً.



ولقد كان أحمد حسنين هو الذى تولى رعاية وعناية الصبى فاروق بإيعاز من والده فؤاد الذى كان مفتوناً بشخصية أحمد حسنين المثيرة للإعجاب، وقد ظل أحمد حسنين ملازماً لفاروق كظله حتى عام ١٩٤٦، وكان هو المحرك الأساسى والموتور الوحيد لفؤاد ومن بعده فاروق والعقل المدبر للقصر الملكى

والمستشار السياسى والاجتماعى للملك، وصديق الأسرة والاب الروحى لجميع أفرادها، ونصير الفقراء، ولكن كل هذه المزايا تحطمت على صخرة الكراهية التى حملها فاروق له فى صدره إيماناً منه بأن الرجل الذى منحه ثقته ووهبه عقله قد خدعه وخانه وغدر به وانتهك عرضه واستباح كرامته، ومن ثم لم يعد هناك مبرر لبقائه على قيد الحياة حيث كان رمزاً للإهانة والفضيحة التى ذاع صيتها فى أنحاء البلاد وطاردت فاروقاً حتى الممات.

* * * *

كريم ثابت

رغم أن جذور عائلته تغوص في أعماق التربة اللبنانية، ورغم موهبته الصحفية التي كانت لا ترقى بحال من الأحوال إلى مستوى البعض مما كانوا يحاولون الاقتراب من أسوار القصر لكسب رضا الملك والفوز بعطفه، فقد أضحي بشكل مفاجئ ومريب المستشار الصحفي الأوحـد للملك فاروق رغم أنف الجميع.

كان فاروق يعرف كريم ثابت من خلال مقالات المديح والإطراء والتزلف والنفاق التي كان يصوغها كريم للملك أملاً في الوصول إلى قلبه والتقرب منه والانحناء أمامه والاستحواذ على مشاعره ومزاحمة حاشيته لعل نجمه يلمع وقلمه يبدع قبل أن يجف أو يقصف بوشاية من هذا أو بضغط من ذاك أو قبل أن يتزوى في دائرة النسيان فيصبح نكرة لا يبالى بها أحد ولا يسمع عنها ذكراً.

لقد التقى فاروق مع كريم ثابت للمرة الأولى في بهو فندق كراكت بمدينة أسوان عام ١٩٤٢ وتم التعارف المباشر بينهما وراح كريم يضع الخطّة تلو الأخرى لملاحقة الملك ومحاصرته بذكاء وبمهارة دون أن يبدى له تلهفه وتشوقه لرغبته في بناء جسور المودة والصداقة معه. الأمر الذي دفع الملك لاستدعائه كلما رآه في مكان عام في مدينة أسوان للتحدث معه وسماع رأيه ظناً من الملك أن اللقاء جاء على سبيل المصادفة، ولم يكن بترتيب وإعداد وتجهيز من كريم ثابت.

* * *

صحيح أن البعض قد صب جام غضبه على شخص كريم ثابت بوصفه رمزاً للنفاق والتدليس والتزلف وتضخيم وتأليه ذات الملك وتقديسه من خلال مقالاته الشهيرة حول شخصية فاروق العبقريّة التي نشرها كريم بعناوين مختلفة

كانت تنضح بأبشع صور المداهنة في صدر صفحات جريدة المقطم التي كان يعمل بها آنذاك، وقد خلع على الملك أوصافاً من عينة. الديمقراطية الأول، المؤمن الأول، الوطني الأول، الرياضي الأول، الإنسان الأول، العالم الأول، المحسن الأول، الفارس الأول، السباح الأول، الطيار الأول، القبطان الأول.

وغير ذلك من الأوصاف والألقاب التي صاغها كريم ثابت، والواقع أن كريماً كان اسماً على مسمى حيث أغدق على الملك بصفات وسمات لو صدق في واحدة منها لتغير وجه الحياة في مصر أثناء عهد فاروق ولكني وبصراحة لا أستطيع أن أشير بأصابع الاتهام كما أشار البعض صوب كريم ثابت في تلميع صورة الملك وتجميع مزايا ما أنزل الله بها من سلطان على جلالته، بل كان الملك معروفاً بين الجميع أنه جبان وبخيل ولم يستطع استكمال تعليمه، وكان يضيق بالنقد وناقد الصبر، وكان رياضياً بارعاً على موائد القمار فقط، ولم يكن يصلي سوى في المناسبات الدينية حتى أن بعض أصدقائه أكدوا أنه كان يتوجه من مائدة القمار داخل نادي السيارات إلى مسجد الرفاعي لأداء صلاة العيد بعد استدعاء البدلة الرسمية لارتدائها لأداء الصلاة أمام الجماهير بوصفه الملك الصالح والملك المؤمن.

الشاهد أنني كما أشرت لا أميل إلى توجيه أصابع الاتهام إلى كريم ثابت وحده خاصة فيما يتعلق بأرائه ومقالاته ومدحه ونفاقه الرخيص حيث من المتعذر على رجل لبناني الأصل ومن أبرز وأشهر العائلات المسيحية في لبنان أن يرفع راية المصارحة والمكاشفة والشفافية لملك بلاد لا يعتر بالانتماء إليها حيث نوه أكثر من مرة في مذكراته بأصالته اللبنانية العريقة، وهو رأى ينبغي تقديره واحترامه بينما عكس ذلك يعد في مخيلتي ضرورياً من ضروريات الأوهام والمستحيات.

والمعنى من وراء هذا الطرح أننى لا أريد أن اتحامل على كريم ثابت المهاجر الغريب إنما اللوم كل اللوم على رموزنا الثقافية والأدبية والتنويرية التى أسست مدارس لا تزال تلاميذها ينهلون من منابعها وآبارها حتى الآن.

ثم من هذا الرجل الذى يدعى كريم ثابت، وما هى مشروعاته الثقافية والحضارية والأدبية حتى نقف جميعاً أمامه ونكيل له الذم والشتائم ثم نغض الطرف عن أساطين الكلمة وقلاع العلم والأدب فى مصر لمجرد أننا نحمل لهم إعجاباً وإحتراماً لما قدموه . صحيح أنه لا ينبغي أن نهيل التراب على كل أعمالهم المتميزة وإبداعاتهم الرفيعة أو ندين تاريخهم ونشوء تراثهم، لكننا يجب أن نقف أمام بعض سلبياتهم وأخطائهم لتساءل كيف ولماذا ولمصلحة من؟ .

وحتى لا أطيل فى تلك المقدمة فإننى بصراحة أقصد فحول الشعر والأدب والصحافة فى زمن فاروق الذين نفخوا ذاته من روح أقلامهم ومدادها العفن حتى تكور الرجل وترهلت ذاته ظناً منه أنه طراز فريد يندر وجوده، وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا تأملنا بعض ما ورد فى كتابات الأستاذ العظيم عباس محمود العقاد حول فاروق لتأكد لدى كل منا أن كريم ثابت ذلك الشخص المتواضع برئء براءة الذئب، ربما يدفعك ذلك للدهشة حين تتأمل عبارة الأستاذ العقاد النارية التى ألقى بها فى مجلس النواب وتعرض بسببها للسجن تسعة أشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية، وقد كان المقصود بتلك الذات الملك فؤاد الذى قصده العقاد، بعبارة الشهيرة «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد لصيانة الدستور وحمايته» أكرر قد تملك المرء الدهشة من قائل تلك العبارة الجريئة أنه هو نفسه الذى صاغ قصائد المديح والإطراء لشخص فاروق، ثم سرعان ما دك حصونه الهاوية بنيران مدفعيته بعد رحيله عن البلاد، وبعد اندلاع ثورة الضباط الأحرار.

ولكن ما صاغه العقاد فى شخص الملك فاروق يستحق وقفة جادة وحرصينة خاصة أن العقاد قلعة من قلاع الكلمة العربية المعاصرة ورمز من رموز الأدب وعامود من أعمدة السياسة ومدرسة أفرخت أجيالاً من النوابغ لا تنتهى حتى الآن، ومن ثم يحار المرء حين تقع عيناه على مثل هذه الكتابات التى صاغها وخطها ورسمها قلم الأستاذ العقاد ومنها مثلاً «من نصر الملك (فاروق) فقد نصر الحق ونصر الأمة ومن تولى فعليه لعنة الحق ولعنة الأمة!!» و(علامات التعجب من عندى طبعاً)^(١).

وهى عبارة أذهلت خصوم العقاد قبل عشاق قلمه وتلاميذه وأنصاره ومحبيه، ومن الأسف أن مدح العقاد لا يتوقف على تلك العبارة البليغة والمريية التى كان ينبغى على العقاد أن يتفوه بها خاصة إذا كان المقصود بها ملك من ملوك الدنيا وزيتها ومباهجها وطواغيتها، وكأن العقاد كان على أعتاب عبقرية جديدة يصوغ حروفها من شخصية فاروق تضاف إلى عبقرياته الخالدة التى رسمها بريشة فنان مبدع عن النبى الكريم - صلوات الله وسلامه عليه وصحابته- ولكنها أحمد ما تكون عندما تثار حرب الطبقات كما تثار اليوم بين أرجاء العالم على ألسنة طلاب الفتنة ودعاة الرقعة فلا تنهض لهؤلاء الدعاة حجة حيث يتصل النسب من العرش إلى بيوت رعاياه، ومن هذا العنوان الساطع تسرى القدوة الحكيمة إلى صفحات الكتاب كله فلا تدع فيه بمشيئة الله حاجزاً بين طبقة وطبقة ولا بين عامل وعامل فيما يستحقون..

قد يندهش القارئ من علامات التعجب والاستغراب التى وضعتها بجانب عام ١٩٥١، والحقيقة أننى لم أضعها اعتباطاً أو إفراطاً شأن أصحاب القلم الذين يضعونها فى غير موضعها فى أغلب الأحيان.

(١) أوراق العمر سنوات التكوين للدكتور لويس عوض ص ٤٨٦ مكتبة مدبولى.

لكننى عندما أشير بعلامة التعجب إلى عام ١٩٥١ ، فهو يعنى عندى نفى حجة مداحين الملك الذين تراجعوا بعد ثورة الضباط والعسكر متذرعين بأنهم كانوا مأخوذين ومبهورين بشخصية الملك فى مستقبل سنوات حكمه حيث كان نقياً تقياً طاهراً عفيفاً كريماً ودوداً كما زعموا وادعوا، ومن ثم فإن عام ١٩٥١ وإصرار الأستاذ العقاد وغيره من الشوامخ على مدح الملك فهو يبرهن على أن افتتان هؤلاء بفاروق وشخصيته وسلوكياته لم يكن مقتصرأ على سنوات حكم فاروق الأول، بل إن شئت الدقة امتد إلى نهاية حكمه.

دعك من مزاعم تلاميذ الأستاذ العقاد وإدعائهم أنه كان مضطراً إلى أن يقول ما قاله لأنه أصبح مرتبطاً بالحزب السعدى الذى كان يعتمد كل الاعتماد على الملك فاروق والقصر الملكى، وقد تعرض العقاد لكثير من اللوم بسبب مدحه للملك فاروق وهو لوم فى موضعه خاصة وأن العقاد صاحب تاريخ وطنى عظيم وكان الأمل من ألا يسقط فى بعض ما كتبه، والذى يصفه البعض بأنه ليس سوى نوع من أدب النفاق لا أكثر ولا أقل^(١).

والغريب أن قلم العقاد لم يكتفِ بمدح الملك فاروق ثراً، بل أصر على أن يطريه ويطريه شعراً حيث أصدر ديوانه الشهير «بعد الأعاصير» عام ١٩٤٧ أى بعد مرور أكثر من عشر سنوات من حكم فاروق، وقد كتب يقول عن فاروق وضمير القصيدة عائد إلى مصر:

وما اتخذت غير فاروقها	عمادا يحاط وركناً يؤم
ولا عرفت مثله فى العلا	صديقا يشاركها فى القسم
فدته البلاد وفدى البلاد	بعالى التراث وغالى القيم

* * * *

(١) العقاد يمدح الملك فاروق مقال منشور للأستاذ الناقد الأدبى رجاء النقاش ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٦.

هل يتحمل كريم ثابت الصحفى اللبنانى تكبير وتضخيم وتلميع وتزويق وتجميل وتحسين وترميم صورة لوحة فاروق، وقد كان صاحب قلم متواضع لا يجذب إليه أحدا ولم يتعلمذ على يديه كائناً من كان كما لم يكن فى قمة العقاد وإن وقف على رهوة أعلى جبال الدنيا، ولم يكن فى مكانته وإن رافق ملوكها وأباطرتها.

أما أغرب ما فى هذه المسألة أن الأستاذ العقاد قد استاء من فاروق الذى حجب عنه لقب الباكوية والباشوية التى أنعم بهما على أناس كثيرين لا يستحقون أيّاً منهما، خاصة الذين شنوا هجوماً عنيفاً على حزب الوفد إرضاء للملك، ولأن العقاد كان رأس مهاجمى حزب الوفد فقد انتظر طويلاً الحصول على هذه الرتبة، بيد أنه أدرك أن الملك لن يمنحه إياها حيث لم ينسَ جلالته إساءة الأستاذ العقاد لوالده الملك فؤاد الأمر الذى أثار غضبه وحنقه وحفيظته.

ومما يزيد من الدهشة فى أمر الأستاذ العقاد هو هجومه العنيف والحاد على الملك فاروق بعد رحيله عن مصر حيث كتب مقالاً مطولاً تحت عنوان (الجيش والقائد)، والذى أعاد العقاد نشره ضمن سلسلة مقالات فى كتابه «دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية» صفحة ٢٤٢، وقد ورد فيه [لا نعتقد أن فاروقاً كان يعقل أن يضع لنفسه سياسة يحمى بها عرشه ويوطد دعائم ملكه، ولكنى أرجح أنه تلقى من أبيه الملك فؤاد وصيه مكتوبة أو محفوظة تلخص له قواعد السياسة التى اعتمد عليها لحماية العرش وتوطيد دعائم الملك، ومنها الاحتفاظ بولاء الجيش وولاء الأزهر، وقد كان أبوه يحاول الاحتفاظ بولائهما ما وسعه، ولم يكن وسعه بالقليل]. ويضيف الأستاذ العقاد فى مقاله المثير: [وإن كان ما فهمه فاروق من الاحتفاظ بولاء الجيش وولاء الأزهر أن يفرض على كل منهما أعواناً وأذناباً يخدمونه ويخدمون مصالحهم فى وقت واحد. وما زال الجهل

بفاروق حتى أصبح أذنبه وأعدائه حمى له من الجيش، وهم أعجز من أن يحموا أنفسهم لو لم يعتمدوا على الملك، وقد وصل إلى هذا الموقف قبل حرب ١٩٤٨ فلما تكشف تلك الحرب عن فضائح السلاح لم يبق في الجيش المصرى ضابط ولا جندي يضمن الولاء للملك المجرم الذي بلغت به الوضاعة -والعياذ بالله - أن يتاجر بأرواح جنوده وهم فى ساحة القتال^(١).

ثم يتطرق الأستاذ العقاد إلى تشخيص فاروق النفسى حيث يقول فى نفس المقال: «أكثر الذين يقرأون الدراسات النفسية من غير الأطباء - ونحن منهم - يطبقون ما قرءوه على أخباره وأطواره فيجدون أنها تنطبق تارة على جنون القسوة «ساذرم» وتنطبق تارات على جنون السرقة «كليتومانيا» وتنطبق تارات على جنون الشهوة «ساتير سيز» ولا تعوزهم الأدلة على أى نوعية من هذه الأنواع فى شخصية فاروق».

ثم يستطرد قائلاً أقصد محلاً وشارحاً ومفسراً: «إن المرض الأصيل الذى غلب على طبيعة فاروق فيما نعلم هو «التوقف عن النمو» وتتفرع عليه حالة تسمى بحالة التشبث، وقد كانت هذه الحالة ظاهرة الأعراض على فاروق، وتوقف النمو هذا هو مرض متعدد المقاييس، ومن أشد آفات هذا المرض أن يكبر الرجل ولا يزال شعوره نحو أبيه - خاصة - هو شعور الطفل نحو الأب الذى يعوله ولا يقوى على فراقه وما لا شك فيه أن فاروقا كان مصاباً بهذه الآفة على أشدها، وكانت غرابته كلها تدور عليها فقلما حدث حادث سياسى إلا ذكر فيه أباه، وقلما تكلم عن مشروع إلا أشار فيه إلى رغبات أبيه، وقلما عرضت مناسبة إلا ذهب فيها لزيارة ضريحه ويكى عنده أو تباكى بعد الوفاة بسنين، وهذه الآفة أى آفة توقف النمو من شأنها دائماً أن تشعر صاحبها

(١) يقصد ما أثير وقتل عن صفقة الأسلحة الفاسدة الشهيرة.

بقصوره وتحرك في نفسه «عقدة النقص» التي تدفعه إلى إظهار القوة وإظهار
القسوة والشك في كل أحد، وآفة توقف النمو تقترب بدوافع كدوافع الطفولة
التي تحب أن تضم كل شيء إلى حوزتها علانية أو خلصة دون أن تشعر بغرابة
عملها، وفي هذا تفسير لقسوة فاروق كما أنه يفسر لنا ولعه بالاستيلاء على كل
ما يراه» وفي نهاية تحليله النفسي لشخصية فاروق يقول الأستاذ العقاد:

«من كان ملكاً يصنع ما يروقه ويأبى أن يحاسب نفسه ويتعالى أن يحاسبه
غيره أو يستمع إلى ثناء الذين يتملقونه وينفر من نصيحة المخلصين فقد أطبق
عليه البلاء وامتنعت عليه سبل النجاة».

بل إن الأستاذ العقاد راح يشيد ويحتفي بالثورة الوليدة بعد مرور حوالي
شهر ونصف فقط من اندلاعها حيث نشر قصيدة شعرية في جريدة الأخبار
بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٥٢، وقد أعاد أستاذنا الناقد الكبير رجاء النقاش نشر
بعض أبياتها في جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مارس ٢٠٠٦:

يا مصر يا بنت الخلود	يا معقل المجد التليد
أين الذين جـذوك	جازية الخيانة والكنود ^(١)
من كل مـسخ هازل	في رى جبار عنيد

ثم يقول أيضاً في ختام أبيات القصيدة مخاطباً ثوار يوليو:

يا صحبة التوفيق وفقتم	إلى النهج السديد
حييتم النيل المبارك	واحتفيتم بالصعيد
في كل عام تحتفون	بمولد اليوم الجديد
لا راغم ^(٢) فيه يباد	وكل من فيه يسود

(١) الكفر.

(٢) المظلوم.

لم يقتصر الأمر على أستاذنا العقاد فقط، بل هناك كوكبة صاغت قصائد المدح لفاروق وبعد ذلك الذبح لكريم ثابت وكأنه هو المسؤول الأوحد عن إفساد وتضليل فاروق.

ورغم أن كريم ثابت كان قزماً بقلمه بين عمالقة الكلمة والقلم فقد بدا بعد رحيل فاروق وكأنه عملاق يأمر فيطاع وكأنه هو صاحب القلم الأوحد الذي أوهم فاروقاً وأفسده بينما الحقيقة تلاحق وتطارد رموزنا الذين تعمّدوا إخفاء قصائدهم الهزلية فيما بعد خوفاً من مساءلة التاريخ أو محاكمة الثوار، لكنها الحقيقة مهما حاول البعض إخفاءها فلن تظل في زوايا النسيان بل سرعان ما ستطل بوجهها لتكشف ما خفى وتستر عليه البعض.

على سبيل المثال أيضاً راح الدكتور طه حسين أحد أبرز وأشهر وأضخم فحول الأدب العربي يعطى من طرف لسانه حلاوة للملك أملاً وطمعاً، خاصة وأن المناصب كان يستحوذ عليها من ربطتهم علاقة طيبة بالسرايا ونالوا رضا رجالها، وقد ظن القصر الملكي أن طه حسين من خصومه وأعدائه، ومن ثم أبى الموافقة على ترشيحه وزيراً في حكومة مصطفى باشا النحاس التي تولى تشكيلها عام ١٩٥٠، وقد أصر النحاس من جانبه على ترشيحه وفي أثناء زيارة الملك فاروق لافتتاح معهد علوم الصحراء في تلك الأثناء انتهز طه حسين الفرصة وأصر على إلقاء خطاب يحتفى بقدوم الملك، وقد ألقى بعبارة أثارت ضده عاصفة من الغضب والاحتجاج والتذمر حيث جاء فيها كما أوردها الدكتور حسين مؤنس في كتابه «باشوات وسوبر باشوات» صفحة ٤٨ :

«وانت يا مولاي المثل الأعلى في الأخلاق!! وبالطبع علامات التعجب من عندي حيث لم يكن متظراً أن يقول أديب تربى وتعلم في صحن الأزهر وأضحى فارساً من فرسان الأدب أن يلهث وراء منصب وزاري بعبارة فاضحة

كتلك التى ألقاها أمام الملك طمعاً فى كسب مودته ورضاه، وهو ما حدث بالفعل حتى أصدر القصر مرسومه بالموافقة على تعيينه وزيراً للمعارف عام ١٩٥١!!

بل إن الزعيم الشعبى المحبوب فى أثناء عهد فاروق ومن قبله فؤاد قد دبج هو الآخر بقلمه مقالات تشيد بعقريه فاروق رغم العداء الظاهر والعلنى بين فاروق والوفد وهذا نص مقال خطه النحاس باشا لتهنئة فاروق بمناسبة عيد جلوسه على العرش وزواجه فى نفس اليوم من ناريمان صادق لتأمل معاً ماذا قال عدو القصر اللدود فى مايو ١٩٥١ أى قبل نهاية حكم فاروق بنحو عام وبعد أن مضى على تربعه على العرش حوالى خمسة عشر عاماً بالتعام والكمال تجلت خلالها شخصية فاروق.

على أية حال دعونا نتأمل كلمات التهنئة التى بعث بها النحاس إلى الملك عبر مجلة الهلال فى عدد مايو (٩٥). نص المقال:

«فكرة موفقة تلك التى هدت دار الهلال إلى إصدار عدد خاص من المصور فى أسعد مناسبة وأجمل عيد وأية مناسبة تستحق التسجيل والذكر من عيد جلوس الفاروق - أعز الله به الوطن - على عرش آبائه الذين كان لهم قصب السبق فى إنشاء مصر الحديثة وجعلها بلداً فى مصاف البلاد التى أخذت من الحضارة والمدنية بنصيب... بل أى عيد يجب على أبناء وادى النيل وأبناء العروبة اللذين يعرفون للفاروق فضله عليهم أجمعين وأن ينقشوه فى صفحات قلوبهم من جلوس مليكهم المحبوب وراعيهم العزيز الفاروق الذى يطلع عليهم هذا العام عيدين مزدوجين وبشارتين سعيدتين.

أجل طلع على أبناء وادى النيل عيد جلوس مليكهم المقدى ومعه عيد زفافه المبارك فكانت الفرحة فرحتين والغبطة غبطتين بما أفاء الله على عاهل مصر

المحسوب من حسن التوفيق وسداد الاتجاه والرغبة فى العمل الصالح التى لازمت منذ نشأته.

ومن حق الصحافة التى نعمت بفضل الفاروق السابق وترعرعت فى عهده الزاهر، ونال أبنائها - على اختلافهم - من تقدير جلالته وبره خير عميم.

من حق الصحافة أن يكون اغتباطها بأعياد الفاروق شاملاً ومساهمتها فى الإشادة بمآثر الفاروق فى عيد جلوسه السعيد وعيد زفافه الميمون تنم عن عرفان بالجميل وترجمة صادقة عن شعور أبناء وادى النيل.

وإذا كان لى من كلمة أوجهها إلى الشعب المصرى الكريم فى هذه المناسبة السعيدة فهى أن يتخذ من الاحتفال بها فرصة يتهزها لينال رضا الفاروق وألا تلهيه أفراحه ومسراته عن أن يعرف واجبه ويؤديه على أكمل الوجوه فإن فاروقا ليسعد دائماً أن يرى أبناء شعبه الأوفياء، أعرف الناس لواجبهم وأحرصهم على أدائه فى إقبال وإخلاص، فليكن لنا بالفاروق أسوة حسنة، ولنجعل من أفراحنا طريقاً إلى الاستمساك بالفضائل والتحلى بالأخلاق الكريمة، والتفانى فى حب وطننا والمحافظة على حقوقه، وتطهير القلوب والنفوس من كل أثره وتوجيهها الوجهة الصالحة إلى خير الوطن والمواطنين.

جعل الله أيام الفاروق كلها أعياداً ومواسم، وحقق لجلالته ما يتغنيه من حياة ناعمة هائلة، وكتب لشعبه الوفى ولأبناء العروبة والشعوب الشقيقة فى عهده المشرق.. حياة العزة والكرامة والحرية والاستقلال ومكن البلاد المغلوبة على أمرها من أن تحطم أغلالها، وتنعم بحياة الحرية والاستقرار.

انتهى نص مقال التهئة التى بعث به مصطفى النحاس باشا زعيم الأمة، وهو نص لا يختلف كثيراً عما كان يكتبه ويدبجه ويصوغه كريم ثابت، ولكن حين يتغنى كريم ويصدق بأنشودة فاروقية فلا لوم عليه حيث لا يتظر منه سوى

أداء هذا الدور، أما أن تأتي تلك الكلمات الناعمة الطرية الرقيقة من زعيم الأمة الذى كثيراً ما لوح حزبه (الوفد) بعدائه للقصر والملك، ثم تتسرب الكلمات من بين أنامله كقطعة موسيقية ساحرة، وبعدها نشير بأصابع الاتهام والتأنيب لكريم ثابت فهذا فى تقديرى ما لا يستقيم مع العقل أو المنطق والحيدة والعدالة.

على أية حال تأمل أيضاً ماذا كتب الدكتور حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وصاحب المؤلفات الإسلامية والأدبية العظيمة حيث يقول بالنص: [من حق الشعب أن يغتبط وأن يرجو ويضرع إلى الله أن يسعد مليكه وتسعد الأمة بسعاداته. ويتمنى المصريون جميعاً أن يشمل الله وطنهم بعين رعايته، وأن يمن على جلالة الملك بولى عهد يسعد به وادى النيل ويكون قرة عين لأبويه ولأهل الوادى جميعاً].

ومن جانبه راح شيخ الأزهر الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم يهنئ الملك بقوله فى نفس عدد مجلة الهلال وهذا جزء من نص التهئة:

«أهنئ فى شخص جلالة الملك المسلم الذى يؤمن بأن الدين ركن أساسى لحياة رغدة سواء للفرد أو الجماعة والدين فى نظر جلالته لا يهدى الناس فحسب إلى الطريق المستقيم فى السلوك فى هذه الحياة بل المصدر الوحيد أيضاً لاطمئنان النفس واطمئنان النفس هو المتعة والحياة».

بينما راح الأنبا بوساب بطريرك الكرازة المرقسية يقول فى نفس الصفحة سوف نستعين أيضاً بفقرة موجزة: «إن القبط وهم من أخلص أبناء مصر لعرش الفاروق وللأسرة العلوية لتهتز أعطافهم غبطة، وتمتلئ قلوبهم استبشاراً بعيد الجلوس السعيد وبالزفاف الملكى الموفق، ويسألون المولى جل جلاله أن يجعله قراناً مقروناً باليمن مبشراً بأسعد الثمرات عائداً على الأسرة الملكية وعلى الأمة المصرية بأغزر النعم وأوفر البركات».

أما الأستاذ فكرى أباطة كتب أيضاً يقول فى تهنته للملك:

يسجل «يوم ٦ مايو» فى سجله السعيد تاريخين مشيرين هما: عيد الجلوس والزواج الملكى . عيد الجلوس يثير ذكريات خمسة عشر كلها أحداث وحوادث خارجية وداخلية مصرية وعربية ودولية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية أثبت فيها جلالة الملك أنه (المصرى الأول) الذى صمد للأحداث الجسيمة واجتاز الأزمات العديدة فى هذا الزمن الطويل ببراعة ووطنية وشجاعة وصبر وإيمان بالله وطيد».

وفى خطابه إلى الملك فاروق رداً على ممارسات حكومة النقراشي باشا العنيفة مع جماعة الإخوان المسلمين اختتم الأستاذ حسن البنا المرشد العام للجماعة قائلاً:

[يا صاحب الجلالة .. إن الإخوان المسلمين باسم شعب وادى النيل كله يلوذون بعرشكم، وهو خير ملاذ، ويعوذون بعطفكم، وهو أفضل معاذ ملتجئين أن تفضلوا جلالتم بتوجيه الحكومة إلى نهج الصواب أو بإعفائها من أعباء الحكم ليقوم بها من هو أقدر على حملها، ولجلالتكم الراى الأعلى نسأل الله أن يتم عليكم نعمة التأيد والتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. توقيع بخط اليد .. المخلص حسن البنا - المرشد العام للإخوان المسلمين^(١).

ومن جانبه كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل الصحفى الكبير مقالا مطولاً فى مجلة روزاليوسف فى عددها رقم ١٥٠ المنشور عام ١٩٤٤، وقد كان فى مستقبل العمر لكنه كتب بالطبع متأثراً برأى أساتذته ومبصراً بالطريق الناعم المرصوف للوصول إلى أهدافه بأقصى سرعة دون العبور على منحنيات أو المرور على مطبات من شأنها تعطيل مسيرته .. إنه هيكل، ولأنه هيكل عدو الملكية

(١) جريدة الفجر المصرية العدد رقم ٤٠ بتاريخ الإثنين ٦ / ٣ / ٢٠٠٦.

والرأسمالية والرجعية فلتأمل معاً بعيون الحياء لنقرأ ماذا كتب مخاطباً مولاه الملك فاروق بمناسبة عيد جلوسه على العرش، وقد نشر المقال تحت عنوان:

[فى يوم عيدك يا مولاي]

«إننى أحب قيادة السفينة أثناء العاصفة.. ثمان سنوات وأنت تعمل لهذا الشعب وتخلص له، وهو يعمل معك ويخلص لك وستظلان معاً إلى الأبد»
[أى أن الملك فاروق كما يتمنى هيكى سيخلد على عرشه ولن يبارحه أبداً!!!].

ثم يقول فى فقرة أخرى عن إعجابه وانبهاره الشديد بجلالة الفاروق:
«هذه مصر كلها تحتفل بعيد ملكك مصر من أقصاها أفراداً وجماعات أحزاباً وهيئات، ولم تجد مصر ما تحبى به هذا العيد سوى الهتاف باسمك والدعاء لك فى نادى سعد زغلول طلب الحاضرون إلى طاهر باشا أن يقول لهم شيئاً فقال: إن أحسن ما أقوله ليعبر عن كل ما أحس به هو أن أهتف من القلب:

«يعيش جلالة الملك.. وردد الجميع الهتاف».

وفى احتفال الأحرار قام الأعضاء وراء هيكى باشا يهتفون باسمك ويدعون الله أن يسد خطاك، وفى احتفال الكتلة كان الهتاف لجلالتك يشق عنان السماء بين كل دقيقة وأخرى.. لقد علمت مصر كيف تحبك من يوم أن تفتحت عينك على نور الدنيا، فلم تكن وأنت أمير طفل تترك فرصة لتظهر فيها عطفك على بنينا واعتزازك بها إلا أظهرتها، وكنت دائماً فى كل مكان تشعر بأنك المصرى الديمقراطى الأول، فكنت فى كل مكان خير رمز لمصر وأحسن عنوان لها، ولقد أخذ التفكير فى مصر كل وقتك وأخذت تعمل.. فى عيد ميلادك تركت قصر ك وعاصمة ملكك وذهبت إلى الصعيد لتزور جزءاً من

شعبك حلت به نكبة المرض، وقلت: إن أحسن احتفال بالعيد هو أن ترى هؤلاء البؤساء وبيروك.

ويمضى هيكل فى سرد صور إعجابه الشديد بجلالته مستطرداً فى نفس المقال:

«ومنذ أشهر قابلت الكولونيل بون رئيس جمعية الصليب الأحمر فكانت آخر كلماتك له «لا تدع أحداً يسىء إلى مصر، وهكذا أخذت عليك مصر كل تفكيرك لأنك تحبها ومصر يا مولاي تحبك..» ولقد قال لى ذات مرة أحد كبار الأجانب وهو المستر إيرل رئيس الإيجيشان جازيت - وكان فى صحبة جلالته إلى بور سعيد - قال إنه دهش لما رأى عشرات الألوف من الفلاحين ينتظرون الساعات الطويلة تحت وهج الشمس ينتظرون مرور الملك فى قطاره، وربما لم يروه وحتى لو أتاحت لهم هذه الفرصة فلن يدوم ذلك لأكثر من جزء من الثانية ثم قال إنه يتساءل عن قوة العاطفة التى تدفعهم إلى ذلك (ونحن أيضاً يا أستاذ هيكل نستحلفك بالله أن تقول لنا ما سر هذه العاطفة) وقلت له: إنه الحب. فقال: يا له من حب قوى».

ويضيف الأستاذ هيكل فى معرض صورته ولوحاته التى تعرض لنا ما لا نعرفه عن الملك فاروق حيث يقول: [ولم يكن المستر إيرل هو أول أجنبي دهش لروعة مظاهر الحب بينك وبين شعبك، وإنما كثيرون شاركوه هذه الدهشة ولم يترك أحدهم فرصة للإعراب عن ذلك إلا أبداها..» وقد قال لى المستر ليجول رئيس تحرير البورصى:

«إن مصر محقة أن تحب ملكها كل هذا الحب فهو جتلمان حقيقى..» وقال مراسل مجلة لايف إنه شاهد ملوكاً ورؤساء كثيرين تستقبلهم شعوبهم فلم ير أروع ولا عظم من استقبال شعب مصر لملكها.. وأذكر أننى سألت السيناتور

«ميد» أحد الشيوخ الأمريكان الذين زاروا مصر منذ عدة أشهر وكان قد تشرف بمقابلة جلالتهم ظهر اليوم نفسه - عن رأيه فيكم فقال: صدقنى يا بنى لقد رأيت ملوكاً كثيرين قبل ملككم، وقابلت عظماء كثيرين قبل أن أقابله، ولكنى لم أجد من أحدهم هذا الحب لبلاده الذى يبدو واضحاً خلال حديثه عنها كما هو الحال مع فاروق.

يستطرد هكيل قائلاً قبل: أن يختم مقاله الوثيقة: ولن أنسى أن أحد الضباط الأمريكان رآك يا مولاي فى إحدى الحفلات فلم يملك نفسه^(١) وهتف «فليحفظ الله الملك» وبعدها قال لى هذا الضابط إنه لم يكن يتصور أنه سيأتى عليه يوم يهتف لأحد الملوك، وهو الذى ولد جمهورياً متعصباً وقال لى:

إننى لم أهتف حتى لروزفلت نفسه.. ولكن ملككم هذا رجل عظيم (معقول يا هيكىل) ثم يختم مقاله الغريب الذى يفوق فى أكاذيبه وخزعبلاته كل ما كتبه كريم ثابت قائلاً: يا مولاي.. هذه ثمان سنوات وأنت وهذا الشعب معاً تتقاسمان السراء والضراء وتسيران فى طريق الحياة بأزهارها وأشواكها، وستبقيان معاً إلى الأبد (يبدو أن هيكىل قد تأثر بنشيد وهتاف ليحفظ الله الملك) لأن هناك رباطاً من الحب يوثق بينكما رباط من الحب الخالد].

انتهى مقال الأستاذ هيكىل وهو بالطبع يتعارض مع ما كتبه فيما بعد خاصة فيما يتعلق بعهد الملك فاروق حيث صب جام غضبه ودك بمدفعيته عرش فاروق، لكن بعد رحيله بالطبع وعلى أية حال فمن شب على شيء شاب عليه، وهكذا كان هيكىل يخلق ويبتكر ويخترع حكايات لا أساس لها من الصحة، ومن ثم فلا غرابة فيما يقول، وأما أهل الفن فحدث ولا حرج فقد تجاوز دورهم ما لعبه كريم ثابت وأمثاله حيث أنشدت أم كلثوم عدة قصائد من

(١) يقصد أن الرجل انجذب بلوثة الفاروق!!

نظم شاعر الشباب والحب أحمد رامى وغتها أمام الملك، وذلك فى حفلة الخميس ٢٩ / ٧ / ١٩٣٧ بسرايا عابدين وكانت بمناسبة تولى فاروق العرش رسمياً وهى من تلحين الموسيقار رياض السنباطى وقد أنشدت تقول:

جل من هناك بالملك السعيد يا ملك النيل فى العصر الجديد

نعمة أسبغها الله على عهدك الزاهى وواديك الرغيد

وقد داومت أم كلثوم على الغناء داخل سرايا عابدين فى مناسبات عديدة ومختلفة مثل عيد ميلاد فاروق، أو عيد ميلاد شقيقاته، أو والدته، أو بمناسبة عيد الجلوس الملكى، أو زواجه، وغير ذلك ومنها [الأنشودة الشهيرة التى غتها عام ١٩٣٨] جمعى يا مصر زهر الأمانى، وفى عام ١٩٣٩ مبروك على سموك وسموه، وفى عام ١٩٤١ أنشدت عيد الدهر وفى عام ١٩٤٣ غنت يا ملكى، وفى عام ١٩٤٦ أنشدت مولد الفاروق.

وقد حدث أن كانت أم كلثوم تغنى أمام الجماهير فى ليلة الأحد ٢٤ سبتمبر ١٩٤٤ فى حديقة النادى الأهلى بالجزيرة، واستهلت أم كلثوم الحفلة بأغنية رق الحبيب، وأثناء اندماجها لاحظت أن أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى قد انصرف بعد أن همس أحدهم فى أذنه، ثم سرعان ما أعلن فكرى أباطة على الحاضرين أن جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله سيصرف الحفل بعد دقائق، وحين أطل فاروق بطلعته البهية راحت أم كلثوم تغنى فى نشوة وطرب:

يا نيلنا مـيـتـك سكر وزرعك فى الغـيـطان نور

يعيش فاروق ويتـهـنى وتحىى له ليالى العيد

والليلة عيد على الدنيا سعيد عز وتمجيد لك يا ملكى^(١)

(١) كتاب (حكاه مصر) دار الهلال ٢٠٠٥.

وأمام الكرم الكلثومى لفاروق راح بدوره ينعم عليها بنیشان الكمال، وهو ما دفع الأستاذ الفنان الشهير محمد عبد الوهاب للتحرك السريع والفورى فى هذا الاتجاه، ولتشتعل المنافسة بينه وبين أم كلثوم فى كسب رضا الملك وعطفه، ومن ثم ألقى محمد عبد الوهاب أغنيته الشهيرة التى كتبها صالح جودت باسم (أنشودة الشباب) وقد تضمنت بعض الأبيات الرائعة منها:

الليلة عيد الشباب	الليلة عيـدك
دعانى داعى شبابك	قمت لبيـتك
ونادى سحر جمالك	قمت حبيـتك
من كتر غيرتى عليك	فى القلب خبيـتك
وقلت لك يا فاروق	القلب دا يبيـتك

ومع الأسف فمثلما أخفق العقاد رغم مدائحه فى الحصول على لقب فشل محمد عبد الوهاب هو أيضاً وخرج من سباق النفاق صفر اليدين، بل إن أنور وجدى نفسه كلف الأستاذ الشاعر أحمد رامى بتأليف نشيد يحيى فيه جلالة الملك، وقد تولى مهمة تلحين النشيد الصاغ عبد الحميد عبد الرحمن، وقد غنى النشيد رجال القوات المسلحة فى سلاح الفرسان والمشاة والطيران والمدفعية^(١) وقد تضمن نشيد عاش الملك الأبيات التالية:

فى ظل فاروق رفعنا العلم	رمز الولاء للمليك والوطن
أرواحنا فدى له والحمى	عزت به أيامنا على الزمن
يا من روينا روحنا من منهلك	تحيا لنا عاش الملك عاش الملك
فاروق يا حامى اللواء	تحيا على المدى معزراً مؤيداً
تحيا لنا عاش الملك عاش الملك	عاش الملك.....

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٤٢.

هذه بعض من مقالات وقصائد مدح ونفاق كانت تبثها رموز المجتمع آنذاك في آذان فاروق في أكبر عملية تضليل وخداع ونفاق وتدليس وتذلف لشاب حديث العهد، وكان ينبغي على تلك الشخصيات أن تتحلى معه بالصدق والثقة والأمانة والإخلاص لصالح هذه الأمة ولمصلحة هذا الشعب من خلال إرشاد ونصح هذا الشاب الذي عقدت الأمة آمالها عليه فتهاوت بمعاول هؤلاء الذين نافقوه وضللوه. ثم راح كل منهم يلقي باللائمة والمسؤولية على كاهل الصحفي كريم ثابت في أكبر مؤامرة جماعية ضد فرد لم يكن بالفعل مسؤولاً مسؤولية مباشرة وكاملة، بل كان أحد هؤلاء وإن كنت أكاد أراه في ذيل القائمة نظراً لقصر قامته إذا ما توسط هؤلاء العمالقة حتى وإن كان قد ظل ملازماً لفاروق كظله حيث كان من الممكن أن يتنبه فاروق ويستيقظ وينهض من غفوته وسكرته ونشوته ونزوته إذا صرخ هؤلاء في وجهه وامتنعوا عن مداهنته وصارحوه وكاشفوه لو أن ذلك قد حدث لتلاشى كريم ثابت واختفى دوره ولم يعد ذا قيمة، أما إن هؤلاء تنافسوا وتسابقوا وتناحروا في تدبيج القصائد والمقالات لكسب رضا الملك فلا لوم إذن على غريب الديار أن يفعل به ما يشاء ويطره كيفما شاء.

إن رموز الفن والأدب والسياسة والدين ساهموا جميعاً في إفساد وتدليل وتضليل وتضخيم وتعظيم فاروقا، وهم يتحملون تلك المسؤولية ورحم الله هذا العربي الذي كاشف فاروق بالحقيقة دون أن يدري أنه ملك البلاد حيث كان فاروق يتهادى متخفياً على طرقات كورنيش الإسكندرية وأثناء ذلك قرر التزه في عربة حنطور وبالفعل استوقف أحد العربجية وطلب منه التزه بمحاذاة الكورنيش وأثناء سير العربة الحنطور، وبينما كان فاروق متخفياً راح يسأل العربي:

الملك: قل لى يا أسطى .

العربجى: أيوه . . يا بيه .

الملك: قل لى راىك إيه فى الملك فؤاد الله ىرحمه؟

العربجى: الله ىرحمه . . كان ابن كلب ملعون!!

فاروق: (وقد علت الدهشة وجهه وشعر بالضيق وراح يتساءل) بقوله . .

مفهوم . . مفهوم . . لكن ما راىك فى ابنه الملك فاروق؟

العربجى: أبداً . . ألعن منه .

وهنا وكما يقول أمين فهمى سكرتير فاروق الشخصى، وأمين خزانة أسرارہ إن هذه الواقعة التى جرت عام ١٩٤٦ قد نبهت الملك فاروقا إلى حقيقة الأمور وقد اعترف هو بذلك وأكد لأمين فهمى أنه أدرك أن وجوده فى مصر لم يعد مرغوباً فيه وكان الأحرى بفاروق أن يتأمل عفوية العربجى وصدقته التى سمعها بنفسه ويقرر مصيره، إما أن يرحل عن هفواته ونزواته وشهواته ورغباته ويلتفت لمصلحة الأمة، وإما أن يحمل عصاه ويرحل طواعية ودون ضغط أو إكراه . . رحم الله هذا العربجى الذى قال ما عجزت عنه أقلام العظماء أن يبلغوه لفاروق وسامح الله كريم ثابت الذى زين وجوه الباطل للملك مع غيره .

الغريب أن كريم ثابت أصدر مذكراته وقد بدا من خلالها للقارئ قديماً صالحاً لا يميل إلى لهُو فاروق ولا يشاركه إسفافه وعبثه ومجنونه، وقد واجه كريم ثابت اتهامات عدة حول حصوله على مصروفات سرية من القصر الملكى، وقد أكد البعض أيضاً أنه كان يملك ١٥٠ سهماً قبل تعيينه مستشاراً للملك، وأن هذه الأسهم قد زاد عددها إلى نحو ٤٢٥ سهماً فى أعقاب توليه

المنصب الجديد، وانطلقت أسهمه تتواصل فى بحور الزيادة حتى بلغت عام ١٩٥١ حوالى ٢٤٩٠ سهماً بقيمة إجمالية ١٧١٣٠ جنيهاً.

قام بتحويل أمواله خارج البلاد وقدرت عام ١٩٤٢ بحوالى ٢٢٤١٦ جنيهاً وقد أودع فى البنوك الداخلية ١٥٣٥٤ جنيهاً وقيل إن راتبه الشهرى من منصب المستشار وراتبه من جريدة المقطم بوصفه أحد ملاكها يتراوح بين ٢٠٠٠، ٢٥٠٠ جنيهاً شهرياً.

وأما زوجته السيدة هيلانة سركيس فقد كانت مولعة باقتناء الذهب والمجوهرات التى تتصف بالندرة، وهو ما كان يشير حفيظة وغيره الملكة ناريمان صادق زوجة فاروق حتى إن فاروقاً نفسه قد بدأ يشعر بالضيق من كريم وزوجته بسبب الصداق الذى كانت تسببه له ناريمان عقب كل لقاء يجمعها مع زوجة كريم، ولم تكن ثروة هذه السيدة تقتصر على الحلى والأحجار الكريمة فقط، بل إنها كانت تملك باسمها نحو ثلاث عمارات وقصراً بالإسكندرية.

والى جانب العديد من الأسهم التى قاربت من المائة ألف جنيه!!

والحقيقة أن كريم كان مصاحباً للملك فى كل أسفاره ورحلاته ونزهاته وسهراته، وكان يكتب له خطبه وكلماته ويلتقى معه بالملوك والرؤساء العرب والأجانب ويستمع إلى نصيحته ويحترمها.

* * * *

إلياس أندراوس

كان يشغل منصب المستشار الاقتصادي للملك فاروق، وأبرز رجال فاروق الذين ساهموا في إفساده وغوايته وتخريبه لاقتصاد الوطن وتبديده لثروات الأمة دون وازع أو ضمير.

في مقتبل حياته شغل منصب السكرتير الخاص لمستتر بين بويد مدير الإدارة الأوربية بوزارة الداخلية المصرية، وفي أعقاب تقاعد الرجل وانتقاله إلى رئاسة مجلس إدارة شركة «صباغى البيضاء» ألحق إلياس أندراوس للعمل معه لإخلاقه وتفانيه فى المهام التى أوكلت إليه فى أثناء عمله معه فى الإدارة الأوربية.

ولأن إلياس أندراوس كان يتمتع بالذكاء والعبقرية استطاع أن يشق طريقه ويرتقى سلم الدرجات العليا داخل الشركة بخطوات رشيقة وبديعة حتى أصبح أحد العناصر الهامة والمؤثرة والأساسية فى مجلس إدارة الشركة.

وكما حدث لأغلب الأجانب المقيمين فى القاهرة وضواحيها، فقد أطلق مستر بين ساقه للريح هرباً من القوات الألمانية التى أوشكت على احتلال الإسكندرية، وهو ما دفعه لتسليم إدارة الشركة لإلياس أندراوس، وذلك أثناء اندلاع معركة العلمين عام ١٩٤٢، ومع انتهاء الحرب الضروس عاد مستر بين مرة أخرى لاستلام الشركة من إلياس أندراوس الذى أبلى بلاءً حسناً أثناء هروب مجلس الإدارة الإنجليزى مما دفع مستر بين لتكريمه وتثمين دوره البارز من خلال إسناد عضوية العديد من الشركات التابعة لمستر بين.

من خلال هذا المشوار الدرامى تمكن إلياس أندراوس من ادخار ثروة طائلة أصبح بواسطتها من أغنى رجال مصر، ولأنه كان مدمناً شهيراً لموائد القمار التقى عن طريقها بالملك الشاب القادم فاروق الأول وهو ما دعا إلياس أندراوس

لانتهاز تلك الفرصة التي هيأتها له موائد القمار للتودد للملك والاقتراب منه حتى تمكن من الاستحواذ على مشاعره وعواطفه حتى أضحي نديمه وصديقه ورفيقه وظله إلى أن أصدر الملك فاروق من فرط إعجابه الشديد به قرارا بتعيينه مستشاراً اقتصادياً له.

كان أندراوس قوة دافعة لفاروق في الانكباب على موائد القمار الخضراء، خاصة وأنه كان يخسر له عن عمد مع رهط من الشلة الفاسدة إمعاناً في دفع فاروقاً للتمسك بمزاولة تلك اللعبة كل ليلة حتى يتسنى لإلياس أندراوس الانفراد بالملك في نهاية السهرة لتحقيق أغراضه ومآربه من خلال وساطته بين الشركات والمؤسسات التجارية والملك والحصول على عمولة وسمسة التوسط بينهما حتى أصبح إلياس أندراوس مركز قوة داخل القصر الملكي تتودد إليه المؤسسات العملاقة أملاً في اكتساب رضا الملك لتمرير صفقات غير مشروعة بمباركة ملكية بعيداً عن القوانين التي ستها الدولة لمراقبة ومتابعة كافة الأنشطة.

ولعل هذا هو الذي أدى بقبول الملك رشوة قدرت آنذاك بنحو مليون جنيه مصرى تلقاها من رجل الصناعة أحمد باشا عبده مقابل موافقة فاروقا الملك على إقالة حكومة نجيب الهلالي باشا وهي الفضيحة التي فجرتها الصحافة وهزت عرش الملك وكادت تطيح به، وقد كانت يد إلياس أندراوس مخضبة بدمائها في إشارة واضحة المعالم حول زواج الفساد الاقتصادي بالسياسة مما أدى باندفاع العرش إلى طريق الهاوية على عجل ودون روية.

وهكذا تحول الرجل بالليل وعلى مائدة القمار من أشهر لاعب مقامر على مائدة فاروق إلى أبرز خبير اقتصادي في تاريخ القصور الملكية المصرية، وصار هو الرجل الأوحـد فهامة السرايا وعقلها المدير وصاحب خططها المستقبلية بينما الحقيقة أنه كان يغتـرف من كنوزها قبل نشوب حريق ثورة العسكر، وقبل أن

يسدل الستار على حقبة الملك الشاب الذي تأكد للجميع أنه يتقدم بسرعة هائلة إلى الضياع.

وإذا كانت الملكة ناريمان قد نشبت نار الغيرة في جسدها من زوجة كريم ثابت، فما من شك أن نار الكراهية والاشمئزاز قد التهمت قلبها من إلياس أندراوس حيث أدركت أن للرجل مخالب ومثالب ينهش بها في جسد ثروة الوطن بينما فاروق غارق في ملذاته وموائده وشهواته وسهراته لا يكثرث بما يمارسه إلياس ومن هم على شاكلته، حتى أن هناك أنباء تسربت من خلال الصحف حول مشادة كلامية حامية الوطيس جرت وقائعها بين الملك وزوجته ناريمان أمام إلياس أندراوس أدت إلى تهديد الملك ناريمان بتطليقها إذا أصرت على مخاطبة إلياس أندراوس بما لا يتواءم مع منصبه كمستشار للملك وصديق لزوجها وأخلص رجال حاشيته مما يبرهن على قوة نفوذه وشخصيته المبهرة التي أدت إلى استعداد الملك للتصدي لممارسات زوجته حرصاً منه على صداقته وحفاظاً على كرامته أمام جميع رجال القصر الملكي، وهكذا ظل هذا الكاثوليكي الرومي بالقرب من الملك فاروق حتى نهاية عهده وزوال ملكه وانقشاع نفوذه.



مهندس العلاقات المحرمة بولى

بولى أشهر وأبرز رجال حاشية فاروق رغم جنسيته الإيطالية، وقد انضم إلى العمل داخل القصر الملكى فى فبراير عام ١٩٢٢ أثناء حكم الملك فؤاد بوصفه كهربائى القصور الملكية.

وفى أعقاب وفاة الملك فؤاد الذى كان يهوى الاستعانة بالعمال والفنيين الإيطاليين فى قصوره وسراياته أصدر أحمد حسين باشا رئيس الديوان الملكى إعفاءه من مهام عمله وطرده خارج القصر والعودة إلى بلاده أو الارتحال إلى مدينة الإسكندرية التى كان يعمل بها ضمن الكثير من أبناء الجالية الإيطالية.

ومن خلال علاقاته المتشابكة داخل القصر راح بولى يتوسل لأصحاب الحظوة والنفوذ فى محاولات مستميتة لبقائه داخل القصر الملكى، وقد تمكن بعلاقاته أن يبقى مرة أخرى وذلك من خلال حصوله على موافقة من الملك الشاب الذى أبى أن يتخلص من رجال والده أمثالاً لذكرى الملك الأب وتقديراً لاختياراته.

ولأن الملك فاروق كان يقدر سياسة والده، ويشعر نحوها بالامتنان فقد اقترب رويداً رويداً من رجال القصر الملكى من الإيطاليين على وجه الخصوص كما كان يفعل والده من قبل وأمام هذه السياسة الفاروقية الودية نحوه تسلل بولى إلى قلب فاروق فى هدوء حتى أحبه فاروق وأبدى إعجابه الشديد به حتى قربته الملك من حاشيته، وأصبح شديد الثراء والنفوذ ومتشعب العلاقات مع كافة الشخصيات والرموز داخل القوى السياسية والاجتماعية فى مصر، ولعل قوة نفوذه وانتهازيته واستثماره للعلاقة التى ربطته بالملك فاروق هى التى

أيضاً رجت به كأحد أبرز المتهمين في قضية الأسلحة الفاسدة التي حاقت بالقصر الملكي، وعلى رأسه فاروق الأول.

لقد اشتهر بولى بين الجميع بالقواد الذى يسهر على توفير عشيقات فاروق ومن يرغب فى التحدث إليها أى أنه كان مهندس العلاقات المحرمة لفاروق التى اعتقد أنها كانت لا تتجاوز حدود الكلام نظراً لقدرات فاروق وعجزه عن الوصول لمآربه.

* * * *

محمد حسن الشماشرجى

كان هذا الخادم المطيع يعمل فى بواكير حياته مجرد ساع فى إحدى محلات محمد فرغلى باشا ملك الأقطان الشهير.

من اللافت للانتباه أن محمد حسن ذاك الخادم النبوى قد نافس كريم ثابت وإلياس إندراوس بل وأمين فهميم سكرتير الملك وكاتم أسرارهِ فى السيطرة على قلب وعقل الملك حتى استطاع وبدهائه ومكره وذكائه أن يحظى برضا الملك الشاب الذى أعجب به، وأشاد بأدائه وتفردهِ وقدرته على توفير مناخ يسوده الهدوء والراحة التى كان يلتصقها الملك ويتوق إليها ولم يكن محمد حسن سوى عبقرى فى تدبير وإعداد وتجهيز هذا الجو الذى يلائم مزاجه ويتوافق مع هوى الملك.

لم يكن غريباً إذن أن يرتقى الخادم النبوى أو الشماشرجى محمد حسن إلى أن ينعم عليه الملك الشاب بنوط الرضا الذهبى فى منتصف عام ١٩٤٦، ثم تمكن من استلاب قلب الملك حتى منحه نيشان النيل، ولقد بلغ نفوذ محمد حسن الشماشرجى أن تولى التوقيع على الأوراق والمذكرات والبريد بدلاً من الملك فى أبلغ صورة على تفشى الإهمال والاستخفاف والفساد والعبث داخل القصر الملكى بدعم ومباركة وموافقة من الملك فاروق الذى كان يمقت الاطلاع على الأوراق والمذكرات التى تتطلب تأشيرته الخاصة.

مضى محمد حسن فى ممارسة دوره ونفوذه حتى أمسى البوابة الملكية للعبور إلى قلب الملك لمن أغدق عليه وأنعم بالمال والماس معاً.

كان وزراء الحكومات المصرية يتوددون إلى محمد حسن الشماشرجى، كما لو كان أمين عام القصور الملكية، والحقيقة أن نفوذ الرجل تجاوز نفوذ أمراء

القصر حيث كان كثيراً ما يختلى بالملك في غرفته الخاصة بوصفه خادمه
الشخصى الذى يتيح له منصبه دخول غرفة الملك ومجالسته وإيقاظه وإعداد
وتجهيز ملابسه وحمامه كل صباح، ومن ثم رأى الملك عارياً من نفوذه
وشموخه وكبريائه فأصبح وهو الخادم الخاص به يشتهر بين الجميع بنفوذه
وشموخه وكبريائه!!!

* * * *

سقوط فاروق

فى منتصف ليله الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ انطلق تنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر لإعادة الحياة إلى مصر، وإسداد الستار على الفساد الذى ساد البلاد، والظلم الذى تفشى، والمحسوبية التى استفحل خطرهما فاختلفى العدل، وعم الظلم، وبات الجميع ينشدون ساعة الخلاص التى دقت على أيدي الضباط الأحرار الذين عانوا وناضلوا واستبسلوا بغية إنهاء حقبة سوداء ألقت بظلالها الكثيرة على كافة نواحي الحياة.

كان فاروق لحظة اندلاع شرارة الثورة يقضى أوقاته وسهراته فى الإسكندرية حيث كانت درجة الحرارة فى أعلى معدلاتها المناخية، وكأنها تشير إلى غليان فى أعماق النفس المصرية.

وحين بلغ فاروق نبأ حركة الضباط الأحرار أحس بالخوف يتسلل إلى قلبه والرعب يكاد يفك مفاصله ويدغدغ أعصابه ليتجلى الطفل الذى ظهر فى ذروة حادث ٤ فبراير مما دعا السفير البريطانى أن يطلق عليه «العيل» فى إهانة ومهانة لم تكن مصر تستحقها بأية حال من الأحوال.

مضت الأمور على عجل حيث ذاع الضباط الأحرار البيان رقم واحد فى السادسة صباحاً بصوت الضابط محمد أنور السادات، وقد ورد فى البيان مطالب الحركة الانقلاية وضرورة الاستجابة لها تجنباً لإراقة الدماء والزج بالبلاد إلى أتون فوضى لا يستطيع أحد أن يعرف متى تنتهى.

وعلى الفور التف الشعب حول الحركة وساندها ودعمها بخروجه وتأيده لها أملاً فى حياة آمنة مستقرة بعيداً عما كان يجرى فى ظل ملك فاسد

وحكومات لا تملك القدرة على قياس نبض الشعب المسكين وإدراك حاجته واحتياجاته.

وفى تمام الساعة السادسة من مساء يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان الملك فاروق على موعد تاريخى لمغادرة مصر على متن الباخرة المحروسة أو إن شئت الدقة المشؤمة، فهى التى حملت جده الخديو إسماعيل إلى منفاه فى إيطاليا أيضاً وما هو فاروق حفيد إسماعيل يواجه مصير جده مطروداً.

فى صباح نفس اليوم استدعى فاروق قوات حرسه الخاص وقادة بوليس القصور الملكية بغية الدفاع عنه إذا دعت الضرورة لذلك، تنفيذاً لأوامر الملك اتخذ الحرس مواقعه الدفاعية لحماية الملك والحفاظ على سلامته وسلامة أسرته. فى تمام الساعة العاشرة صباحاً توجه على ماهر باشا إلى قصر رأس التين حاملاً الإنذار التاريخى الذى وجهته حركة الضباط الأحرار للتنازل عن العرش ومغادرة البلاد إلى حيث يريد على أن تتحرك الباخرة التى ستقله فى تمام الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.

كان الإنذار شديد اللهجة حاد العبارات، لا يحتمل التأويل كما لا يتضمن فى مته حلول وسط ينفذ منها فاروق أو يتعلل أمامها، أو يماطل حيالها وقد ورد كما يلى:

«من الفريق أركان حرب محمد نجيب إلى جلالة الملك فاروق الأول وإنه نظراً لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعيثكم بالدستور حتى أصبح كل فرد من أفرادها لا يطمئن على حياته أو ماله أو عرضه (استبدل على ماهر كرامته بدلاً من عرضه) ولقد ساءت سمعته مصر بين شعوب العالم نتيجة لتماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلمكم الحماية والأمان والثراء الفاحش

والإسراف الماجن على حساب الشعب الجاهل (وتدخل على ماهر مرة أخرى واستبدل كلمة الجاهل بالجائع) اختتم الإنذار بتلك العبارة وأحمل لجلالتكم وقد تغيرت على يد على ماهر إلى (والجيش يحمل لجلالتكم).

تسلم فاروق الإنذار العنيف، ويعد أن فرغ منه جال يبصره من حوله وهو يزم بشفتيه تارة ويضغط على أسنانه تارة أخرى، كأنه يتمنى أن ما يدور من حوله لا يعد سوى كابوس مزعج سرعان ما سينتهي ويستيقظ من سباته وغفوته ليسترد عرشه الذي يندفع بخطى سريعة نحو الإنذار.

وعاد يبصره إلى على ماهر الذي كان يرقب تلك اللحظات الدقيقة في حياة مصر وملكها، وكأن فاروق يريد أن يستمع إلى آخر مشورة لعلى ماهر يلتبس طوقاً للنجاة والخروج سالماً من هذا المارق.

وفهم على ماهر ما يريده الملك الذبيح، فتطوع قائلاً دون أن يتنظر سؤاله بقوله: إن من مصلحة جلالتك التنازل عن العرش، حيث أننى لا أستطيع أن أضمن لك حياتك. أما إذا أطلق حرسك رصاصة واحدة على جنود الجيش لا أستطيع أن أتحمّل مسؤولية سلامتك الشخصية.. هذا فضلاً عن أنك ستضيع العرش من ابنك إذا اتخذت جلالتك موقف المقاومة لرغبات الجيش، وعلى الفور أبدى الملك موافقته على رأى على ماهر باشا ودون أن يتريث أو يدبر أمره حيث قال فى أسى: إننى موافق على النزول على رغبة الجيش.

وظنى أن فاروق وافق على هذا النحو السريع ظناً منه أن النزول عن العرش ومغادرة البلاد إلى أى مكان أهون من أن يلقي حتفه على يد الجيش شأنه فى ذلك شأن الطواغيت الذين لفظوا أنفاسهم الأخيرة على يد الثوار.

خرج على ماهر تاركاً الملك غارقاً فى خيالاته وتصوراته وغموض مستقبله ومصيره المجهول لإعداد وثيقة التنازل عن العرش لتجنب البلاد ويلات صدام لا يحمّد عقباه وضماناً لسلامة الملك وأسرته وحفاظاً على عرشه وثروته.

وبعد لحظات كان فاروق قد تجاذب خلالها أطراف الحديث مع رجاله وخلصائه عاد على ماهر باشا حاملاً في يده وثيقة التنازل عن عرش المملكة واتجه إلى البهو الملكي، وبعد مرور نحو خمس عشرة دقيقة أذن لعلی ماهر بالدخول إلى جلالة الملك المعزول، وكان المشهد مؤثراً ومؤملاً ومؤسفاً وكثيراً، حيث خيم الحزن على القصر برمته، وقد وجد على ماهر باشا الملك يقف أمام منضدة مستديرة في منتصف البهو، وقد استند عليها فاروق بيديه بعد أن أحنى جسده المترهل إلى الإمام مرتدياً الزي الصيفي لأمير البحار، وقد تقدم سليمان حافظ من المنضدة وفي حركة عفوية ومعتادة أحنى رأسه تحية للملك وقد أبدى اعتذاراً رقيقاً على ارتدائه ملابس صيفية حتى بادره الملك بقوله: لا... لا... ياأخي... مش وقته مش وقته، وبعدها أخرج سليمان حافظ وثيقة التنازل من مظروف كان بحوزته فناولها لفاروق وهو على انحناء وراح يقرأ سطورها بصوت عالٍ مسموع، وبعد أن فرغ من قراءتها أخرج قلمه وذيلها بتوقيعه وإمضائه التاريخي، ثم بعدها أبدى رغبته في اصطحاب بعض رجاله وعلى رأسهم بولي، وأن يتم توزيع ممتلكاته على أولاده بالتساوي، وقد انصرف سليمان حافظ بعد أن أخبره أنه سينقل لهم مطالبه ورغباته، واستوى فاروق على مقعد في أحد أركان البهو بعد أن أخرج منديله ليجفف عرقه الغزير وفرائضه ترتعد وظنونه تتصارع وتتنازع فيما بينها.

وفجأة انتفض فاروق من مقعده حين ترامى لسمعه أزيز الطائرات، حيث مَبَ ثائراً وقال لمن حوله من رجاله: إيه ده، هما الجماعة دول عاوزين أية حال تاني؟! خلوا بالكم أحسن حد يعمل حاجة كده ولا كده، وعلى أية حال نجيب ما يعملها سن لأنه راجل كويس... لكن الجماعة اللي معاه...

بعد ذلك اتجه فاروق إلى قاعة الطعام لتناول طعام الغداء، وسرعان ما عاد مرة أخرى إلى مقعده في البهو في انتظار اللواء عبد الله النجومي لاصطحابه إلى مرفأ الباخرة المحروسة لمغادرة البلاد، وأقبل اللواء النجومي ليرافق جلالته إلى الشاطئ وتهدأت خطوات الملك وبدأت ثقيلة على أنغام دقات ترومبيطة وحيدة كانت تصدر دقات تشبه النغمات الجنائزية، ومن خلفه الملكة ناريمان والأميرات فريال وفوزية وفادية، وخلفهم المريية البريطانية تحمل ابنه الأمير أحمد فؤاد .

وفي الساعة السادسة إلا ربع ظل فاروق واقفاً منتظراً قدوم اللواء محمد نجيب لتوديعه، وهو يتلفت من حوله وكأنه يودع القصر الوداع الأخير حيث بات رجوعه ضرباً من ضروب الخيال.

وحين صاح قائد الحرس صيحته الزاعقة: «سلام الملك . . . سلام سلاح» انهمرت شلالات الدمع والبكاء، وعلا النحيب بين الجميع في مشهد تهتز له المشاعر، وتقشعر منه الأبدان، ثم تظاهر فاروق بالثبات والشجاعة وراح يصافح السفير الأمريكى وعلى ماهر، ثم تقدم ناحية اللش الذى سينقله إلى الباخرة المحروسة وقد صاح قائلاً:

أوعى حد يكون زيادة.

وانطلق اللش يشق أمواج البحر، وقد رفع قبعته، وحيا المودعين والدموع تنهمر من العيون.

وبعد دقائق وصل لنش آخر يحمل على متنه اللواد محمد نجيب، وجمال سالم، وحسين الشافعى، وإسماعيل فريد لتوديع الملك، غير أن الملك رفض استقبالهم بعد أن لمح جمال سالم يحمل عصا في يده، وهو ما لا يتناسب مع حضرة الملوك، مما حدا بالسيد جمال سالم أن يمطره بوابل من سبابه لولا

تدخل اللواء محمد نجيب الذى استقبله الملك على متن المحروسة، وقد نصحه
بضرورة الحرص والحفاظ على البلاد، وتوخى الحذر من الضباط الذين شاركهم
فى الثورة على عرشه وأسرته.

وانطلقت بعدها المحروسة صوب ميناء نابولى ليسدل الستار على حقبة
تاريخية دقيقة ليخبرو نجم الأسرة العلوية، ويحترق فى سماء ٢٣ يوليو
١٩٥٢م.

* * * *

العشاء الأخير وموت فاروق

عاش فاروق فى المنفى غارقاً فى ملذاته وأهوائه، مستقراً كعادته التى لازمته على موائد القمار الخضراء، يتلذذ بخسائره الفادحة ونفقاته الباهظة دون أن تهتز فى جسده شعرة على ملكه الذى ذهب، وعرشه الذى هوى، ولم يكن فى حاجة لام تصب فى أذنيه جام غضبها، كما صنعت أم عبد الله آخر ملوك الأندلس حين اندثر ملكه، وأطاح مسيحيو أوربا بعرشه، وهو ما جعلها تصرخ فى وجهه على مرأى ومسمع من حاشيته التى سلبته عقله: «أبك يا عبد الله بكاء النساء على ملك لا يضيع من أيدي الرجال».

نعم لم يكن فاروق فى حاجة إلى ذلك فقد كان يعلم منذ حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ أن عرشه أضحى فى مهب الريح، وأنه قاب قوسين وربما أدنى من السقوط على أيدي أعدائه وخصومه، وما دام ذلك كذلك فما الجدوى من اعتزال حياة اللهو والعبث والخلاعة والمجون

عاش فاروق فى منفاه بروما بين الساقطات والغانيات والراقصات كصيد ثمين يسهل اصطياده ودفعه إلى الإنفاق على حياتهن من ثروته التى لا تنضب مهما أنفق منها، حيث قيل أنه كان فى أثناء وجوده فى المنفى يمتلك أكثر من ٢٠ مليون دولار، فضلاً عن ٢١٧ حقبة وصندوق اكتظت بالمجوهرات والآثار والتحف النادرة الثمينة التى بددها وفقددها فى غربته.

كان فاروق منهمكاً فى علاقات غرامية ذاعت تفاصيلها فى صدر صفحات الجرائد الإيطالية فى حكايات لا تنتهى عن آخر ملوك مصر وحكام أسرة محمد على الكبير، وقد كانت الغانية الشهيرة إيرما كاييتش أشهر من ارتبط بهن فاروق فى سنوات منفاه الإجبارى، وقد ترددت أنباء أنها كانت تعمل لحساب جهات استخباراتية وأنها تقف وراء اغتياله نظراً لاختفائها المفاجئ ليلة اغتياله.

العشاء الأخير

كان فاروق فى تلك الليلة المشؤمة يبدو لناظره مسرور النفس، منشرح الصدر، يضحك من أعماق قلبه كمن لا يحمل هموماً أو يشكو شجوناً شأنه شأن أى إنسان تتوافر لديه سبل السعادة وأدواتها وقد التفت النساء من حوله .

فى تلك الليلة التى جمعتها مع نساء جميلات غابت عشيقته أو محظيته إيرما بعد خلاف عنيف دب بينهما فى الليلة الماضية وقد كان ذلك من وجهة نظرها أثناء التحقيقات سبباً كافياً لعدم حضورها ليلة اغتياله!! وكعادة فاروق كانت مائدته تمتلئ وتفيض بأشهى وأفخر وألذ وأغلى وأبهى أنواع المأكولات التى كان فاروق يلتهمها بسرعه الفائقة التى كانت تثير دهشة المحيطين به .

وفى أثناء تناوله للطعام فى تلك الليلة الأخيرة رجع فاروق فجأة إلى الوراء، وفى التو أسرع نحوه جرسونات المطعم الذين حملوه بصعوبة لبدانته المفرطة وضخامة جسده المترهل، وقد استوى على أريكة طويلة استوعبت جسده القوى الممتلئ باللحم والشحم، ثم سرعان ما تخلصوا من رابطة عنقه ثم الحزام وبعده الحذاء فى ثوان معدودة.

كان أحد الزبائن جالساً بالقرب من هذا المشهد المثير، وقد هرع إلى فاروق وأجرى له عملية تنفس صناعى بعد أن لاحظ أن وجه فاروق قد تحول من اللون الأحمر إلى الأزرق وسبحان مغير الأحوال، وحين تعذر على الحضور إنقاذه من الأزمة الطارئة التى ألمت به استدعت إدارة المطعم الاسعاف التى حضرت على عجل لتحمله وهو ينبض بصعوبة متمسكاً بالحياة التى وهبها جباهه وعرشه وعمره، وسرعان ما لفظ أنفاسه الأخيرة داخل سيارة الاسعاف ليفارق الدنيا بأسرها بعد حياة حافلة بالأحداث التاريخية والمواقف الهزلية والتصرفات العبثية التى قضت عليه وعجلت بوفاته .

ومن خلال التحقيقات التي أجراها البوليس الإيطالي أكدت تقارير الطب الشرعى أن فاروق مات إثر تعرضه لذبحة صدرية أردته صريعاً فى الحال، ونفت تلك التقارير وفاة فاروق مسموماً، ومن ثم رفضت السلطات تشريح جثته حيث أن علامات التسمم لم تظهر على وجهه كإحمرار العينين أو الشفتين أو غير ذلك من العلامات الدالة على وجود تسمم وراء الوفاة، لقد أشار الأطباء الإيطاليون إلى أن فاروق الذى اشتهر بشراسته فى تناول الطعام، ومن ثم ترهل جسده وقاوض بالشحوم والدهون قد أصيب بذبحة صدرية نتيجة تخمة جراء زيادة غير مألوفة فى الطعام الذى تناوله تلك الليلة الشهيرة ليستسلم صاغراً للملك الموت فى ١٨ مارس ١٩٦٥ عن عمر يناهز ٤٥ عاماً و ٢٠ يوماً.

فى ٢٠ مارس أقامت السلطات الإيطالية مراسم جنازة رسمية للملك مصر السابق من خلال وضع جثمانه على إحدى العربات الرسمية، وكان ابنه أحمد فؤاد يمشى خلف العربة والدموع تنهمر من عينيه وهو يتأبط ذراع عمته الأميرة فوزية زوجة شاه إيران محمد رضا بهلوى، التى كانت تبكى بحرارة فأثارت شفقة الحضور، بينما بدت زوجته ناريمان أكثر صلابة وتماسكاً، ربما بسبب الأيام العصيبة واللحظات الكثيرة التى عاشتها معه.

وفى ٢٠ مارس ١٩٦٥ وبناء على وصية الملك الراحل فاروق تقرر نقل جثمانه من دار حفظ الموتى بروما إلى إحدى الكنائس الصغيرة لإجراء مراسم تشييع جنازته طبقاً للشريعة الإسلامية حيث كانت روما تخلو آنذاك من أية مساجد إسلامية على عكس ما هو حاصل الآن، ثم تنقل إلى مصر لتوارى الثرى بجوار مدافن عائلة محمد على.

فى تلك الأثناء كانت وساطات واتصالات وتوسلات وتوصيات تجري على عجل من روما إلى القاهرة للتدخل لدى الرئيس جمال عبد الناصر للموافقة

على نقل جثمانه من روما إلى القاهرة لدفنه بجوار آبائه وأجداده، وبعد مساع حثيثة وجهود مفضية وافق الرئيس جمال عبد الناصر على دفن الملك الراحل فى مقابر الأسرة العلوية بالقلعة، على أن تتم فى إطار شديد من السرية وفقاً للشروط الذى طرحه جمال عبد الناصر.

وفى سرية بالغة، وعلى متن طائرة كوميت تابعة لشركة الطيران العربية (أصبحت الآن شركة مصر للطيران) عاد جثمان فاروق إلى مطار القاهرة، ثم نقل سراً على ظهر سيارة حكومية سوداء بعد منتصف الليل ومن خلفها انطلقت عدة سيارات حملت شقيقته الأميرة فوزية والأميرة فائقة وعدد قليل طبقاً لتوجيهات رئاسة الجمهورية ضم أقرب أقاربه من الأسرة العلوية لتشيع جثمانه إلى مثواه الأخير.

صحيح أن هناك اتهامات عديدة ثارت حال وفاة فاروق ردها البعض دون سند أو دليل على صحة مزاعمها، بيد أن البوليس الإيطالى قد حسم تلك الشائعات حين قيد الوفاة نتيجة ذبحة صدرية داهمت الملك السابق، ومن ثم برئت ساحة الرئيس جمال عبد الناصر الذى لاحقته الاتهامات من خصومه وأعدائه بعد أن أشار بعضهم إلى ضلوع الضابط إبراهيم بغدادى فى اغتيال فاروق من خلال دس السم له أثناء عمله جرسوناً فى نفس المطعم الذى كان يتردد عليه فاروق كل ليلة.

وللإنصاف يبقى السؤال: إذا كان فاروق قد مات إثر تعرضه لذبحة صدرية طبقاً لتقارير الطب الشرعى الإيطالى وتحريات البوليس الإيطالى فما الذى دعا إبراهيم بغدادى أحد الضباط الأحرار إلى التواجد فى هذا المطعم والعمل بداخله جرسوناً مدفوعاً من صلاح نصر مدير المخابرات العامة آنذاك؟

على أية حال إذا كان إبراهيم بغدادى قد نفى ضلوعه وتورطه فى اغتيال فاروق فسيبقى السؤال الذى يلح على خاطرى بقوة ويعنف: إذا كان إبراهيم بغدادى بريئاً من دماء فاروق فما هى إسهاماته التى عززت مكانته لدى الرئيس جمال عبد الناصر حتى يصدر قراراً بتعيينه محافظاً للمنوفية بعد عودته من روما عقب وفاة فاروق، بل ورفضه قبول منصب سفيراً لمصر فى إحدى الدول الأجنبية علماً بأنه كان يشغل منصب مستشاراً للسفارة المصرية فى واشنطن، ومستشاراً لوفد مصر فى الأمم المتحدة، قبل عمله جرسوناً فى المطعم الذى شهد ليالى فاروق وعشاءه الأخير؟

إذن هل مات فاروق مسموماً حقاً أم مدحوراً مهموماً بالذبحه؟

سيظل هذا السؤال الذى سبقنى إليه الكثير فى الظهور على المسرح السياسى ما لم تنكشف الحقائق التى تمت حراستها بجيش من الأكاذيب وربما بحراسات من الصدق والموضوعية ؟ لكن متى ستعلن الحقيقة؟ ومن الذى سيكشف هذا السر الدفين؟ رحم الله فاروق ، وغفر له ما تقدم من ذنبه فى حق أمته.

* * * *

ثروة الملك فاروق

تضاربت الأقاويل والحقائق حول قيمة ثروة الملك فاروق، وإن كان هذا التضارب قد شهدته الصحافة المصرية أثناء عهد والده الملك فؤاد، الذى ثارت من حوله الشائعات إفحداها رفعتة إلى أغنى أغنياء العالم، وأخرى جعلت منه خامس أثرياء الأرضى دون أن يقف المواطن المصرى المسكين الذى كان يتضور جوعاً ويتلحف البرد عوزاً على حقيقة ثروة تلك الأسرة.

وفى أثناء مغادرة فاروق مصر مطروداً منها على أيدي عسكر يوليو ١٩٥٢م ترددت أقاويل أن الباخرة المحروسة التى سافر على متنها إلى نابولى حملت فى رحلتها أكثر من مائتى حقيبة حملت العديد من المجوهرات والعقود الماسية والمقتنيات والمصوغات النادرة، وإن كان رجال الثورة أنفسهم قد عجزوا عن معرفة ما فى داخل تلك الحقائب.

كانت ثروة فؤاد حسب الميراث الشرعى تؤول بالطبع إلى فاروق وشقيقاته فوزية وفايزة وفائقة وفتحية (فوقية) وهى شقيقة من الأميرة شويكار، وقد استولى فاروق - طبقاً لشريعته هو - على أغلب ثروة أبيه مؤكداً للجنة الحصر أن والده قد اختصه بكل التحف والقطع الأثرية الموجودة بالقصور بواسطة مرسومين ملكيين كانا قد صدرا على يد الملك فؤاد قبل وفاته بتاريخ ٢٨ إبريل ١٩٣٦ م، ومن ثم استولى فاروق على كافة المقتنيات النادرة الثمينة دون أن يعارضه كائن من كان، سواء من أفراد أسرته أو رجال حاشيته أو من أعضاء البرلمان أو الحكومة، وكيف لهؤلاء أن يعارضوه وقد كانوا يتلهفون على عطفه ويتطلعون التماساً لرضاه.

تهريب أموال فاروق

صحيح أن أحداً لا يستطيع حتى الآن معرفة أو تحديد الرقم الذى قام فاروق بتهريبه خارج البلاد، بعد أن أشاروا عليه بأهمية تهريب ثروته وتكديسها فى البنوك الأوربية خاصة السويسرية، وإن كان البعض قد أكد أن المبالغ لا تزيد على مليونى جنيه، وإن كان (بوللى) قد أكد أن فاروق فى مساء رحيله إلى إيطاليا حمل معه ما لا يقل عن مائتى ألف جنيه كانت موجودة فى خزانة قصره برأس التين.

ولكن بعض المصادر الأجنبية قدرت الأموال التى هربها فاروق بنحو ٢٥ مليون دولار، أى بنحو ١٠ ملايين جنيه مصرى آنذاك. وأن التحف والمجوهرات والمقتنيات النادرة بلغت نحو أربعين مليون جنيه مصرى.

* * * *

أثاث قصور فاروق

كانت قصور فاروق واستراحاته تحتوى على أثاث رائعة ونادرة لا مثيل لها فى العالم، وقد قدرها الخبراء والمثمنون فى أثناء مغادرته بما يلى:

- ١ - أثاث قصر الطاهرة، ويقدر بأكثر من ٢٠ ألف جنيه.
- ٢ - أثاث قصر البستان، ويقدر بأكثر من ١٠ آلاف جنيه.
- ٣ - المتحف الحربى بقصر عابدين.
- ٤ - ركن فاروق.
- ٥ - المتحف الزراعى.
- ٦ - مخزن الفضية.
- ٧ - تحف قصر عابدين.
- ٨ - حفائر قصر عابدين.
- ٩ - منزل بقصر الدوبارة.
- ١٠ - بركة صيد بدهشور.
- ١١ - بركة مجاورة لوادى الرشراش.
- ١٢ - بركة البرانى بالفيوم.
- ١٣ - بركة القرن الذهبى، على شاطئ فاروق وتضم استراحة فاخرة.
- ١٤ - بركة صيد بالتل الكبير.
- ١٥ - استراحة وادى الرشراش.
- ١٦ - استراحة الغردقة.
- ١٧ - استراحة رأس الحكمة.
- ١٨ - استراحة البحر.
- ١٩ - استراحة المعمورة.
- ٢٠ - حمام سباحة.

الاطيان الزراعية

فى عدد المصور ٥ ديسمبر ١٩٥٢م تم نشر تركة الملك فاروق حيث تبين أن الملك كان يملك العديد من الأراضى، والتي قيل أنها بلغت نحو مائتى ألف فدان، وقد رصدت المصور منها ما يلى:

- ٦٣١٥ فدانا تفتيش أمير الصعيد.

- ٦٣١٤ فدانا تفتيش مريوط.

١٤٥ فدانا فى وقف الفاروقية، بنصيب $\frac{2}{7}$ من مقدار الوقف البالغ مقداره نحو ١٠٠٩ أفدنة أراضى فضاء للبناء وأخرى زراعية، فى نواحي الفيوم وكفر فاروق، وبرقاش، وأبو شوشة، ومنشأة رضوان، وأبو شوشة.

- ٤٩٨٠ فدانا تفتيش رأس الحكمة.

- ٢٥٣٧ فدانا تفتيش الزعفران.

- ١١٦ فدانا تفتيش الفاروقية.

- ٤٦٧ فدانا تفتيش المعمورة.

- ٢٢ فدانا تفتيش أبو رواش.

* * * *

إيرادات الملك فاروق

كان الملك فاروق يحصل على إيرادات مختلفة المصادر والأنواع، حتى استعصى على الخبراء حصر روافدها وامتداداتها ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- ١ - ٧٤٦٤ جنيها من وقف الخديوى إسماعيل فى ناحية إتاى البارود.
- ٢ - ٨٩٤٦ جنيها من وقف الأمير محمود حمدى بالحلوات.
- ٣ - ٨٣٤٨ جنيها بحق ٣ قرارات بوقف جميلة الخيرى.
- ٤ - ٢٣٥٦٢١ جنيها قيمة ١٠٪ من إيراد الأوقاف الملكية.
- ٥ - ٢٨٩٢٣٢ جنيها قيمة الربيع السنوى للملك فاروق من الأوقاف.
- ٦ - ١٧٠٥٠ جنيها بحق قيراطين من «فاضل» لوقف الخديوى إسماعيل
بناحية ايتاى البارود.
- ٧ - ٣٢١٢ جنيها من وقف والدة جميلة الأهلى.
- ٨ - ٦٤٦ جنيها من وقف الأمير جمال.
- ٩ - ٤٥٣٥ جنيها من وقف والدة الأمير محمود حمدى بكفر الحمام.
- ١٠ - ١٤٧٧ جنيها من وقف بحق الربيع فى وقف إسماعيل بحلوان.
- ١١ - ٣٨١ جنيها من وقف القصر.
- ١٢ - ٦٤٧ جنيها من وقف الخديو اسماعيل بحلوان.

وبحسبة بسيطة لكل هذه الإيرادات، تبين أن دخل فاروق السنوى من هذا الرافد لا يقل عن نصف مليون و٣٦٥ ألف جنيه، فضلاً عن دخل آخر يبلغ نحو ثلاثمائة ألف جنيه كان يحصل عليها عنوة بحجة أنه وطبقاً للدستور ناظراً

على نحو ١٤ وقفاً آخر تعذر رصدهم، وذلك طبقاً لما هو مرصود في عدد مجلة المصور المنشور في ٥ ديسمبر ١٩٥٢م وطبقاً للدراسة المنشورة للمؤرخ التزيه الأستاذ جمال بدوي، والذي حقق دراسته التي اعتمدنا عليها من خلال نشرها في مجلة المصور العدد ٤٢٨٨، الصادر يوم ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦.

* * * *

حيوانات وطيور الملك

وتمضى بنا مجلة المصور في رصد وحصد ثروة الملك فاروق، ناهيك عن أن هذه المجلة نفسها كانت تكيل المدح وتصوغ أبداع قصائد الحب والعرفان والولاء للملك.

كان للملك فاروق ضمن ممتلكاته نحو : ٢٨١ غزالاً، و١٧٦ جواداً، ١٠ كباش أروس، ٤٧ جاموسة، ٣٥٠٢ زوج من الأرانب والطيور، ٢ بيسفاء، و١٦ حماراً، و ٤٢ كلباً، ١٤ عصفوراً، ٥٤٤ سلحفاة، ٨ نعلمات، ١٦ فرساً.

* * * *

أسهم الملك

كان فاروق يملك من الأسهم ما يفوق الثلاثة ملايين جنيهاً و٣٩٨ ألفاً و١٤٥ جنيهاً لا غير.

* * * *

سياراته

كان الملك فاروق يهوى اقتناء السيارات الفارهة والحديثة ذات اللون الأحمر، وعلى رأسها السيارات الكاديلاك، والمرسيدس ورينو، وأستنى، ويوبكى، وجيب ليموزين، وفورد، وشيفورليه، وفيات، وكورد، ولنكولن، وتورين للسباق، بالإضافة إلى نحو عشرين قطعة قدرت بنحو ٥٨ ألف جنيه، زمن فاروق.

* * * *

الفهرس

الموضوعات	الصفحات
نافذة الكتاب .	٣
محمد على باشا الكبير الجند والمؤسس .	٩
زوجات محمد على ومستولداته .	٢٢
وفاة محمد على .	٢٧
القائد إبراهيم باشا .	٣١
زوجات إبراهيم باشا ومستولداته .	٣٤
الخديو إسماعيل .	٣٩
زوجات الخديو إسماعيل ومستولداته .	٤٤
الملك فؤاد .	٤٩
الملك فاروق مولده ونشأته .	٦٥
فاروق الفنان والرياضى .	٧٩
القمار .	٨٥
أناقة فاروق .	٩٣
طعامه وشرابه .	٩٩
فاروق عاشق بلا قلب .	١٠٧
زواج فاروق وفريدة .	١٢٣
الحب والحرب فاروق وناريمان .	١٣١
حادث ٤ فبراير الذل والانكسار .	١٤٥
فاروق ملك اللصوص .	١٦٣

١٧٣	فاروق فى المخابرات الأمريكية .
١٨٠	فاروق والوحدة مع سوريا!!
١٨٨	حرب ٤٨ وقضية الأسلحة الفاسدة .
١٩٥	فاروق والأخوان المسلمين .
٢٠٥	فكرة اغتيال الملك فاروق .
٢٠٩	رجال الملك . أحمد حسنين .
٢١٦	كريم ثابت .
٢٣٧	إلياس أندراوس .
٢٤٠	مهندس العلاقات المحرمة بولى .
٢٤٢	محمد حسن الشماشرجى .
٢٤٤	سقوط فاروق .
٢٥٠	العشاء الأخير وموت فاروق .
٢٥٥	ثروة الملك فاروق .
٢٥٦	تهريب أموال فاروق .
٢٥٧	أثاثات قطور فاروق .
٢٥٨	الأطيان الزراعية .
٢٥٩	إيرادات الملك فاروق .
٢٦٠	حيوانات وطيور الملك .
٢٦٠	أسهم الملك .
٢٦١	سياراته .
٢٦٣	فهرس .

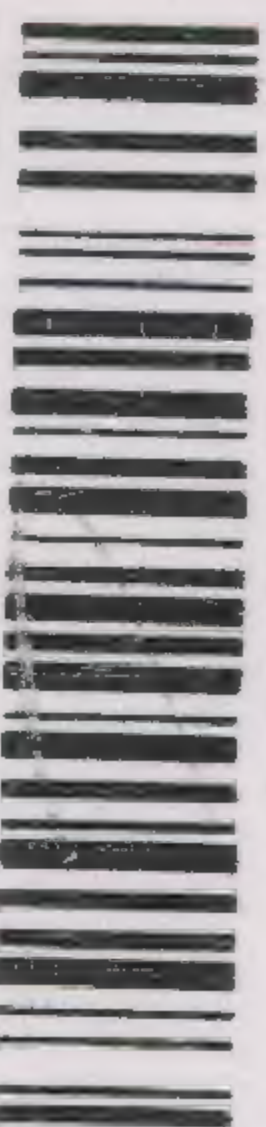


الملك فاروق

آخر ملوك مصر

١٩٣٦ - ١٩٥٢

2
Bibliotheca Alexandrina



0667435

مكتبة النافذة